دار الكتب المصرية

نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

السفر الثالث

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤[illegible] هـ — ١٩[illegible] م

فهرس

السفر الثالث

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

للنويري

القسم الثاني من الفن الثاني

في الأمثال المشهورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، والمشهور من أمثال العرب، وأوابد العرب وأخبار الكهنة، والزجر، والقيافة، والطيرة، والفراسة والذكاء، والكنايات، والتعريض، والأحاجي، والألغاز وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

صحيفة

الباب الثانى :

القسم الثالث من الفن الثاني

في المدح، والهجو، والمجون، والفكاهات، والملح، والخمر، والمعاقرة والندمان، والقيان، ووصف آلات الطرب

وفيــه خمسة أبواب

البـاب الأوّل :

صحيفة

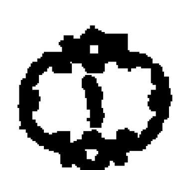
صحيفة

البـاب الثانى :

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثانى من الفن الثانى

فى الأمثال المشهورة



عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم، والمشهور من أمثال العرب، وأوابد العرب، وأخبار الكهنة، والزجر، والفأل، والطيرة، والفراسة، والذكاء، والكنايات، والتعريض، والأحاجى، والألغاز؛ وفيه خمسة أبواب .

الباب الأول

من هـذا القسم

(فى الأمثـال)

ضرب الله عز وجل الامثـال فى كتابه العزيز فى آى كثيرة، فقال تعـالى : ﴿ يٰأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ وتكرر ذكر الأمثال .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ضرب الله مثلاً صراطا مستقيما، وعلى جَنْبَي الصراط أبواب مفتّحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى رأس الصراط داعٍ يقول ادخلوا الصراط ولا تعرّجوا" فالصراط : الإسلام، والستور: حدود الله تعالى، والأبواب : محارم الله، والداعى : القرآن .

قال المبرّد : المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر، شبّه به حال الثانى بالأوّل والأصـــل فيه التشبيه . قال : وقولهم مَثَــل بين يديه ، إذا انتصب ؛ معناه أشبه الصورة المنتصبة . وفلان أمثل من فلان، أى أشبه .

والمثال : القصاص، لتشبيه حال المقتصّ منه بحال الأوّل .

وقال ابن السِّكِّيت : المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه .

وقال إبراهيم النظّام : يجتمع فى المثل أربع لا تجتمع فى غيره من الكلام : إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه، وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة .

وقال ابن المقفّع : إذا جُعل الكلام مثلا كان أوضحَ للنطق، وآنقَ للسمع ، وأوسعَ لشعوب الحديث .

وأوّل ما نبـــدأ به من ذلك ما تُمُثِّل به من أقوال سـيدنا رسول الله صـــلى الله عليه وسلم .

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وهو ممـــا لم يسبق إليه :

"إيّاكم وخضراءَ الدِّمَن" فقيل له : وما ذاك يارسول الله؟ فقال: "المرأةُ الحسْناءُ فى مَنْبِتِ السُّوء ! "

"كلّ الصيدِ فى جَوْف الفَرَ" قاله لأبى سفيان يتألّفه على الإسلام .

"مات فلان حَتْفَ أنفه" .

"لا ينتطح فيه عَنْزان" .

"إنّ المُنْبَتَّ لا أرْضًا قَطَعَ ولا ظَهْرًا أبْقَى" المنبتُّ: المنقطع عن أصحابه فى السفر، والظهر : الدابّة. قاله فى الغلوّ فى العبادة .

" الْآنَ حَمِيَ الْوَطِيس " : ضربه فى الحرب .

" يَاخَيْلَ اللهِ ارْكَبِي " .

" اشْتَدِّى أَزْمَةُ تَنْفَرِجِى " .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " الناس كأسنان المُشْطِ وإنما يتفاضلون بالعافية ".

" الناس كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا " .

" النَّاسُ كَإِبِلٍ ، مِائَةٌ لا تَجِدُ فيها راحِلَةً " .

" المؤمن هيّن ليّن ، كالجمل الأَنِفِ إن اقتيد انقاد ، وإن أُنيخ على صخرة استناخ " .

" المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدّ بعضه بعضا " .

" أصحابى كالنجوم ، بأيّهم اقتديتم اهتديتم " .

" مثل أصحابى كالملح لا يصلح الطعام إلا به " .

" أُمّتى كالمطر ، لا يُدْرَى أوّله خير أم آخره " .

" مثل أبى بكر كالقَطْر أين وقع نفع " .

" عُمَّالكم كأعمالكم وكما تكونوا يولّى عليكم " .

وقال لما كتب كتاب المهادنة بينه وبين سهيل بن عمرو : "والعقد بيننا كشَرْج العَيْبَة" يعنى إذا انحلّ بعضه انحلّ جميعه .

" المرأة كالضِّلَع العوجاء إن قومتها كسرتها ، وإن داريتها استمتعت بها " .

" المتشبّع بما لم يُعْطَهُ كلابس ثَوْبَىْ زُور " .

" الدالُّ على الخير كفاعله " .

" لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِماصا وتروح بطانا " .



" وعد المؤمن كالأخذ باليد " .

" مَثَل المؤمن كالنحلة، لا تأكل إلا طيِّبا ولا تُطعِم إلا طيِّبا " .

"مَثَل المؤمن كالسُّنْبُلَة تميل أحيانا، وتعتدل أحيانا" .

"مَثَل الجليس الصالح كالعطّار، إن لم تصب من عطره أصبت من ريحه، ومثل الجليس السوء كالكِير إن لم يحرق ثوبك آذاك بدُخَانه" .

"علم لا ينفع كنز لا ينفق منه" .

وقال : "المؤمن مِرْآة أخيه" .

"قد جَدَعَ الحَلَالُ أنفَ الغَيْرَة" .

"الأعمـال بالنيّات ولكل امرئ ما نوى" .

"نيّة المرء خير من عمله" .

"إن من الشِّعْر لحكمةً وإن من البيان لَسِحْرًا" .

"من كثّر سواد قوم فهو منهم" .

"الأعمـال بخواتمها" .

"ساقي القوم آخرهم شربا" .

" المرء على دِين خليله فلينظر امرؤ مَنْ يُخَالِل" .

" المستشير معان والمستشار مؤتمن" .

ومن كلام أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه

إن الله قرن وعده بوعيده .

ليست مع العَزَاء مصيبة .

الموت أهون مما بعده وأشد مما قبله .

ثلاث من كنّ فيه كنّ عليه : البغى، والنَّكْثُ، والمَكْر .

ذلّ قوم أسندوا أمرهم إلى آمرأة .

احرص على الموت توهبْ لك الحياة؛ قاله لخالد بن الوليد حين بعثه إلى أهل الرِّدّة.

كثير القول ينسى بعضه بعضا، وإنما لك ما وعى عنك .

لا تكتم المستشار خبرا فتُؤْتَى من قِبَل نفسك .

خير الخَصْلتين لك أبغضهما إليك .

صنائع المعروف تقِي مَصارِعَ السوء .

ومن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

مَنْ كتم سِرَّه كان الخيار فى يده .

أشقى الوُلَاة من شَقِيتْ به رَعِيَّتُه .

اتقوا مَنْ تبغَضُه قلوبُكم .

أعقلُ الناس أعذَرُهم للناس .

اجعلوا الرأسَ رأسين .

أخيفوا الهوامّ قبل أن تخيفكم .

لو أن الشكرَ والصبرَ بَعيران لما باليت أيهما رَكِبتُ .

مَنْ لم يعرِف الشرّ كان أجدَرَ أن يقع فيه .

ما الخمر صِرْفا بأذهب للعقول من الطمع .

إلى الله أشكو ضعف الأمين وخيانة القوىّ .

ٱقتصاد فى سُنَّة خير من ٱجْتهاد فى بِدْعة .

لا يكن حبك كَلَفًا، ولا بُغْضُك تَلَفًا .

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

ما يَزَعُ اللهُ بالسلطان أكثرُ مما يَزَعُ بالقرآن .

الهدية من العامل اذا عُزِل، مثلها منه اذا عمل .

أنتم إلى إمام فعّال، أحوجُ منكم إلى إمام قوّال؛ قاله يوم صعد المنبر فأُرْتِجَ عليه .

وقال يوم قُتل : لأن أُقتَل قبل الدماء، أحبُّ الىّ من أن أُقتَل بعد الدماء .

ومن كلام علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه

من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه؛ ومن ضيّعه الأقربُ أُتيح له الأبعد؛ ومن بالغ فى الخصومة أثِمَ، ومن قصر فيها ظُلِمَ .

رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .

الناس من خوف الذلّ فى الذلّ .

إن من السكوت ما هو ابلغ من الجواب .

ومن كلام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما

لكل داخل دهشة فابدءوه بالتحية، ولكل طاعم حشمة فابدءوه باليمين .

ومن أمثال العرب ما نقلته من كتاب "الأمثال" للميدانى . [والميدانى[1] : هو أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبرهيم الميدانى النيسابورى — والميدانى : بفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحت وفتح الدال المهملة نسبة إلى ميدان زياد، وهى محلة بنيسابور؛ توفى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة] ووضعته على حروف المعجم .

فمن ذلك ما جاء منها على حرف الهمزة :

---

(1) هذه زيادة فى إحدى النسخ .

حرف الهمزة

تقول العرب : "إنَّ المُوَصَّيْنَ بَنُو سَهْوَان" قال الميدانيّ : يُضرَب لمن يسهو عن طلب شيء أمر به ، وبنو سهوان : بنو آدم عليه السلام حين عهد اليه فسها ونسي .

وقولهم : " إنَّ الرَّثِيئَةَ تَفْثأُ الغضب " قال : الرثيئة : اللبن الحامض يخلط بالحلو ، والفَثْءُ : التسكين ؛ وزعموا أن رجلا نزل بقوم وكان ساخطا عليهم ، وكان جائعا فسقوه الرثيئة فسكن غضبه ، فقال هذا المثل : يضرب في الهدية تورث الوفاق .

وقولهم : "إن الحديد بالحديد يُفْلَح" أى يستعان في الأمر الشديد بما يشاكله ويقاويه .

وقولهم : "إن السلامة منها تَرْكُ مافيها" في اللُّقَطَة وذمّ الدنيا[1] .

والنفس تَكْلَفُ بالدنيا وقد علمتْ . أنّ السلامةَ منها تركُ مافيها

وقولهم : "إن العَصَا من العُصَيَّة" يقال : إن أوّل من قال ذلك الأفعَى الجرهميّ ، ذلك أن نزارا لما حضرته الوفاة جمع بنيه : مضر، وإيادا ، وربيعة ، وأنمارا ، فقال : يا بنيّ ! هذه القبة الحمراء — وكانت من أدم — لمضر ، وهذه الفرس الأدهم والخباء الأسود لربيعة ، وهذه الخادم — وكانت شمطاء — لإياد ، وهذه البدرة والمجلس لأنمار ، فإن أشكل عليكم كيف تقسمون ، فأتوا الأفعَى الجرهميّ ومنزله بنجران ، فتشاجروا (٣)

(١) في الميداني : وهذا في بيت قوله . والنفس الخ .

فى ميراثه، فتوجهوا إليه، فبيناهم فى سيرهم إذ رأى مضر أثر كلإ قد رعى، فقال : إن البعير الذى رعى هـذا أعور، وقال ربيعة : إنه لأزور، وقال إياد : إنه لأبتر، وقال أنمـار : إنه لشرود[1]، فساروا قليلا، فإذاهم برجل يوضع حمله فسألهم عن البعير، فقال مضر : أهو أعور؟ قال : نعم، وقال ربيعة : أهو أزور؟ قال : نعم، وقال إياد : أهو أبتر؟ قال : نعم، وقال أنمـار : أهو شرود؟ قال : نعم، هذه والله صفة بعيرى، فدلونى عليـه. فقالوا : والله ما رأيناه ، فقال : هـذا والله الكذب كيف أصدّقكم وأنتم تصفونه بصفته؟ فساروا حتى قدموا نجران؛ فلمـا نزلوا، نادى صاحب البعير، هؤلاء أصحاب جملى وصفوا لى صفته ثم قالوا : لم نره؛ فاختصموا إلى الأفعى، فقال لهم : كيف وصفتموه وأنتم لم تروه؟ فقال مضر : رأيته قد رعى جانبا وترك جانبا، فعلمت أنه أعور، وقال ربيعة : رأيت إحدى يديه ثابتة والثانية فاسـدة، فعلمت أنه أزور لأنه أفسدها بشدّة وطئه؛ وقال إياد : عَرَفت أنه أبتر باجتماع بعره ولو كان ذيّالا لمصع به؛ وقال أنمـار : عرفت أنه شرود، لأنه يرعى فى المكان الملتفّ نبته ثم يجوزه إلى مكان أرقّ منـه؛ فقال الأفعى : ليسوا بأصحاب جملك فاطلبه. ثم سألهم : من أنتم؟ فأخبروه بخبرهم، وبما جاءوا له، فأكرمهم، وقال: أتحتاجون إلىّ وأنتم كما أرى؟ ثم أنزلهم وذبح لهم شاة، وأتاهم بخمر، وجلس لهم الأفعى بحيث لا يرى؛ فقال ربيعة : لم أر كاليوم أطيب لحما لولا أن شاته غذيت بلبن كلبة؛ وقال مضر: لم أر كاليوم أطيب خمر لولا أن حُبلته نبتت على قبر، فقال إياد : لم أر كاليوم رجلا أسرى لولا أنه ليس لأبيه الذى يدعى له؛ فقال أنمـار : لم أر كاليوم كلاما أنفع فى حاجتنا من كلامنا. وكلامهم بأذنه. فدعا قهرمانة، فقال: ماهذه الخمر،

(١) فى ميدانى : يشد بجهد.

وما أمرها؟ قال: هى من حُبْلة غرستها على قبر أبيك؛ وقال للراعى: ماهذه الشاة؟ فقال: هى عناق أرضعتها بلبن كلبة وكانت أمها ماتت؛ ثم أتى أمه، فقال: آصدقينى، مَنْ أبى؟ فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال وكان لا يولد له، فخفتُ أن يموت وليس له ولد، فأمكنت من نفسى آبن عم له كان نازلا عليه فولدتك، فرجع إليهم وقال: ما أشبه القبة الحمراء من مال نزار فهو لمضر، فذهب بالإبل الحمر والدنانير، فسمّيت: مضر الحمراء. وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الأسود فله كل شىء أسود، فصار لربيعة الخيل الدُّهْم وما شاكلها، فقيل: ربيعة الفرس. وأما الخادم الشمطاء فلصاحبها الخيل البُلْق والماشية، فسميت: إياد الشمطاء، وقضى لأنمار بالدراهم والأرض فصدروا من عنده على ذلك، فقال الأفعى: إن العصا من العصيّة، وإنّ خُشَيناً من أخشن، فأرسلهما مثلا.

وقولهم: "إن العَوانَ لا تُعَلَّم الخِمْرة": يضرب للرجل المجرّب.

وقولهم: "إنى لآكل الرأس وأنا أعلم بما فيه": يضرب للأمر تأتيه وأنت تعلم ما فيه مما تكره.

وقولهم: "أنفٌ فى السماء وآستٌ فى الماء": يضرب للمتكبر الصغير الشأن.

وقولهم: "إن الذليل الذى ليست له عَضُد" أى أنصار وأعوان: يضرب لمن يخذله ناصره.

وقولهم: "إنْ يَدْمَ أَظَلُّكَ فقد نَقِبَ خُفِّى" الأظل: ما تحت مَنْسِم البعير، والخف: قائمته: يضربه المشتكى [illegible] همه فى [illegible] ما تشكوه.

وقولهم: "إن تسلم الجِلَّةُ فالنِّيبُ هَدَر" الجِلّة: جمع جليل يعنى العظام من الإبل، والنيب : جمع ناب وهى الناقة المسنّة؛ معناه إذا سلم ما ينتفع به هان ما لا ينتفع به .

وقولهم: "إنْ يبْغِ عليك قومُك لا يبغ عليك القمر" يقال : إن بنى ثعلبة ابن سعد فى الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة، فقالت طائفة : تطلع الشمس والقمر يُرى، وقالت طائفة : بل يغيب قبل طلوعها، فتراضوا برجل جعلوه بينهم. فقال رجل منهم : إن قومى يبغون علىّ، فقال العدل : إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر، فذهبت مثلا : يضرب للأمر المشهور .

وقولهم : "إنْ كنتَ رِيحًا فقد لاقَيْتَ إِعْصَارا" الإعصار: ريح شديدة تهبّ فيما بين السماء والأرض: يضرب للمدل بنفسه إذا صُلِيَ بمن هو أدهى منه وأشد.

وقولهم : "إنّكَ خيرٌ من تَفَارِيقِ العَصَا" قالوا: قالته غُنَيّة الأعرابية لابنها، وكان عارما مع ضعفه. فواثب يوما فتى فقطع أذنه فأخذت ديتها، فزادت حُسنَ حال ثم واثب آخر فقطع شفته فأخذت الدية فذكرته فى أرجوزتها فقالت

أَحْلِف بالمَرْوَةِ حقًّا والصَّفَا ... إنّك أجدى من تَفَاريق العَصَا[1] (٤)

فقيل لأعرابى : ما تفاريق العصا؟ فقال : العصا تقطع ساجورا والسواجير للكلاب والأسرى من الناس ثم تقطع عصا الساجور فتصير أوتادا ويقطع الوتد فيصير كل قطعة شِظَاظ وإن جعل لرأس الشظاظ كالفَلْكة صار للبُخْتِيّ مِهَارا وهو

(١) فى نسخة : خير .

العود الذى يدخل فى أنفه، واذا فرق المهار جاءت منه تَوَادٍ وهى الخشبة التى تشدّ على خِلْف الناقة .

وقولهم : " إِنَّهُ لَيَعلَمُ من أينَ تُؤْكَلُ الكَتِف " : يضرب للرجل الداهى، قال بعضهم : لِمَ تُؤكَلُ الكتف من أسفلها ؟ قال : لأنها تنقشر عن عظمها وتبقى المرقة مكانها ثابتة .

وقولهم : " إِنَّكَ لا تَجْنِي من الشَّوْكِ العِنَب " أى لا تجد عند ذى المَنْبِت السوء جميلا، والمثل من قول أكثم قال : إذا ظلمت فاحذر الانتصار، فان الظلم لا يكسبك إلا مثل فعلك .

وقولهم : " أَخُو الظَّلْمَاء أَعْشَى بالليل " : يضرب لمن يخطئ حجته ولا يبصر المخرج مما وقع فيه .

وقولهم : " إِنَّكَ لَتُكْثِرُ الحَزَّ وتُخْطِئُ المَفْصِل " : يضرب لمن يجتهد فى السعى ثم لا يظفر بالمراد .

وقولهم : " أَوَّل الشجرة النَّواة " : يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير .

وقولهم : " إذا صاحت الدَّجاجة صِياح الدِّيك فلْتُذْبَح " قاله الفرزدق فى امرأة قالت الشعر .

وقولهم : " إذا رآنى رأى السِّكين فى الماء " : يضرب لمن يخاف جدّا .

وقولهم : " إنك ريّان فلا تعجلْ بشربك " : يضرب لمن أشرف على إدراك بغيته فيؤمر بالرفق .

وقولهم : " أَبْطَشُ مِنْ دَوْسَرَ " هي إحدى كتائب النعمان أشدّها بطشا ونكاية ؛ قال بعض الشعراء

ضَرَبَتْ دَوْسَرُ فيهم ضَرْبَةً(١) ... أثبتتْ أوتاد ملْكٍ فاستقرّْ

وقولهم : " أَبَرَمًا قَرُونًا " البَرَمُ : الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لبخله ، والقَرُون : الذى يقرن بين الشيئين ، وأصله أن رجلا كان لا يدخل فى الميسر ولا يرى اللحم فجاء إلى امرأته وبين يديها لحم تأكله فأقبل يأكل معها بضعتين يقرن بينهما فقالت له : أَبَرَمًا قَرُونًا : يضرب لمن يجمع بين خَصْلَتَين مكروهتين .

وقولهم : " الثَّيِّبُ عُجَالَةُ الراكب " : يضرب فى الحث على الرضا بيسير الحاجة عند إعوز جليلها .

وقولهم :

" اِلْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا ... إِمّا نَعِيمَهَا وإِمّا بُوسَهَا "

أوّل من قال ذلك بَيْهس : وهو رجل من بنى غراب بن فَزارة ، وكان سابع سبعة إخوة ، فأغار عليهم ناس من بنى أشجع ، وهم فى إبلهم فقتلوا منهم ستة وتركوا بيهسا لحمقه فقال : دعونى أتوصل معكم إلى أهلى فأقبل معهم ، فلما كان من الغد نحروا جزورا فى يوم شديد الحر ، فقال بعضهم : أظِلّوا لحمكم لاتفسدَه الضِّحُّ ، فقال

(١) ش [illegible] : وصوابه فى [illegible] يوم الحنو .

بيهس : لكن بالأثلاث[1] لحم لا يظلّل ، فأرسلها مثلا ؛ ثم فارقهم وأتى أمه فأخبرها الخبر فقالت : ما جاء بك من بين إخوتك وأنت أخبثهم ، فقال : ما خيَّرك القومُ فتختارى ، فأرسلها مثلا ؛ ثم أعطته ثياب إخوته ومتاعهم ، فقال : ياحبذا التراث لولا الذِّلة ، فأرسلها مثلا ؛ وأخذ يوما يَبْرُمُ سكينا ، فقيل له : ما تصنع بها ؟ فقال : أقتل بها قتلة إخوتى ، فقيل له : إنك لأحمق ، فقال : ما يؤمنك من أحمق فى يده سكين ، فأرسلها مثلا ؛ ثم إنه مرّ بنسوة من قومه يصلحن آمرأة يردن أن يهدينها لبعض قتلة إخوته فكشف ثوبه عن آسته وغطى به رأسه ، فقيل له : ما تصنع ؟ فقال :

ألْبَسْ لكل حالة لبوسَها ... إما نعيمَها وإما بُوسَها

وقولهم : "الصيفَ ضيَّعتِ اللبن" قال الأصمعىّ : معناه تركت الشىء فى وقته ؛ وقال غيره : تركت الشىء وهو ممكن ، وقال أبو عبيدة : أوّل من قاله عمرو بن عُدَس ، وكان قد تزوج دَخْتَنُوس بعد ما كبر ، فكان ذات يوم نائما فى حجرها فخَخَف وسال لعابه فتأففته فانتبه وهى تتأفف منه ، فقال : أتحبين أن أطلّقك ؟ قالت : نعم ، فطلقها ، وتزوّجها فتى ضرير حسن الوجه ، ففجأتهم ذات يوم غارةٌ والفتى نائم فجاءت دَخْتَنوس فانبهته وقالت له : الخيل ، فجعل يقول : الخيل الخيل ، من الخوف حتى مات فَرَقا وسُبِيَتْ دختنوس فبلغ عمرو الخبر فركب ولحقهم وقاتل حتى آستنقذ

(١) قال ياقوت فى معجمه : أثلاث «بالفتح» هو الموضع المذكور فى الشعر فى بعض الروايات : لكن بالأثلاث الخ . ثم قال : وأكثر الرواة يقولون : «الأثلاث» «بالتاء» جمع أثلة وهو سهل من البصرة كبير يصلح بقية مدة نحس .

جميـع ما أخذوا وآستنقذها فوضـعها قدّامه على السرج وردّها إلى أهلهـا ، ثم اصابتهم سـنة فبعثت إليه تقول : نحتاج اللبن فبعث إليها بلقحة وقال : الصيف ضيّعت اللبن .

وقولهم : "آضْطَرَّهُ السَّيْلُ إلى مَعْطَشِه" وهو أنـ رجلا عطش وكان قد أتى واديا له غور وماء شديد الجرية، فبقى فى أصل شجرة لا يقدر أن ينزل فيأخذ به المـاء، ولم يجد ماء فمات عطشا : يضرب لمن ألقاه الخير الذى كان فيه إلى شرّ .

وقولهم :

"إنّ الحَمَـاةَ أُولِعَتْ بالكَنَّهْ وأُولِعَتْ كَنَّتُهَـا بالظِّنَّهْ"

لحماة : أمّ الزوج ، والكَنّة : آمرأة الابن والأخ ، والظِّنّة : التهمة ، وبين الحماة والكنة عدوةٌ مُستحكِمَةٌ : يُضرب بها المثل فى لشر يقع بين قوم هم أهل لذلك .

وقولهم : " إن لله جنودا منها العَسَل " قاله معاوية : لمـا بلغه أن الأشتر سُقى عسلا فيه سمّ فمـات : يضرب عند الشماتة بمصاب العدوّ .

وقولهم : " إن الهوى يَمِيل بآسْتِ الراكِب " أى من هوى شيئا مال نحوه قبيحا أو جميلا ، كما قيل ٥

وما زُرْتُكم عَمْدًا ولكنّ ذا الهوى * إلى حيث يَهْوَى القلب تهوِى به الرِّجْل

وقولهم : " إن الجَوَادَ قَدْ يَعْثُرْ " : يضرب لمن يكون الغالب عليه فعل الجميل ثم تكون منه زلّة .

وقولهم : " إن الشفيق بسوء ظنّ مُولَع " : يضرب للمعنىّ بشأن صاحبه لأنه لا يكاد يظن به غير وقوع الحوادث كظنون الوالدات بالأولاد ؛

وقولهم : " إن خَصْلتين خيرُهما الكذب لَخَصْلَتَا سُوء " : يضرب للرجل يعتذر من شيء فعله بالكذب .

وقولهم : " أحاديثُ طَسْمٍ وأحلَامُها " : يضرب لمن يخبرك بما لا أصل له .

وقولهم : " أحَشَفًا وسُوءَ كِيلَةٍ " : يضرب لمن يجمع بين خَصْلتين مكروهتين .

وقولهم : " الحق أبْلَج، والباطلُ لَجْلَج " : معناه أن الحق واضح بيّن والباطل يتلجلج فيه أى يتردّد فلا يجد صاحبه مخرجا .

وقولهم : " الحزمُ سُوءُ الظّنّ بالناس " : هذا المثل قاله أكثم بن صيفىّ .

وقولهم : " اختلط الخاثِرُ بالزُّبّادِ " . الخاثر: ما خثر من اللبن، والزُّبّاد : الزبد : يضرب للقوم يقعون فى التخليط من أمرهم .

وقولهم : " أخطأَتِ آسْتُه الحُفْرة " : يضرب لمن رام شيئا فلم ينله .

وقولهم : "ادعُ الى طِعَانِكَ، مَن تدعوه الى جِفَانِك" أى استعمل فى حوائجك من تخصّه بمعروفك .

وقولهم : " أرَوَغانًا يا ثُعالُ، وقد عَلِقتَ بالحبال " ثعالة : ثعلب : يضرب من يراوغ وقد وجب عليه حق .

وقولهم : " إِرْمِ فَقَدْ أَفْقَتَهُ مَرِيشًـا " يقال : أفقت السهم إذا وضعت فُوقَه فى الوتر : يضرب لمن تمكّن من طَلِبَته .

وقولهم : " أَضَرِطًا وأنت الأعلى ؟ " قاله سُلَيك بن سُلَكة السعدىّ، وذلك انه بينا هو نائم إذ جثم عليه رجل من الليل وقال : استأسِر فقال له سليك : الليل طويل وأنت مقمر، فأرسلها مثلا : ثم ضمه سليك بيديه ضمّة أضرطته، فقال له : أَضَرِطًا وأنت الأعلى فأرسلها مثلا : يضرب لمن يشكو فى غير موضع الشكوى .

وقولهم : " أَضَلَّتَ من عَشْرٍ ثمَانِياً " : يضرب لمن يفسد أكثر مايليه من الأمر .

وقولهم : " أَعْطِ أخاك تمرة، فإن أبَى فجمرة " : يضرب لمن يختار الهوان على الكرامة .

وقولهم : " أَكْذِبِ النَّفْسَ إذا حَدَّثْتَها " معناه لاتحدّث نفسك بأنك لاتظفر، فإن ذلك يثبّطك . قال لبيد

أَكْذِبِ النفس إذا حــدَّثتها   ·   إنّ صدق النفس يُزرى بالأمَلْ

وقولهم : " أَكِبْرًا وإمْعَارًا " أى أتجمع بين الكبر والفقر .

وقولهم : " أَمَكْرًا وأنت فى الحَدِيد؟ " هذا المثل قاله عبد الملك بن مروان لعمرو بن سعيد لما قبض عليه وكتّفه، فقال : يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن لاتفضَحنى بأن تخرجنى للناس فتقتلنى بحضرتهم فافعل . وإنما أراد عمرو بهذه المقالة أن يخالفه عبد الملك فيخرجه فيمنعه منه أصحابه . فقال : أبا أمية ! أمكرا وأنت فى الحديد : يضرب لمن أراد أن يمكر وهو مقهور .

وقولهم : "أَهْوَنُ هَالِكٍ عَجُوزٌ فى هام سَـنَةٍ" : يضرب للشىء يُستخفُّ به وبهـلاكه .

قال الشاعر

وأهون مفقود إذا الموتُ نابه * على المرء من أصحابه مَن تَقَنَّعا

وقولهم : "أوسعتُهم سَبًّا وأودَوْا بالإبل" أصله أن رجلا من العرب أُغير على إبله فأخذت، فلما تواروا صـعد أَكَمَةً وجعل يسُبّهم ثم رجع إلى قومه فسألوه عن إبله، فقال هذا المثل .

ويقـال : إن أوّل من قاله كعب بن زهير بن أبى سُلْمَى، وذلك أن الحارث بن ورقاء الصيداوى أغار على بنى عبـد الله بن غطفان وآستاق إبل زهير وراعيَه، فقال زهير فى ذلك قصيدته التى أوّلهـا

بان الخليطُ ولم يأووا لمن تركوا * وزوّدوك آشتياقا أيّةً سلكوا

وبعث بهـا إلى الحرث فلم يردّ الإبل، فهجاه، فقال كعب آبنه : أوسعتهم سبّا وأودوا بالإبل، فذهبت مثلا : يضرب لمن لم يكن عنده إلا الكلام .

وقولهم : "أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وسَعْدٌ مشْتَمِل" : هو سعد بن زيد مناة أخو مالك الذى يقال فيه : إبَلُ آبلُ من مالك . وذلك أن مالكا تزوّج بآمرأة وبنى بها فأورد الإبل أخوه سعد ولم يحسن القيام عليها والرفق بها، فقال مالك

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وسَعْدٌ مشتمِل ما هكذا تورَد يا سَـعْدُ الإبل

فضرب مثلا لمن قصّر فى طلب الأمر .

وقولهم : " إن الشَّقِيّ وَافِدُ البَرَاجم " قاله عمرو بن هنـد الملك . وذلك أن سُوَيْد بن ربيعة التميمىّ قتل أخاه سعد بن هند وهرب فنذر عمرو ليقتلن بأخيه مائة من بنى تميم، فسار إليهم بجمعه فلقيهم الخبر فتفرّقوا فى نواحى بلادهم فلم يجد إلا عجوزا كبيرة وهى حمراء بنت ضَمْرة، فلما نظر اليها قال : إنى لأحسبك أعجمية، قالت : لا والذى أسأله أن يخفض جَناحك، ويهدّ عمادك، ويضع وسادك، ويسلبك بلادك، ما أنا بأعجمية، قال : فمن أنتِ ؟ قالت : أنا بنت ضمرة بن جابر، ساد معدّا كابرا عن كابر، وأنا أخت ضمرة بن ضمرة، قال : فمن زوجك؟ قالت : هَوْذَة آبن جَرْوَل، قال : وأين هو الآن ؟ أما تعرفين مكانه؟ قالت : لو كنت أعلم مكانه حال بينى وبينك. فقال عمرو : أما والله لولا أنى أخاف أن تلدى مثل أبيك وأخيك وزوجك لأستبقيتك . فقالت : والله ما أدركتَ ثأرا ، ولا محوتَ عارا ، مع كلام كثير كلّمته به فأمر بإحراقها . فلما نظرت إلى النار، قالت : ألا فَتًى مَكَانَ عَجوز ! فذهبت مثلا. ثم مكثت ساعة فلم يفدها أحد، فقالت : هيهـات صارتِ الفتيان حُمَمًا . فذهبت مثلا ثم أُلقيت فى النار ولبث عمرو عامّة يومه لا يقدر على أحد ، حتّى إذا كان آخر النهار أقبل راكب يسمى عمّار تُوضع به راحلته حتى أناخ اليه، فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا رجل من البراجم، قال : فما جاء بك إلينا؟ قال : سطع الدخان وكنت طَوِيت منذ أيام فظننته طعاما. فقال عمرو : إن الشقىّ وافدُ البراجم. فذهبت مثلا وأمر به فألقى فى النار. قيل : إنه أحرق مائة من بنى تميم: تسعة وتسعين من بنى دارم، وواحدا من البراجم .

وقال بعضهم : مابلغنا أنه أصاب من بنى تميم غير وافد البراجم وإنما أحرق النساء والصبيان؛ قال جرير

وأخزاكُمُ عمرو كما قد خُزِيتُمُ * وأدرك عمّارا شقِيّ البَرَاجِمِ

ولذلك عُيِّرت بنو تميم بحب الطعام؛ قال الشاعر

إذا ما مات مَيْت من تميم * وسرّك أن يعيش، فجئْ بزادِ

بخُـــبْزٍ أو بلحم أو بتمـــر * أو الشّيءِ الملَفّف فى البِجادِ

تراه يُنَقِّب الآفاق حـولا * ليأكل رأسَ لقمانَ بن عادِ

وهذا المثل يضرب لمن يوقع نفسه فى هَلَكَة طمعا .

حرف البـاء

تقول العرب : " بلغ السيلُ الزُّبَى " هى جمع زُبيــة وهى حفرة تُحفر للأسد إذا أرادوا صيده لا يعلوها المـاء فإذا بلغها السيل كان مجحفا : يضرب لمن جاوز الحـدّ .

وقولهم : " بَيْنَ العَصَا ولِحَائِها " اللحاء : القشر : يضرب للتخالّيْن المتفقين ؛ ويروى : لا مدخل بين العصا ولحائها .

وقولهم : " بينهم داء الضرائر " هى جمع ضَرَّة يضرب للعـداوة إذا رسخت بين قوم .

وقولهم : " بينهم عِطْر مَنْشِم " قال الأصمعى : مَنْشِم كانت عطـارة بمكة وكانت خزعة وجُرْهُم إذا أرادوا القتال تطيّبوا من طيبها فإذا فعلوا ذلك كثرت

بينهم القتلى فكان يقال : أشأم من عطر منشم : يضرب فى الشرّ العظيم ، وفيه يقول زهـــير

تدارَكْتُما عبْسًا وذُبْيان بعد ما * تفانَوْا ودقُّوا بينهم عِطرَ منْشِمِ

وقولهم : "به داءُ ظَبْيٍ" : أى أنه لا داء به كما أن الظبي لا داء به، وقيل : ربمـا يكون بالظبي داء لا يعرف مكانه معناه أنّ به داءً لا يُعرف .

وقولهم : "بلغتِ الدِّمَاءُ الثُّنَنَ" الثُّنَةُ: الشعَرات التى فى مؤخّر رُسغ الدابّة : يضرب عند بلوغ الشرّ النهاية .

وقولهم : "بَرِحَ الخَفَاءُ" أى زال من قولهم ما برح ، والمعنى زال الشرّ فوضح الأمر، ويقال : الخفاء المتطأطئ من الأرض، والبراح المرتفع أى صار الخفاء بَراحا.

وقولهم : "بَنَانَ كفٍّ لَيْسَ فيها ساعِد" : يضرب لمن له همة ولا مقدرة له على ما فى نفسه .

وقولهم : "بات فلانٌ يَشْوِى القَرَاح" : يعنى المـاء الخالص لا يخالطه شيء: يضرب لمن ساءت حاله، وفقد ماله بحيث يشوى المـاء شهوةً للطبيخ .

وقولهم : "بَخٍ بَخٍ ساقٌ بخَلْخَالٍ" هى كلمة يقولها المتعجب من حسن الشيء وكماله . وأول من قال ذلك وِرْثَةُ بنت ثعلبة. وذلك أنّ ذُهل بن شيبان كان زوج وِرثة وكانت لا تترك له امرأة إلا ضربتها فتزوج رَقَاش بنت عمرو بن عثمان من بنى ثعلبة. فخرجت رقاش يوما وعليها خَلْخَالان؛ فقالت الورْثَةُ ذلك، فذهبت مثلا.

حرف التـاء

قولهم : "تَرَكَ الظَّبْيُ ظِلَّه" أى كِناسه الذى يستظلّ به : يضرب لمن نفر من شىء فتركه تركا لايعود له .

وقولهم : "تركتُه على مثلِ ليلةِ الصَّدَرِ" وهى ليـلة ينفر الناس من مِنًى فلا يبقى منهم احد .

وقولهم : " تركتُه أنقى من الرَّاحَة " أى على حال لا خير فيه كما لا شعر على الراحة : يضرب فى آصطلام الدهر .

وقولهم : "تَجُوعُ الحُرَّةُ ولا تأكُلُ بثَدْيَيْهَا" : أى لاتكون ظِـئْرًا و إن آذاها الجـوع .

اول من قاله الحارث بن سليل الأسدى"وكان حليفا لعلقمة بن حصفة الطائى"فزاره (٧) فنظر إلى آبنته الزَّبَّاء وكانت من أجمل أهل دهرها ، فقال : أتيتك خاطبا وقد يُنْكَح الخاطب . ويُدْرَك الطالب . ويُمْنَح الراغب . فقال له علقمة : أنت كفء كريم يُقْبَل منك الصفو . ويؤخَذ منك العفو . فأقِم تنظر فى أمرك ؛ ثم آنكفأ إلى أمها . فقال : إن الحارث سيّد قومه حسبا ومنصبا و بيتا . وقد خطب إلينا الزبّاء فلا ينصرفَنّ إلا بحاجته . فقالت المرأة لآبنتها : أى الرجال أحب إليك الكَهْل الجَحْجَاح . الواصل المنـاح ، أم الفتى الوضاح ؟ قالت : بل الفتى الوضّاح . فقالت : إن الفتى يغِيرك . و إن الشيخ يميرك ، وليس الكهل الفاضل . الكثير النائل . كالحديث السنّ ، الكثير المَنّ ؛ قالت يا أماه : إن الفتاة تحب الفتى . كحُبّ الرِّعاء أنيق الكلإ . قالت : أى

بنية! إن الفتى شديد الحجاب، كثير العتاب، قالت: إن الشيخ يُبْلِى شبَابى، ويدنّس ثيابى، ويُشْمِت بى أترابى . فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها، فتزوجها الحارث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم، فابتنى بها، ثم رحل بها إلى قومه فبينا هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهى إلى جانبه، إذ أقبل شباب من بنى أسد يعتلجون فتنفست الصُّعَدَاءَ، ثم أرخت عينيها بالبكاء، فقال: مايبكيك؟ قالت: مالى وللشيوخ، الناهضين كالفروخ، فقال لها: ثَكِلَتْكِ أمّك! تجوع الحرّة ولا تأكل بثدييها، ثم قال لها: وأبيك، لرب غارة شهدتُها، وسبِيَّة أردفتُها، وخمرة شربتُها، فالحقى بأهلك فلا حاجة لى فيك، وهذا المثل يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب .

وقولهم: "تَجَشَّأَ لُقْمَانُ من غير شِبَعٍ": يضرب لمن يدّعى ما ليس يملك .

وقولهم: "تُخْبِرُ عن مجهوله مَرْآتُه": أى منظره يخبر عن مَخبره .

وقولهم: "تَشكو إلى غير مُصَمِّتٍ": أى إلى من لم يهتم بشأنك. قال الشاعر

إنك لا تشكو إلى مُصَمِّتِ فاصْبِر على الحِمْل الثقيل أو مُتِ

وقولهم: "تجاوز الرَّوضَ إلى القاع القَرِق": يضرب لمن يعدل بحاجته من الكريم إلى اللئيم، والقَرِق: المستوى .

وقولهم: "تسمع بالمُعَيْدِىّ خيرٌ من أن تَراه" ويروى: لا أن تراه: يضرب لمن خبره خيرٌ من مرآه، أول من قاله: المنذر بن ماء السماء .

وقولهم : " تُقَطِّعُ أعناقَ الرجال المطامعُ " : يضرب فى ذمّ الطمع .

وقولهم : " تَقَلَّدها طَوْقَ الحمامة " كناية عن الخَصْلة القبيحة التى لا تزايله ولا تفارقه .

حرف الثاء

قولهم : " ثارَ حابِلُهم على نابلهم " الحابل : صاحب الحبالة ، والنابل : صاحب النبل أى آختلط أمرهم : يُضرَب فى فساد ذات البَيْن وتأريث الشرّ فى القوم .

وقولهم : " ثَوْر كِلَابٍ فى الرِّهان أَقْعَدُ " : هو كِلاب بن ربيعة بن عامر آبن صَعْصَعَة القيسىّ كان يحمق ، وذلك أنه آرتبط عجل ثور ليسابق عليه ، والأقعد من القَعِيد وهو المتخاف المتباطئ : يُضرَب لمن يروم مالا يكون .

حرف الجيم

قولهم : " جَرْى المُذَكِّيَاتِ غِلَاب " المُذَكِّيَة من الخيل التى أتى عليها بعد قُروحها سَنَةٌ أو سنتان والغِلاب المغالبة : يضرب لمن يوصف بالتبريز على أقرانه فى حلبة الفضل ، وأوّل من قاله نذكره إن شاء الله تعالى فى حرب داحس والغبراء .

وقولهم : " جَزَاء سِنِمّار " وهو لذى بنى الخَوَرْنق وتقدّم خبره فى مبانى العرب .

وقولهم : " جَرَحَه حيث لا يَضَعُ الراقى أَنْفَه " قالته جندلة بنت الحرث . وكانت تحت حنظلة بن مالك وهى عذراء ، وكان حنظلة شيخا كبيرا فخرجت فى ليلة

مطيرة فبصر بها رجل فوثب عليها وآفتضّها، فصاحت وقالت : لُسِعت . قيل أين؟ قالت : حيث لا يضع الراقى أنفه : يضرب لمن يقع فى أمر لاحيلة له فى الخروج منه .

وقولهم : " جَعْجَعَةٌ ولا أَرَى طِحْناً " : يضرب لمن يعد ولا يفى .

وقولهم : " جَرَى منه مَجْرَى اللَّدُود " وهو ما يُصبّ فى أحد شِقّ الفم من الدواء ، يضرب لمن يُبْغَض ويُكْرَه .

وقولهم : " جَمَاعةٌ على أَقْذَاء " . معناه آجتماعٌ بالأبدان ، وآفتراق بالقلوب ، وهو بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم " هُدْنَةٌ على دَخَن " : يضرب لمن يُضْمِر أذى ويُظْهِر صفاء .

وقولهم : " جَارٌ كجَارِ أبى دُؤَاد " يعنون كعب بن مامة فإنه كان إذا جاوره رجل فإن مات وداه ، وإن هلك له بعير أو شاة أخلف عليه ، فضربت به العرب المثل فى حسن الجوار، قال طرفة

إِنِّى كفانى من أمر هممتُ به جَارٌ كجَارِ الحُذَاقِىّ الذى آتّصَفَا

والحذاقىّ هو أبو دؤاد .

وقولهم : " جَدَعَ الحَلَالُ أَنْفَ الْغَيْرَة " قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة زُفت فاطمة إلى علىّ رضى الله عنهما .

وقولهم : " جوِّع كلبَك يتبعْك " . أوّل من قال ذلك ملِك من ملوك حِمْير كان جائرا على أهل مملكته يسلبهم ما فى أيديهم وإن آمرأته سمعت صوت السؤّال (٨)

فقالت : إنى لأرحم هؤلاء وإنى لأخاف أن يكونوا عليك سباعا، بعدما كانوا لك أتباعا، فقال : جوّع كلبك يتبعك، ثم إنه غزا بهم ولم يقسم عليهم شيئا فقالوا لأخ له : قد ترى ما نحن فيه من الجهد ونحن نكره خروج الملك عنكم إلى غيركم فساعدنا على قتل أخيك وآجلس مكانه، فوافقهم على ذلك، ثم وثبوا على الملك فقتلوه، فمرّ به عامر بن جَذِيمة وهو مقتول، فقال : ربما أكل الكلب مؤدّبه اذا لم ينل شبعه، فأرسلها مثلا. والمثل يضرب فى اللئام وما ينبغى أن يعاملوا به .

وقولهم : "جاءتهم عَوانًا غيرَ بِكْرٍ" أى مستحكمة غير ضعيفة يريدون حربا أو داهية عظيمة .

وقولهم : "جاء بصحيفة المتلمّس" إذا جاء بالداهية ؛ وكان من خبر صحيفة المتلمس أن المتلمس وطرفة قدما على عمرو بن المنذر بن آمرئ القيس فجعلهما فى صحابة قابوس بن المنذر أخيه وأمرهما بلزومه، وكان قابوس شابا يعجبه اللهو، فطال بقاؤهما عنده، فهجا طرفة عمرا بأبيات فبلغته فاستدعاهما فحباهما بحباء وكتب معهما إلى أبى كَرِب عامله على هَجَر أن يقتلهما ، وقال : قد كتبت لكما بحباء ومعروف، فلما صدر من عنده، قال المتلمس لطرفة : هل لك فى كتابينا، فإن كان فيهما خير مضينا له، وإن كان شرّ آتقيناه، فأبى طرفة وقرأ المتلمس كتابه فإذا فيه السوءة فألقاه فى الماء وقال لطرفة : ألق كتابك فأبى ومضى بكتابه. قال : ومضى المتلمس حتى لحق بملوك بنى جَفْنة بالشام وسار طرفة بكتابه . فلما انتهى إلى العامل قتله .

وقولهم : "جَنْدَلَتَانِ آصْطَكَّتَا" : يضرب لِقِرْنَيْن يتصاولان .

وقولهم : "جَزَيْتُه حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْل" : للمكافأة .

وقولهم : "جاءوا على بَكْرَةِ أبيهم" أى جاءوا جميعا لم يتخلّف منهم أحد . وقيل : بل البكرة تأنيث البكر، يصفهم بالقلة أى بحيث تحملهم بكرة أبيهم . وقيل بل البكرة التى يُستقى عليها، معناه جاءوا بعضهم يتلو بعضا كدوران البكرة على نسق واحد ؛ وقيل : المراد بالبكرة الطريقة كأنهم جاءوا على طريقة أبيهم، وقال ابن الأعرابىّ : البكرة : جماعة من الناس أى بأجمعهم .

وقولهم : "جَاوَزَ الحِزَامُ الطُّبْيَيْنِ" : يضرب فى تجاوز الحدّ .

حرف الحاء

قولهم : "حَرِّكْ لَهَا حُوَارَهَا تَحِنّ" الحوار : ولد الناقة، والجمع القليل أحورة والكثير حُورَان وحِيران ؛ معناه ذكِّره بعض أشجانه يهِجْ له، قاله عمرو بن العاص لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام، أى أرِهِم دم عثمان على قميصه .

وقولهم : "حلبتُها بالساعد الأشدّ" أى أخذتها بالقوة إذ لم يتأتّ بالرفق .

وقولهم : "حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّة" أى مثلا بمثل : يضرب فى التسوية بين شيئين . ومثله : حذو النعل بالنعل . وقد تقدّم .

وقولهم : "حَلَبَ الدهرَ أَشْطُرَه" معناه أنه اختبر الدهر شطرى خيره وشرّه فعرف ما فيه .

وقولهم : "حَسْبُكَ من غِنًى شِبَعٌ ورِىٌّ" ؛ قال آمرؤ القيس

إذا ما لم تكن إبلٌ فَمِعْزى * كأنّ قُرونَ جِلّتِها العِصيُّ
فتملأ بيتنا أَقِطًا وسَمْنًا * وحَسْبُكَ من غِنًى شِبَعٌ ورِىُّ

قال أبو عبيدة : يحتمل معنيين أحدهما أعط كل ما كان لك وراء شِبَعك وريِّك، والآخر القناعة باليسير .

وقولهم : "حَسْبُكَ من القِلَادةِ ما أحاط بالعُنُق" أى آكتف بالقليل عن الكثير .

وقولهم : "حسبك من شَرٍّ سَمَاعُه" أى آكتف بسماعه ولا تعاينه ، قال : ويجوز أن يريد يكفيك سماع الشرّ وإن لم تقدم عليه ولم تُنسب إليه، والمثل قالته فاطمة بنت الخُرْشُب من بنى أنمار بن بغيض أمّ الربيع بن زياد، وذلك أن آبنها الربيع كان أخذ من قيس بن زهير بن جذيمة دِرْعا، فتعرّض قيس لأمّ الربيع وهى على راحلتها فأراد أن يذهب بها ليرتهنَها بالدرع ، فقالت له : أين عزُب عنك عقلك ياقيس؟ أترى بنى زياد مصالحيك! وقد ذهبتَ بأمّهم يمينا وشمالا وقال الناس ما قالوا وشاءوا، وإن حسبك من شرٍّ سماعه، فذهبت كلمتها مثلا تقول : كفى بمقالة عار وإن كان باطلا .

وقولهم : "حلّقت به عَنْقَاءُ مُغْرِب" : يضرب لما يُأس منه؛ قال الشاعر

إذا ما آبنُ عبد الله خلّى مكانه   فقد حَلَّقَتْ بالجود عنقاءُ مُغْرِبُ

قال الميدانىّ : والعنقاء طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم يقال : كان بأرض الرّسّ جبل يقال له : دَمْخ مصعّد فى السماء، وكان يأتيه طائر عظيم ذو عنق

طويلة، وهى من أحسن الطير، فيها من كل لون، وكانت تقع منتصبة وتنقض على الطير فتأكلها. فجاءت يوما وأعوزها الطير فانقضّت على صبى فذهبت به فسميت عنقاء مغرب: لأنها تغرب بكل ما تأخذه، ثم انقضّت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضمتها إلى جناحين لها صغيرين سوى جناحيها الكبيرين ثم طارت، فشكوا ذلك إلى نبيّهم: خالد بن صفوان، فقال: اللهم خذها واقطع نسلها وسلّط عليها آفة! فأصابتها صاعقة فاحترقت فضربتها العرب مثلا.

قال عنترة بن الأخرس الطائى فى مرثية خالد بن زيد

لقد حلّقت بالجود عنقاء كاسرٌ ... كفتخاءِ دمخ حلّقت بالحَزَوّر

فما إن لها بيضٌ فيُعرفُ بيضُها ... ولا شبهُ طير منجدٍ أو مُغوّرِ

وقولهم: "حتّام تكْرَعُ ولا تنْقَعُ" كرع إذا تناول الماء بفيه من موضعه: يضرب للحريص فى جمع الشىء.

وقولهم: "حَسْبُكَ من إنْضَاجِه أن تقتلَه": يضرب لطالب الثأر فيقول: لأقتلن فلا. وقوله أجمعين يقال: لا تعدّ. حسبك أن تدرك ثأرك وطلبتك: ويضرب للمعدوّ خذ.

حرف الخاء

قولهم: "خَيْرَ حَبَّيْكِ تَنْضَحِين": يضرب لمن يكافئ المحسن بالإساءة، ومثله: خيرٌ بناءيك تكفئين.

وقولهم: "خامِرِي أمّ عامِر" معناه استترى، وأمّ عامر: الضبع، يشبه بها الأحمق، ومثله: خامِرِى حَضاجِر، أتاك ما تحاذِر: وهو اسم للذكر والأنثى من الضباع.

وقولهم: "خلا لكِ الجوُّ فبيضِى واصْفِرِى" قاله طرفة بن العبد، وكان فى سفر مع عمّه فنصب فخّاً للقنابر ونثر حَبّاً فلم يصد شيئاً، فلما تحملوا رأى القنابر يلقطن الحبّ الذى نثره لهنّ، فقال فى ذلك

يا لك من قنبرةٍ بِمعمرِ! خلا لك الجوّ فبيضى واصفِرِى
ونقِّرِى ما شئتِ أن تنقّرِى قد رحل الصيّاد عنك فابشِرِى
ورفَع الفخّ فما ذا تحذرى؟ لابدّ من صيدك يوما فاصبِرِى!

يضرب فى الحاجة يتمكّن منها صاحبها.

وقولهم: "خَلْعُ الدِّرْعِ بِيد الزَّوْج" المثل لرَقَاش بنت عمرو بن ثعلب بن وائل. وكان زوجها كعب بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة. فقال لها: اخلعيه. فقالت: خَلْعُ الدِّرع بيد الزَّوج. فقال: اخلعيه لأنظر إليك. فقالت: التجرُّدُ لغير النكاح مُثلَةٌ. فذهبت كلمتاها مثلين يضربان فى وضع الشىء فى غير موضعه.

وقولهم

"خَلِّ سبيلَ مَنْ وَهَى سِقاؤُهُ وَمَنْ هُرِيقَ بالفَلاة ماؤُهُ"

يُضرَب لمن كره صحبتك وزهد فيك.

وقولهم: "خَمْرُ أبِى الرَّوْقاءِ لَيسَتْ تُسكِر": يضرب للغنىّ الذى لا يفضل على أحد.

حرف الدال

قولهم : " دَمِّثْ لجَنْبك قبل النَّوم مُضْطَجَعا " أى آستعدّ للنوائب قبل حلولها ؛ والتدميث : التليين .

وقولهم : " دَعِ آمرءًا وما آخْتَار " : يُضرَب لمن لا يقبل النصح ؛ قال الشاعر

إذا المــرءُ لم يدرِ ما أمكنَهْ ... ولم يأتِ من أمره أَزينــهْ !
وأَعجبَــهُ العُجبُ فاقتــادَهُ ... وتاهَ به التِّيــهُ فآستحسنهْ ،
فدعْهُ فقــد ســاءَ تدبيرهُ ... سيضحَكُ يومًا ويبكى سنَهْ !

حرف الذال

(١٠) قولهم : " ذَكَّرَنِي فُوكِ حِمَارَىْ أَهلِي " أصله أن رجلا خرج يطلب حمارين ضلّا له ، فرأى امرأةً فأعجبته فنسى حمارين ، فلما أسفرت عن وجهها رآها فَوْهاء فقال : ذكّرنى فوكِ حمارَىْ أهلى ، وقال

بت نُقبَ على النساء مُحرَّمٌ ... كى لا تَغُــرَّ قبيحةٌ إنسانا

وقولهم : " ذهبوا أيدِى سَبَا " وقال : تفرقوا ، أى تفرّقوا تفريقا لا آجتماع معــه .

وقصة سبإ حين تفرقوا بسبب سَيْل العَرِم مشهورة ، وسنذكرها إن شاء الله تعالى ثم تدرج .

وقولهم: "ذهبوا شَغَرَ بَغَرَ، وشَذَرَ مَذَرَ، وخِذَعَ مِذَعَ" أى فى كل وجه .

وقولهم: "ذَلَّ بعد شِمَاسِه اليَعْفُورُ": يضرب لمن انقاد بعد جماحه؛ واليعفور: فرس .

وقولهم: "ذَهَبَتَ طُولا، وعَدِمتَ معقولا": يضرب للطويل بلا طائل .

حرف الراء

قولهم: "رمتْنِى بدائها وانْسَلَّت" أصل هذا المثل: أن سعد بن زيد مناة تزوّج رُهْمَ ابنة الخزرج، وكانت من أجمل النساء، وكان ضرائرها إذا سابَبْنَها يقلْن لها: ياعفلاء، فقالت لها أمها: إذا سابَبْنَكِ فبدئيهنّ بذلك، ففعلت رُهْم ذلك مع ضرّتها، فقالت: رمتنى بدائها وانسلّت، فذهبت مثلا: يضرب لمن يُعيِّر الآخر بما هو يُعيَّر به .

وقولهم: "رماه بثالثة الأَثَافِى" وهى قطعة من الجبل يوضع إلى جنبها حجران ويُنصب عليها القدر: يضرب لمن رُمِى بداهية عظيمة .

وقولهم: "رُبَّ صَلَفٍ تحت الراعِدة" الصَّلَف: قلة الخير، والراعدة: السحابة ذات الرعد: يضرب للبخيل مع السعة .

وقولهم: "رَجَعَ بِخُفَّى حُنَيْن" أصله أن حُنَيْنا كان إسكافا بالحيرة، فساومه أعرابى بخفّين فاختلفا حتى أغضبه، فلما ارتحل الأعرابى أخذ حنين خفيه فألقى أحدهما على طريق الأعرابى، ثم ألقى الآخر بموضع آخر على طريقه، فلما مرّ الأعرابى بالخف الأول قال: ما أشبه هذا بخف حنين ولو كان معه الآخر لأخذته .

ثم مرّ بالآخر فندم على ترك الأول فأناخ راحلتــه وانصرف إلى الأول وقد كمَن له حنين ، فأخذ الراحلة وذهب بهـا وأقبل الأعرابىّ إلى أهـله ليس معه غير خفّى حنين، فذهبت مثلا : يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة .

وقولهم : "رُبَّ ساعٍ لقاعد ، وآكلٍ غير حامد" أول من قاله النابغة الذُّبيانى . وكان سبب ذلك أن وفدًا وفدَ إلى النعمان وفيهم رجل من بنى عَبْس يقال له : شَقِيق، فمات عنده، فلما حبا النعمان الوفود بعث بحبائه إلى أهله ، فقال النابغة فى ذلك

أتى أَهلَه منــه حِباءٌ ونعمةٌ * ورُبَّ امرئٍ يسعى لآخرَ قاعدِ

وقولهم : "رُبَّ مَلوم لَا ذَنْبَ لَه" قاله أكثم بن صيفىّ ، معناه قــد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه وهم لا يعرفون عذره؛ وقيل : إن رجلا قال للأحنف ابن قيس : أنا أبغض التمر والزبد ، فقال : ربَّ ملوم لا ذنب له .

وقولهم : "رُبَّ كَلِمةٍ تقول لصاحِبِها دَعْنِي" : يضرب فى النهى عن الإكثار مخافة الإهجار ، ذكروا أن ملكا من ملوك حِمْير خرج إلى الصيد ومعه نديم له فوقفا على صخرة مساء، فقال النديم : لو أن إنسانا ذُبح على هذه الصخرة إلى أين كان يبلغ دمه . فأمر بذبحه ، وقال : ربَّ كلمة تقول لصاحبها دعنى .

ومنه قولهم : "رُبَّ رَأْسٍ حَصِيدُ لِسَان" : يضرب للأمر بالسكوت .

وقولهم : "رُدَّ الحَجَرَ من حيث جاءك" : أى لا تقبل الضَّيْمَ وارم من رماك .

حرف الزاى

قولهم : " زُيِّنَ فى عَيْنِ والِدٍ وَلَدُه " : يضرب فى عجب الرجل برهطه .

وقولهم : " زَاحِمْ بعَوْد أَوْ دع " اى لا تستعن إلا بأهل السنّ والتجربة .

وقولهم : "زَوْجٌ مِنْ عُود ، خير من قُعُود" ، قالته بعض نساء العرب ، قالوا : كان ذوالإصبع العَدْوانِىّ غيورا ، وله بنات أربع ، وكان لايزوّجهنّ غَيرة عليهنّ ، فاستمع عليهنّ يوما وقد خلَوْن يتحدّثن ، فقالت إحداهنّ : لتقل كلُّ واحدة منا ما فى نفسها ، ولنصدقنّ جميعا ، فاشتهت كلّ واحدة من الثلاثة زوجا وصفتْ من جماله وكماله وسعة حاله ، ثم أبت الصغرى أن تتكلّم ، فقالوا : لابدّ أن تقولى ، وألحّوا عليها ، فقالت : (١١) زَوجٌ من عُود ، خيرٌ من قُعُود ، فزوّجهنّ .

وقولهم : "زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا" قاله مَعاذ بن صَرم الخزاعىّ . وكانت أمّه من عَكّ ، وكان يكثر من زيارة أخواله ، فأقام فيهم زمانا ، ثم خرج يتصيّد مع بنى أخواله ، فحمل على عير ، فلحقه ابن خال له يقال له : الغضبان فتخاصما ، فقال له الغضبان : والله ! لو كان فيك خير لما تركت قومك ، فقال : زُرْ غِبًّا ، تزدْ حبًّ ، فأرسلها مثلا . وفى ذلك يقول الشاعر

إذا شئتَ أن تُقلَى فَزُرْ متواتِرًا ۞ وإن شئتَ أن تَزدادَ حُبًّا فزُرْ غِبًّا

وقال آخر

عليكَ بإغبابِ الزيارة إنها ۞ إذا كثُرتْ كانت إلى الهجر مَسلكا

ألم ترَ أنّ القطرَ يُسأَمُ دائبًا ۞ ويُسأَلُ بالأيدى إذا هو أمسكا

حرف السين

قولهم: "سبَقَ السيفُ العذَل" قاله ضبةُ بن أدّ لما لامه الناس على قتل قاتل ابنه في الحرم، ويقال: إنه لخُزَيْم بن نوفل الهمدانيّ.

وقولهم: "سَقَطَ العَشَاء به على سِرْحان" أصله أن رجلا خرج يلتمس العَشَاء، فوقع على ذئب فأكله، وقال ابن الأعرابيّ: أصله أن رجلا من بني غَنِيّ يقال له: سِرْحانُ ابن هزلة كان بطلا فاتكا فقال رجل! والله لأرعينّ إبلي هذا الوادي، فورد بإبله، فوجد سرحانَ فقتله، وأخذ إبله وقال

أبلغْ نصيحةَ: أنّ راعِيَ أهلِها ... سقط العَشَاء به على سِرْحانِ
سَقط العَشَاءُ به على مُتقَمّرٍ ... طَلْقِ اليدين مُعَاوِدٍ لِطِعانِ

يضرب في طلب الحاجة يؤدّي صاحبها إلى التلف.

ومثله قولهم: "سقط العَشَاءُ به على مُتَقَمّرٍ" وهو الأسد.

وقولهم: "سَكتَ أَلْفًا، ونَطَق خَلْفًا" الخَلْف: الرديء من القول وغيره.

وقولهم: "سَاءَ سَمْعًا فأَساء جَابَة" أوّل من قاله سُهَيل بن عمرو أخو بني عمرو، وكان قد خرج بابنه أَنَس، فوقف بحَزْورة مكة، فأقبل الأخنس بن شَريق الثّقفيّ فقال له: من هذا؟ فقال: ابني! فقال: حياك الله يافتى [أين أمُّك؟] فقال: لا والله، أُمّي في البيت. ولكنها انطلقت إلى أمّ حنظلة تطحن دقيقا، فقال أبوه: ساء سمعا فأساء جابةً. فأرسلها مثلا.

وقولهم : " سحابٌ نَوْءٍ ماؤُه حَمِيم " : يضرب لمن له لسان لطيف وليس وراءه خير .

وقولهم : " سوء الاستمساك خير من حُسْن الصِّرْعة " : معناه حصول البعض مع الاحتياط خيرٌ من الكلّ مع التهوّر .

حرف الشين

قولهم : " شُخْبٌ فى الإناء وشُخْبٌ فى الأرض " : يضرب لمن يتكلّم فيصيب مرة ويخطئ أخرى .

وقولهم : " شَرِقَ بالرِّيق " أى ضرّه أقرب الأشياء إلى نفعه .

وقولهم : " شِنْشِنَةٌ أعرفها من أخزَم " قاله أبو أخزم الطائىّ : وكان له ابن يقال له : أخزم، فمات وترك بنين، فوثبوا على جدّهم يوماً فأدموه، وكان أبوهم عاقًّا له فقال

إنّ بَنِىّ ضرَّجُونى بالدَّمِ . شِنْشِنةٌ أعرفها من أخزمِ

والشنشنة : الطبيعة والعادة : يضرب فى قرب الشبه .

وقولهم : " شَمِّرْ ذَيْلا، وادَّرِعْ ليْلا " : يضرب على الحثّ فى الجدّ والنصب .

وقولهم : " شَنُوءة بين يتامى رُضَّع " الشنوءة : ما يستقذر من القول والفعل : يضرب لقوم اجتمعوا على فجور وفاحشة ليس فيهم مرشد ولا ناهٍ .

وقولهم : " شَيْخٌ بحَوْران له ألقاب " وبعده ذئب وعقعق وغراب

حَوْران أرض الشام : يضرب لمن يظهر لبس العفاف، ومن حقّه أن يحترز منه .

وقولهم : " شَغَلَ الحَلْىُ أهلَه أن يُعارا " : يضرب للمسئول شيئا هو إليـه أحوج من السائل .

وقولهم : " شَبَّ عَمْرٌو عن الطَّوْق " قاله جَذيمة الأبرش، وعمرو هـذا هو آبن أخته وهو عمرو بن عدىّ بن نَصْر .

حرف الصـاد

قولهم : " صَبرًا على مَجامِر الكِرام " قال ذلك يَسَارُ الكواعب، وكان عبـدا أسودَ يَرْعَى لأهله إبلا ضخمة ، وكان معه عبد يراعيه، فمرّ أهله يوما سائرين بحذاء الإبل التى يرعاها، فعمد إلى لَقُوح فحلبها فى علبة، حتّى ملأها ثم مشى بها ، وكان أفحج رجّلين، حتى أتى بها ابنة مولاه يسقيها، وهى راكبة على جملها، فنظرت إلى رجْليه فتبسمت، ثم شربت اللبن وجزّته خيرا، فانطلق فرِحا حتّى أتى صاحبه، فقصّ عليه القصة. فقال : آسخر بنفسك ولا تسخر ببنات الأحرار، فقال : والله لقد دَحِكت بى دِحْكةً لا أُخَيِّبُها، يريد: ضحِكت، وكان أعجمىّ اللسان، ثم بانا فقام فحلب فى علبة فملأها ، ثم أتى آبنة مولاه، فنبّهها من نومها فاستيقظت وشربت . ثم آضطجعت وجلس يسار حِيالَها. فقالت : ما حاجتك؟ فقال : ما أعلمَكِ بحاجتى ! فقالت : لا وأبيك! فما هى؟ قال : دلك الرجل الذى دحكتِ إلىّ . فقالت : حيّاك الله ، وقامت إلى سَفَطٍ لها فأخرجت منه بَخورا ودُهنا طيبا، وعمدت إلى موسى كانت تحفّ به شعرها، وأخذت مجمرةً بها نار، فوضعت عليها البخور ووضعتها تحته، وصادفت [illegible] فمسحتها بالموسى، فلما أحس بحرارة [illegible] قال : صبرًا على مجامر الكرام، ثم أهوت إلى أنفها لتدهنه وقالت :

إن هذا دهن طيب، إلا أن فيه حرارةً فتصبَّر عليه، فإن ريحك ريح الإبل وأنا أعافك، ثم أشمّته الدهن على الموسى، ورفعته فوضعته بين عينيه فاستَلَتَتْ بها أنفه . وقالت : قم إلى إبلك يابن الخبيثة، فأتى صاحبه، فلما رآه . قال : أمقبل أنت أم مدبر ؟ قال : أخزاك الله، أوَقد عمى بصرُك ؟

إذ لا ترى أنفا ولا أذنينِ ۔ أما ترى وبّاصة العينينِ

هذا أحد الأقوال فى هذا المثل : يضرب لمن يؤمر بالصبر على ما يكره . ويقال: إن أعرابيا قدم الخمر ببابل ، فباعها بمال كثير وأقام لحوائج له . ففطن قوم من جيرته لما معه من المال . فعرضوا عليه تزويج جارية وصفوها بالجمال والحسب طمعا فى ماله ، فرغب فيها فزوّجوه إياها ، ثم اتخذوا طعاما وجمعوا الحىّ . وجلس الأعرابىّ فى صدر المجلس ، فأكلوا الطعام وأداروا الكؤوس وشرب الأعرابىّ ، ثم أتوه بكسوة فاخرة ، فلبسها وقدّموا له مِجْمَرة فيها بخور لاعهد له به ، وكان لايلبس السراويل . فلما جلس على المجمرة ، سقطت مذاكيره فى النار . فظن أن ذلك سُنّة لابدّ منها ، واستحيا أن يكشف ثوبه . فقال : صبرا على مجامر الكرام . فذهبت مثلا واحترقت مذاكيره . وتعرّف لقومه ، ورحل عن البادية وترك المرأة والمال . فلما وصل إلى قومه وقصّ عليهم القصة ، قالوا : ستُّ ما تعوّذت لمجمر . فذهبت مثلا : يضرب لمن لا قديم له .

وقولهم : "صار الزُّجُّ قُدَّامَ السِّنَانِ" : يضرب فى سبق متأخّرٍ متقدّمَه من غير استحقاق لذلك .

وقولهم : "صَرَّحَ مَحْضٌ عن زُبْدٍ" : يضرب للأمر يتكشف ويتبيّن .

وقولهم : "صَفْقَةٌ لم يَشْهَدْها حاطِبٌ" هو حاطب بن أبى بلتعة كان حازما، فباع بعض أهله بيعة غُبِن فيها حين لم يشهدها حاطب، فسارت مثلا لكلّ أمر ينبرم دون صاحبه .

حرف الضـاد

قولهم : "ضَرَبَهُ ضَرْبَ غرائب الإبل" وذلك أن الغريبة تزدحم على الحياض عنـد الورود، وصاحب الحوض يطردها ويضربها بسبب إبله : يضرب فى دفع الظالم عن ظلمه بأشدّ ما يمكن .

وقولهم : "ضَلَّ الدُّرَيْصُ نَفَقَه" الدُّرَيص : ولد الفأرة واليربوع والهرّة وأشباه ذلك، ونفقه : جحره : يضرب لمن يُعْنى بأمره ويُعِدّ حُجّةً لخَصْمه، فَيَنْسَى عند الحـاجة .

وقولهم : "ضَـلَّ حِلْمُ آمرأةٍ فأين عيناها ؟" أى هَبْ أنّ عقلهـا ذهب فأين ذهب بصرها ؟ : يضرب فى آستبعاد عقل الحليم .

وقولهم : "ضَائِفُ اللَّيْث قتيلُ الْمَحْل" : يضرب لمن آضطرّ لشىء فغرّر بنفسه فى طلبه .

حرف الطـاء

قولهم : "طويتُه على بِلَالِه وعلى بُلُلَتِه" قال الشاعر

وصاحبٍ مُرَامِقٍ دجيتُهُ   على بِلَال نفسـه طويتُهُ

ويقال : طويت السقاء على بُلَلَتِه إذا طويته وهو نَدٍ لأنه إن طُوِى يابسا تكسّر، وإن طوى نديّا عَفِن : يضرب للرجل يحمل على ما فيه من العيب؛ قال الشاعر

ولقد طويتُكمُ على بُلُلَاتِكم * وعلِمتُ ما فيكم من الأذرابِ
فإذا القرابة لا تُقَرِّبُ قاطعا * وإذا المودّة أقربُ الأنسابِ

والأذراب : جمع ذَرَبٍ وهو الفساد .

وقولهم : " طويتُه على غَرِّه " : غَرُّ الثوبِ : أثر كسره الأوّل : يضرب لمن يُوكَل إلى رأيه وما آنطوى عليه .

حرف الظاء (١٣)

قولهم : " ظالِعٌ يَعودُ كَسِيرا " : يضرب للضعيف يَنصُر من هو أضعف منه .

وقولهم : " ظِئْرٌ رَءوم، خيرٌ من أُمٍّ سؤوم " : الظئر : الحاضنة، والرءوم : العطوف، والسؤوم : الملول : يضرب في عدم الشفقة وقلة الاهتمام .

وقولهم : " ظاهِرُ العِتاب خيرٌ من باطن الحِقْد " معناه ظاهر .

وقولهم : " ظِلَالُ صيفٍ ما لها قِطار" : يضرب لمن له ثروة ولا يُجدى على أحد .

حرف العين

قولهم : " عند الصباح يَحْمَدُ القومُ السُّرَى " أوّل من قاله خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنه، وكان باليمامة أن يسير إلى العراق، ونالته مشقة بسبب العطش، فسرى حتى أدرك الماء فقال : عند الصباح يحمد القوم السرى : يضرب لمن يحمل المشقة رجاء الراحة .

وقولهم : " عند جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليقين " : يضرب في معرفة الشيء حقيقة .

وقولهم : " عيرٌ عَارَهُ وَتِدُه " أى أهلكه ، وأصـله أن رجلا أشفق على حماره فربطه إلى وتد ، فهجم عليه السبع فلم يمكنه الفرار فأهلكه .

وقولهم : " عند النِّطاح يُغْلَبُ الكَبْشُ الأَجَمّ " وهو الذى لا قرن له : يضرب لمن غلبه صاحبه بمـا أعدّ له .

وقولهم : " على أهلها تَجْنِي بَرَاقِش " قالوا : كانت براقشُ كلبـةً لقوم من العرب ، فأغير عليهم فهربوا وهى معهم ، فنبحت فاتبع القوم آثارهم بنُباحها ، فأدركوهم فقتلوهم . ففيها يقول حمزة بن بِيْض

بل جناها أخٌ علىّ كريمٌ * وعلى أهلها بَرَاقِشُ تَجْنِي

وقيل فى هذا المثل غير ذلك .

وقولهم : " عسى الغُوَيْر أبْؤُسا " الغُوَيْر : تصغير غارٍ ، والابؤس : جمع بؤس وهو الشدّة . قالته الزَّبّاء عند رجوع قَصِـير من العراق ، ومعه الرجال ، وكان الغوير على طريقه ، ومعناه لعل الشرّ يأتيكم من قبل الغار : يضرب للرجل يقال له : لعل الشرّ جاء من قبلك .

وقولهم : " عُشْبٌ ولا بَعِير " : يضرب للرجل له مال كثير ولا ينفقه على نفسه ولا على غيره .

وقولهم : " عَادَ غَيثٌ على مَا أفْسَد " : يضرب للرجل فيه فساد ، وصلاحه أكثر .

وقولهم : " عاد السهمُ الى النَّزَعة " أى رجع الحق إلى أهله .

وقولهم : " عصا الجبانِ أطول " لانه يفعل ذلك من فشله ، يرى أن طولها أشدُّ ترهيبا لعدوّه من قِصَرها .

وقولهم : " على الخبير سَقَطْت " المثل لمالك بن جُبَير العامرىّ، وتمثّل به الفرزدق حين لقى الحسينَ بن علىّ رضى الله عنهما، عند مقدمه من العراق وخروج الحسين إليـــه وقد قال له : ما وراءك ؟ فقال : على الخبير سقطْتَ، قلوبُ الناس معك، وسيوفهم مع بنى أميّة، والنصر من السماء .

وقولهم : " عادة السُّوءِ شَرٌّ من المَغْرَم " معناه أن المَغْرَم إذ أدّيته فارقت، وعادة السوء لا تفارق صاحبها .

وقولهم : " عَجْعَجَ لمّــا عَضّهُ الظّعَان " أى صاح ، والظعان : نِسْعٌ يُشدّ به الهَوْدَجُ : يُضرَب لمن يَضجّ إذا لَزِمَهُ الحقّ .

وقولهم : " عندَ الرِّهانــ تُعرَف السّوابق " : يُضرَب لمن يدّعى ما ليس فيه .

وقولهم : "عادَ الأمرُ إلى نِصبه" : يُضرَب فى الأمر يتولّاه ربه .

وقولهم : "عَيْنُكَ عَبْرَى والفُؤادُ فى دَدٍ" الدَّدُ والدَّدَنُ والدَّدَا : اللعبُ واللهوُ : يُضرَب لمن يُظهر حزنًا وفى قلبه خلاف ذلك .

وقولهم : "عُرْفُطَةٌ تُسْقَى مِنَ الغَوادق" ويروى : الغوبق، العُرْفُطة : شجرة خَشِنَة المسّ، والغَوَدق : السحاب الكثير الماء : يُضرَب للشرير يُكرَم ويُبجّل .

حرف الغين

قولهم: "غُدَّةٌ كغُدَّة البَعير ومَوْتٌ فى بَيْت سَلُولِيَّة" قاله عامر بن الطُّفَيل ؛
وذلك أنه لمـا قَدم على النبىّ صلى الله عليه وسلم ! وقدم معه أَرْبَد بن قَيْس اخو لَبيد
آبن رَبيعة العامرىّ الشاعر لأمّه ، فقال رجل : يا رسول الله ، هذا عامر بن الطُّفَيل
قد أقبل ، قال : "دعهُ ، فإن يُرد الله به خيرًا يهده" فأقبل حتى قام عليه ، فقال : يا محمد ،
مالى إن أسلمتُ ؟ قال : " لك ما للسلمين وعليك ما عليهم " قال : تجعل لى الأمر
بعدك ، قال : "ليس ذاك إلىّ ، إنمـا ذاك إلى الله تعالى يجعله حيث يشاء" قال : (١٤)
فتجعلنى على الوَبَر وأنت على المَدَر ، قال : " لا " قال : فما ذا تجعل لى ؟ قال : "أجعل
لك أعنّة الخيل تغزو عليها" ، قال : أو ليس ذلك إلىّ اليوم ؟ وكان قد أوصى إلى
أَرْبَد بن قَيْس : " إذا رأيتنى أُكلّمه فدُر من خلفه فاضربه بالسيف" فاخترط أَرْبَد
سيفه شبرًا فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سَلّه ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرأى أَرْبَد ومايصنع بسيفه ، فقال : "اللهمّ اكفنيهما بمـا شئت" فأرسل الله تعالى
على أَرْبَد صاعقةً فى يوم صائف صاحٍ فأحرقته ، وولّى عامر بن الطُّفَيل هاربًا وقال :
يامحمد ، دعوتَ ربّك فقُتِل أَرْبَد ، والله لأملأنّها عليك خيلا جُرْدا وفتيانا مُرْدا ، فقال :
رسول الله صلى الله عليه وسلم " يمنعك الله من ذلك " فسار عامر حتى نَزَل ببيت
امرأة سَلُولِيَّة . فخرجت على ركبته غُدَّةٌ عظيمة ، فقال : غدّة كغُدّة البعير ومَوْتٌ
فى بَيْت سَلُولِيّة ، ثم مات على ظهر فرسه ، وسَلُول أقلّ العرب وأذلّهم ، فسار كلامه مثلا :
يُضرَب فى خَصْلتين إحداهما شرٌّ من الأخرى .

وقولهم : " غَرَّنى بُرْدَاكَ من خَدَافِلى " ويروى : من غدافلى ؛ أصل المثل

أن رجلا استعار بُرْدَيِ آمرأة فلبسهما، ورمى بخُلْقَانٍ كانت عليه، فاسترجعت المرأة بُرْدَيها فقاله : يُضرَب لمن ضَيّع ماله طمعًا فى مال غيره .

حرف الفــاء

قولهم : " فى وَجْه المــالِ تَعرِفُ أُمْرَتَه " أى نماءه وخيره، ويقال: أَمِرَتْ أموالُ بنى فلان إذا نَمَتْ وكثُرَت : يُضرَب لمن يُستدلّ بحسن ظاهره على حسن باطنــه .

وقولهم : " فى بَيْتِــه يُؤْتَى الحَكَم " زعمت العرب أن الأرنب آلتقطت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها ، فانطلقا يختصمان إلى الضبّ . فقالت الأرنب : يا أبا الحِسْــل ، قال : سميعًا دعوتِ ، قالت : أتيناكَ لنختصم إليــك ، قال : عادلا حكَّمتما ، قالت : فآخرج إلينا ، قال : فى بيتــه يُؤْتَى الحَكَم ، قالت : إنى وجدتُ تمرةً ، قال : حُلوةٌ فكُليها ، قالت : فاختلسها الثعلب ، قال : لنفسه بغَى الخير ، قالت : لطمتُه ، قال : بحقِّك أخذتِ ، قالت : لطمَنِى ، قال : حُرٌّ آنتصر ، قالت : فاقض بيننا ، قال : حَدِّث حديثين آمرأةً ، فإن أبَتْ فأربعــةٌ ، فذهبتْ أقواله كلّها أمثالا .

وقولهم : " فتًى ولا كمالك " قاله مُتَمِّم بن نُوَيرة فى أخيه مالك لمّا قُتل .

وقولهم : " فى دُونِ هذا ما تُنكِرُ المرأةُ صاحِبَها " قاله جارية من مُزَيْنة . قال الحَكَم بن صَخْر الثقفى : خرجتُ منفردًا فرأيتُ بإِمَّرَة أو بِمَرّة موضع جاريتين أختين لم أرَ كجمالهما ، فكسوتُهما وأحسنتُ إليهما ، قال : ثم حججتُ من قابلٍ ومعى أهلى ، وقد آعتللتُ ونَصَل خضابى ، فلمّا صرتُ بإمَّرة ، إذا أحدهما قد جاءت ، فسألت

سؤال مُنْكِرة، قال فقلت : فلانة ؟ قالت : فِدًى لك أبى وأمى، أنّى تعرِفُنى وأُنكرك ؟ قال فقلتُ : أنا الحَكَم بن صَخْر، قالت : رأيتُك عامَ أوّل شاباً سُوقَةً، وأراك العام شيخًا ملِكًا، وفى دُون هذا ما تُنكِرُ المرأةُ صاحبها، فذهبت مثلا، قال قلت : مافعلتْ أختك ؟ قال : فتنفَّست الصُّعَداءَ، وقالت : تزوّجها آبن عم لها وذهب بها، فذاك حيث تقول

إذا ما قفَلْنا نحوَ نجْـد وأهلها . فحسبى من الدنيا قُفولٌ إلى نجد

قال قلت : أمَا إنى لو أدركتُها لتزوّجتُها . قالت : وما يمنعك من شريكتها فى حسنها وجمالها وشقيقتها ؟ قال قلت : يمنعنى من ذلك قول كُثيّر حيث يقول

إذا وصلتنا خُلّة كى تزيلنا . أبَينا وقلنا الحاجبيّة أوّل

فقالت : كثيّر بينى و بينك . أليس الذى يقول

هل وصل عَزّة إلا وصل غانية؟ . فى وصل غانيــة من وصلها خَلَفُ

قال : فتركت جوابها عيّا .

وقولهم : " فاتكةٌ واثقةٌ بِرِىٌّ " زعموا أن آمرأة كثر لبنها وطفقت تُهريقه، فقال لها زوجها : لِمَ تهريقينه ؟ فقالت : فاتكة واثقة برىّ : يضرب للمفسد الذى وراء ظهره ميسرة .

حرف القـاف

قولهم : " قطعتْ جَهِيزَةُ قولَ كلّ خَطيب " أصله أن قوما آجتمعوا يخطبون فى صلح بين حيّين . قتَل أحدهما من الآخر قتيلا ليرضوا بالدية ، فبيناهم فى ذلك إذ جاءت أمَة يقال لها : جَهِيزة، فقالت : إن القاتل قد ظَفِر به بعض

أولياء المقتول فقتله ، فقالوا : قطعت جهينة قول كلّ خطيب : يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بجهله .

وقولهم : "قَبْلَ البكاء كان وجهك عابسا" : يضرب للبخيل يعتلّ بالإعدام. (١٥) ومثله : "قَبْلَ النِّفَاسِ كنتِ مُصْفَرَّةً" .

وقولهم : "قَلَبَ الأمرَ ظَهراً لبطن" : يضرب فى حسن التدبير .

وقولهم : "قد شَمَّرتْ عن ساقها فشَمِّرى" : يضرب فى حثّ على الجدّ فى الأمر .

وقولهم : "قد يَضرِط العَيْر والمِكواةُ فى النار" قاله عُرفُطة بن عَرفَجَة سيّد بنى هِزّان. وكان بينه وبين الحُصَين بن نَبِيت العُكْلى حروب ووقائع . فقتلت عكل رجلا من بنى هِزّان. وأسر عُرفُطة من عُكْل رجلين. فقال لهما : أيّكما أفضل لأقتله بصاحبنا؟ فجعل كلّ واحد منهما يخبر أنّ صاحبه أكرم منه . فأمر بقتلهما جميعا. فقُدِّم أحدهما ليقتل. فجعل الآخر يَضرِط. فقال عَرفُطة : قد يضرط العير والمكواة فى النار، فأرسلها مثلا : يضرب للرجل يخوف بالأمر فيجزع قبل وقوعه . وهذا أحد الأقوال فيه، وقيل غير ذلك .

وقولهم : "قد بيّن الصبحُ لذى عينين" : يضرب فى ظهور الأمر كلّ الظهور .

وقولهم : "قد أُلصق [illegible]" : [illegible] فى الأنساب .

وقولهم : "قبل الرِّماء تُملأ الكنائن" أى يجب تهيئة الأمر قبل وقوعه .

ومثله . "قبل الرِّمي يُراش السهم" : يضرب فى تهيئة الآلة قبل الحاجة اليها .

وقولهم : "قَلَب له ظَهر المِجَنّ" : يضرب لمن كان لصاحبه على مودّة، ثم حال عن عهده .

وقولهم : "قد ألقَى عصاه" إذا آستقرّ من سفر أو غيره؛ يقال : إنه لمـا بويع لأبي العباس السفّاح، قام خطيبا فسقط القضيب من يده، فقام رجل من القوم وأنشد

فألقتْ عصاها وآستقرّ بها النوى * كما قــرّ عينًا بالإياب المســافرُ

وقولهم : "قد وَنَى طَرَفاه" : يضرب لمن ذلّ وضعُف عن أن يتمّ له أمر ؛ قال النجاشىّ

وإنّ فلانا والإمارة كالذى * وَنَى طَرَفاه بعد ما كان أجدعا

وقولهم : "قُدَّتْ سيورُهم من أديمك" : يضرب للشيئين يستويان فى الشبه قال الشاعر

وقُدّت من أديمهم سيورى *

وقولهم : "قد بلَغ الشِّظاظ الورِكَين" الشظاظ : عُوَيد يُجعـل فى عروة الجوالق : يضرب فيما جاوز الحدّ، وهو كقولهم : جاوز الحزامُ الطُّبْيين .

حرف الكاف

قولهم : "كان كُراعا، فصار ذراعا" : يضرب للذليل الضعيف صار عزيزا قويّا .

وقولهم : "كلامٌ كالعسَل . وفعلٌ كالأسَل" : يضرب فى آختلاف القول والفعل .

وقولهم : "كنتَ تبكي من الأثر العافى فقد لاقيتَ أُخدودا" : يضرب لمن يشكو القليل من الشرّ ثم يقع فى الكثير .

وقولهم : "كلّ ذات بعلٍ ستَئيم" هــذا من أمثال أكثم بن صيفىّ ، قال الشاعر

أفاطم إنى هالك فتثبّــتى ... ولا تجزعى، كلّ النساء تئيم

أى ستفارق زوجها .

وقولهم : "كلّ أزَبَّ نَفور" قاله زُهَير بن جَذِيمة لأخيه أُسيد، ونذكر الخبر فى وقائع العرب .

وقولهم : "كلّ فتاة بأبيها مُعجَبة" : يضرب فى عجب الرجل بعشيرته ورهطه .

وقولهم : "كلّ الصيْد فى جوف الفَرا" الفرا : الحمار الوحشىّ ، أصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيّدين، فاصطاد أحدهم أرنبا، والآخر ظبيا، والثالث حمارا، فتطاولا عليه بصيدهما ، فقال : كلّ الصيد فى جوف الفرا : يضرب لمن يفضّل على أقرانه، وقد تمثّل به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقولهم : "كَدَمْتَ غير مَكْدَم" : يضرب لمن يطلب شيئا فى غير مطلبه .

وقولهم : "كالثور يُضرب لمّا عافت البقر" : يضرب فى عقوبة البرىء بذنب المجرم، ويأتى ذكر ذلك فى أوابد العرب .

وقولهم : "كالكبش يحمل شَفْرةً وزِنادا" : يضرب لمن يتعرّض لمهلكة .

وقولهم : "كالمستغيث من الرمضاء بالنار" : يضرب فى خلّتين يجتمعان على الرجل .

وقولهم : " كالقابس العَجلان " : يضرب لمن عجّل فى طلب حاجته .

وقولهم : " كلاهما وتمرا " أوّل من قاله عمــرو بن حُمران الجعدىّ ، وذلك أنه مرّ برجل وبين يديه زُبد وسَــنام وتمر، فقال : أنلنى ممّــا بين يديك ، فقال : أيّهــا أحبّ إليك أزُبدٌ أم سَنام؟ فقال : كلاهما وتمرا ، فسارت مثلا .

وقولهم : " كالباحث عن المُدْيَة " يقال : إن رجلا وجد صيدا، ولم يكن معه ما يذبحه به ، فبحث الصيد بأظلافه فى الأرض ، فسقط على شفرة فذبحه بها : يضرب فى طلب الشىء يؤدّى صاحبه إلى تلف النفس .

وقولهم : " كذى العُرّ يُكوَى غيرُه وهو راتع " : يُضرب فى أخذ البرىء بذنب الجانى ، ويأتى ذكره فى أوابد العرب .

وقولهم : " كالمحتاض على عَرْض السراب " : يُضرب لمن يطمع فى محال .

وقولهم : " كلّ لياليه لنا حَنادس " : يُضرب لمن لا يصل إليك منه إلا ما تكره .

حرف اللام

قولهم : " لو ذاتُ سِوار لطمَتنى " معناه لو ظلمنى من كان كفؤا لى لهان علىّ ، ولكن ظلمنى من هو دونى ، وهو كقول بعضهم

بنو تيمٍ بَنَيْتَ بهم سَمِىّ خؤولته بنو عبد المَدان
لهان علىّ ما ألقى ولكن تعالَىْ فانظرى بمن ابتلانى

وقولهم : " لو غيرُ ذاتِ سِوارٍ لطَمَتنى " روى الأصمعىّ : أن حاتما الطائىّ مرّ ببلاد عنزة فى بعض الأشهر الحرم فناداه أسيرلهم : يا أبا سَفانة : أكلنى الإسار

والقمل، فقال: ويحك، أسأتَ إذ نوهت باسمى فى غير بلاد قومى، فساوم القومَ به ثم قال: أطلقوه واجعلوا يدىَّ فى القِدّ مكانه، ففعلوا ذلك؛ ثم جاءته امرأة ببعير ليفصده فنحره فلطمته فقال: لو غيرُ ذات سوار لطمتنى، يعنى أنى لا أقتصّ من النساء، ثم عُرِف، ففدى نفسه فداءً عظيما .

وقولهم: "لو تُرِكَ القَطا ليلا لنــام" قالته امرأة عمرو بن مامة، وقد نزل عليه قوم من مُرادٍ، فطرقوه ليلا، فأثاروا القطا، فرأته امرأته فنبّهته فقال: إنمــا هذا القطا، فقالت: لو تُرِكَ القطا ليلا لنام؛ فسار مثلا: يُضرب لمن حُمل على مكروه من غير إرادته؛ وقيل: إن التى قالته له حَذامِ بنت الريّان .

وقولهم: "لبِسَ له جِلْدَ النمِر": يضرب فى إظهار العداوة وكشفها .

وقولهم: "لقد ذَلّ من بالت عليــه الثعالب" أصله أن رجلا من العرب كان يعبد صنما، فجاء ثعلب فبال عليه؛ فقال فى ذلك:

أربٌّ يبول الثُّعلُبانُ برأسه؟ . لقد ذلّ من بالت عليه الثعالبُ

وقولهم: "ليس هذا بعشّكِ فادرُجى": يُضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره .

وقولهم: "لم أجِدْ لشَفْرتى مَحَزّا": يُضرب عذرا فى تعذّر حاجة .

وقولهم: "لو سئلت العاريةُ أين تذهبين لقالت أُكسبُ أهلى ذمّا" هذا من كلام أكثم بن صيفى: يُضرب فى سوء الجزاء للمنعم .

وقولهم: "ليس من العَدْل سرعة العَذْل" أى لا ينبغى أن تعجّل بالعذل قبل أن تعرف العذر .

وقولهم : " ليس القُدامَى كالخَوافِى " : يُضرب عند التفضيل .

وقولهم: " لو كُوِيتُ على داءٍ لم أُكْرَهْ " أى لو عوتبتُ على ذنب ما آمتعضتُ .

وقولهم: " ليس على الشَّرْق طَخَاءٌ يَحْجُبُ " أى ليس على الشمس سحاب: يُضرب فى الأمر المشهور الذى لا يخفى على أحد .

وقولهم : " لأكوينّه كيّة المتلوِّم " أى كيّا بليغا؛ والمتلوِّم : الذى يتتبّع الداء حتى يعلم مكانه : يُضرب فى التهديد الشديد .

وقولهم: " لأمرٍ مّا جدَع قَصِيرٌ أنفه " قالتــه الزّبّاء لمــا رأت قَصيرا مجدوعا؛ وخبره يأتى فى باب المكايد .

حرف المــيم

قولهم: " ما تَنفع الشَّفْعةُ فى الوادى الرُّغُب " الشَّفْعة: المطرة الهيّنة، والرُّغُب: الواسع : يضرب للذى يعطيك قليلا لا يقع منك مَوقعا .

وقولهم : " ما وراءكِ ياعِصام؟ " يقال: أوّل من قال ذلك الحارث بن عمرو ملك كندة، وذلك أنه بلغه جمال آبنة عَوف بن مُحَلِّم فأرسل إليها آمرأة ذات عقل ولسان، يقال لها : عِصام، وقال : آذهبي لتعلميني بحالها، فلما آنتهت إليها ونظرتها خرجت وهى تقول : " تَرَكَ الخِداعَ، مَن كَشَفَ القِناع " فذهبت مثلا، ثم عادت اليه، فقال لها : ما وراءكِ ياعصام ؟ فقالت : " صرّح المَحضُ عن الزُّبد " فأرسلتها مثلا، وساق الميدانىّ على هــذا المثل كلاما طويلا قالته عِصام فى وصف أعضاء المخطوبة .

وقولهم : " ما يومُ حَليمةَ بسرّ " هى حليمة بنت الحارث بن أبى شِمر، كان أبوها وجّه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء فأخرجتْ لهم طيبا فى مِرْكَنٍ فطيّبتهم، فلما آنتهت إلى لَبيد بن عمرو وذهبت لتُخلِّقه، قبّلها، فلطمته وأتت أباها، فقال لها : ويلكِ آسكتى عنه، فهو أرجاهم عندى ذكاءَ فؤادٍ، وإنى مرسله، فإن قُتل فقد كفى الله شرّه، فسار إلى المنـذر بالجيش، فقتلوا المنذر وكان يوما مشهورا . فقيل فيه : ما يوم حليمةَ بسرّ .

وقولهم : "ما أشبهَ الليلةَ بالبارحة " أى ما أشبهَ بعض القوم ببعض .

وقولهم : " مرْعًى ولا كالسَّعدان " قالوا : السَّعدان أخثر العُشبِ لبنـا، ومنابته السهول : يُضرب مثلا للشىء يفضَّل على أقرانه وأشكاله، وأوّل من قال المثل : خنساء بنت عمرو بن الشريد، وقيل : بل قالته آمرأة من طيِّئ تزوّجها آمرؤ القيس بن حُجْر الكِندىّ فقال لها : أين أنا من زوجكِ الأوّل ؟ فقالت : (١١) مرعًى ولا كالسّعدان، أى إنك إن كنت رضًا فلست كَفُلانٍ .

وقولهم : " ماءٌ ولا كصَدَّاء " صَدَّاءُ: ركيّة عذبة، قال ضِرار السعدىّ

وإنى وتَهيامى بزينبَ كالذى ، تطلّبَ من أحواض صَدَّاءَ مَشربَ

معناه أنه لا يصل إليها إلا بمزاحمة لفرط حسنها، كالذى يرِدُ ماءَ فإنه يزحم عليه لفرط عذوبته .

وقولهم : "محا السيفُ ما قال آبنُ دارةَ أجمعا" هو سالم بن دارة الغطفانىّ . ودارةُ : أمّه، وكان قد هجا بعض بنى فزارة فاغتاله زُميل فقتله . ففيه يقول الكميت

فلا تُكثروا فيه الضَّجاجَ فإنه ، محا السيفُ ما قال آبنُ دارةَ أجمعا

وقولهم : "مَلَكتَ فأسجِحْ" الإسجاح : حسن العفو، أى ملكت الأمر فأحسنِ العفو؛ وقد تمثّل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته؛ ونذكر الخبر فى ذلك فى المغازى .

وقولهم : "من ينكح الحسناءَ يُعطِ مَهرَها" أى من طلب حاجة بذل ماله فيها .

وقولهم : "من سرّه بنوه ساءته نفسه" قاله ضِرار بن عمرو الضبىّ : وكان ولده ثلاثة عشر رجلا، كلّهم قد غزا ورأس، فرآهم يوما وأولادَهم، فعلم أنهم لم يبلغوا هذه الأسنان إلا مع كبر سنّه، فقال : من سرّه بنوه ساءته نفسه، فأرسلها مثلا .

وقولهم : "من أشبه أباه فما ظلم" معناه ظاهر .

وقولهم : "من يرِ يوما يُرَ به" قاله كَلْحَب بن شُؤبوب الأسَدىّ، وكان يُغير على طيّئ وحده، فدعا حارثةُ بن لأْم رجلا من قومه يقال له : عترم، فقال له : أما تستطيع أن تكفينى مؤونة هذا الخبيث؟ فقال : بلى، فأرسل عشرة عيون عليه، فعلموا مكانه فانطلق إليه عترم فوجده نائما فى ظلّ أراكة فنزل ومعه آخر فأخذ كلّ واحد منهما بإحدى يديه فانتبه فنزع يده اليمنى من مُمْسكها وقبض على حَلْق الآخر فقتله وبادر الباقون فأخذوه وشدّوه وثاقا وأتوا به حارثة، فقال له : يا كلحب، إن كنتَ أسيرا فطالما أسرتَ، فقال : من يرِ يوما يُرَ به، فأرسلها مثلا، وقال حَوذة وهو ٱبن المقتول لحارثة : أعطنيه أقتله بأبى، فقال : دونكه ! وجعلوا يتكلّمون وهو يعالج كتافه حتى آنحلّ، ثم وثب على رجليه فاتّبعوه بالخيل فأعجزهم .

وقولهم : "مَنْ سلَكَ الجَدَدَ أمن العثار" الجَدَدُ : الأرض المستوية : يُضرب فى طلب العافية .

وقولهم : " مَن يشترى سيفى وهـذا أثره؟ " قاله الحارث بن ظالم، وذلك انه لمـا قتل خالد بن جعفر بن كلاب بزهير بن جذيمة العبسىّ على ما نذكره إن شاء الله فى وقائع العرب وهرب، فوجّه النعمان فوارس فى طلبه فأدركوه سحرا فعطف عليهم وقتل منهم جماعة وكرّوا عليه بجعل لا يقصد لجماعة إلا فرّقها وهو يقول : من يشترى سيفى وهذا أثره، فارتدعوا عنه وآنصرفوا إلى النعمان .

وقولهم : " مِنْ مالِ جَعْدٍ وجعدٌ غير محمود " قاله جعد بن الحُصين أبو صخر آبن جعد الشاعر، وكان قـد كبِر فتفرّق عنه بنوه وأهله، وبقيت له جارية سوداء تخدمه، فعلقت بفتى من الحىّ يقال له : عَرابة، بجعلت تنقل إليه ما فى بيت جعد، ففطن جعد لذلك، فقال فى ذلك

أبلغ لديك بنى عمـــرو مُغلغلةً * عمرا وعَوفا وما قولى بمـردودِ
بأنّ بيتِىَ أمسى فوق داهيةٍ * سوداءَ قد وعدتْنى شرّ موعودِ
تُعطِى عَرابةَ بالكفّين مجتَنحًا * من الخَلوق وتُعطِينى على العودِ
أمسى عَرابةُ ذا مالٍ يُسرّ به * من مالِ جعدٍ، وجعدٌ غير محمودِ

يُضرب للرجل يصاب من ماله ويذمّ .

وقولهم : " من مأمنه يؤتَى الحذِر " قاله أكثم بن صيفىّ .

وقولهم : " من يمشِ يرضَ بمـا ركب ": يضرب للذى يضطرّ فيه، كان يرغب عنه .

وقولهم : " من يلقَ أبطالَ الرجالِ يُكلَم " قاله عُقَيل بن علّفة المُرّى، وقد رماه عَملّس آبنه بسهم فخلّ فخذيه، فقال أبياتا منها

إنّ بنيّ زمّلونى بالدمِ * شِنشِنةٌ أعرِفُها من أَخزمِ
* من يلقَ أبطالَ الرجال يُكلَمِ *

وقولهم : " من لا يذُدْ عن حوضه يُهدَّم " أى من لم يدفع عن نفسه يُظلم، قاله زُهَير بن أبى سُلمى .

(١٨) وقولهم : " مكْرَه أخوكَ لا بطل " قاله أبو حَنَش خال بيْهس : يُضرب لمن يُحمل على ما ليس من شانه .

وقولهم : " من نام لا يَشعُر بشجو الأرِق " : يُضرب لمن غفل عما يعانيه صاحبه من المشقّة .

حرف النون

قولهم : " نفْس عِصامٍ سوّدتْ عِصاما " هو عصام بن شَهْبَر حاجب النعمان آبن المنذر : يُضرب فى نباهة الرجل من غير قديم ؛ وقيل فى هذا

نفْسُ عصامٍ سوّدت عصاما * وعلّمتْــه الكرّ والإقــداما
- وصيّرته ملِكا هُمــاما *

وقولهم : " نظرةٌ مِن ذى عَلَق " أى من ذى هوًى : يُضرب لمن ينظر بودّ .

وقولهم : " نَزَت به البِطنة " : يُضرب لمن لا يحتمل النّعمة ،
قال الشاعر

فلا تكونَنّ كالنـازى ببِطنته * بين القرينيْن حتى ظلّ مقرونا

وقولهم : " نجوتُ وأرهنتُهم مالكا " قال عبد الله بن همّام السّلولىّ

فلمّا خَشِيتُ أظافيرَهم * نجوتُ وأرهنتُهم مالكا

يُضرب لمن ينجو من هَلَكة نَشَبَ فيها شركاؤه وأصحابه .

وقولهم : " نام عِصام ساعةَ الرحيل " : يُضرب لمن طلب الأمر بعد ما ولّى .

حرف الهاء

قولهم : " هُدْنةٌ على دَخَن " .

وقولهم : " هذا أوانُ شدّكم فشُدّوا " .

ومثله قولهم : " هذا أوانُ الشدّ فآشتدّى زِيَم " قال الأصمعىّ : زيم : آسم فرس : يُضرب للرجل يؤمر بالجِدّ .

وقولهم : " هو على حَبْلِ ذراعك " أى الأمر فيه إليك : يُضرب فى قرب المتناوَل ، وحبْل الذراع : عِرقٌ فى اليد .

وقولهم : " هان على الأملسِ ما لاقَى الدَّبِر " : يُضرب فى سوء آهتمام الرجل بشأن صاحبه .

وقولهم : " هو بين حاذِف وقاذِف " الحاذف بالعصا . والقاذف بالحصى : يُضرب لمن هو بين شرّين .

وقولهم : " هو على طَرَف الثُّمام " ثمام : نبت ضعيف سهل التناول تُسدّ به خصاص البيوت . وربما حُشيتْ به المَخادّ . قالوا : إنه ينبت على قدر قامة الإنسان : يُضرب فى تسهيل الحاجة وقرب النجاح .

وقولهم : " هى الخمر تُكنَى الطِّلاء ": يضرب للأمر ظاهره حسن وباطنه على خلاف ذلك .

حرف الواو

قولهم : "وافق شَنٌّ طَبَقَة" قال الشرقى بن القطامى : كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له : شَنٌّ، فآلى أنه يطوف البلاد حتى يجد امرأة مثله فيتزوّجها، فبينا هو فى بعض مسيره إذ وافقه رجل فى الطريق فسارا جميعا، فقال له شَنٌّ : أتحملنى أم أحملك؟ فقال : أنا راكب وأنت راكب، فكيف تحملنى أو أحملك؟ ! ثم سارا فانتهيا إلى زرع قد استحصد، فقال شَنٌّ : أترى هذا الزرع أُكل أم لا ؟ فقال : لم أر أجهل منك، نبتا مستحصدا فتقول : أُكل أم لا ! فسكت، ثم سارا حتى دخلا القرية فلقيا جنازة، فقال شنٌّ : أترى صاحب هذا النعش حيّا أم ميّتا؟ فقال له الرجل : ترى جنازة تسأل عنها أميّت صاحبها أم حىّ ! فسكت عنه شَنّ وأراد مفارقته فأبى أن يتركه وسار به إلى منزله، وكان للرجل بنت يقال لها : طبقة، فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه، فقال : ما رأيت أجهل منه، وحدّثها بحديثه، فقالت : يا أبتِ ما هذا بجاهل ! قوله : أتحملنى أو أحملك ؟ أراد أتحدّثنى أم أحدّثك ، وأما قوله : أترى هذا الزرع أُكل أم لا ؟ فأراد هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا ؟ وأما الجنازة فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا؟ فخرج الرجل فقعد مع شَنٍّ فحادثه، وقال له : أتحب أن أفسر لك ما سألتنى؟ قال نعم ؛ ففسره، فقال شَنٌّ : ما هذا من كلامك، فأخبرنى مَنْ صاحبُه؟ فقال : ابنة لى، فخطبها إليــه فزوّجه إياها وحملها إلى أهله، فلمــا رأوها قالوا : وافق شَنٌّ طبقة ، فذهبت مثــلا : يُضرب للتوافقين ؛

وقال الاصمعيّ : هم قوم كان لهم وعاء من أَدَمٍ فتشنّن فجعلوا له طَبَقا فوافقه فقيل : وافق شَنٌّ طَبَقه، ورواه أبو عبيدة فى كتابه، وقال ابن الكلبيّ : طبقة : قبيلةٌ من إياد كانت لا تطاق فأوقعت بها شنّ بن أفصى بن دُعْمِيّ فانتصفَتْ منها وأصابت فيها فضُربتا مثلا وأنشد

لَقِيَتْ شَنٌّ إيادا بالقنا . طبقًا، وافق شَنٌّ طَبَقَه

وقولهم : " وجدتُ الناس اخبُرْ تَقْلُه " أصله اخبُر الناس تقلهم : يُضرب فى ذمّ الناس وسوء معاشرتهم .

وقولهم : " وَلُودُ الوعد عاقرُ الإنجاز ": يُضرب لمن يكثُر وعده ويقِلُّ نقدُه .

وقولهم : " وَدَّعَ مالًا مودِعُه " لأنه إذا استودعه غيره فقد ودّعه وغرّر به ولعله لا يرجع اليه .

وقولهم : " ومَوْرِد الجهل وَبِيءُ المَنْهل ": يُضرب فى النَّهْي عن مستعمل الجهل .

ما جاء فى ما أوّله (لا)

قولهم : " لا مَخْبأَ لِعطرٍ بعد عَروس " ويقال : " لا عِطْرَ بعد عَروس " أوّل من قاله امرأة من عُذْرة، يقال لها : أسماء بنت عبد الله، وكان لها زوج من بنى عمّها يقال له : عَروس، فمات عنها، فتزوّجها رجل من قومها يقال له : نَوْفَل، وكان أعسرَ أبخَرَ بخيلا دميما، فلما دخل بها قال : ضُمّى إليك عِطرَك، فقالت : لا عِطرَ بعد عَروس، فذهبت مثلا. ويقال : إن رجلا تزوّج امرأة، فلما هُديت إليه

وجدها تَفِلَةً فقال لها : أين الطِّيبُ ؟ فقالت : خَبَأْتُه، فقال لها : لا مَخْبأَ لِعطرٍ بعد عَروس : يُضرب مثلا لمن لا يُدَّخر عنه نفيسٌ .

وقولهم : "لا يُلدَغ المؤمن من جُحرٍ مرّتين"[1]: يُضرب لمن أُصيب ونُكب مرّة بعـد أخرى ، يقال هذا من امثال النبيّ صلى الله عليـه وسلم قاله لأبى عَزّة الشاعر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسره يوم بدرٍ فمنّ عليه وأطلقه ثم أتاه يوم أُحُدٍ فأسره ، فقال : مُنَّ علىّ ، فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم "لا يُلدغ المؤمنُ من جُحر مرّتين" أى لو كنتَ مؤمنا لم تعدْ لقتالنا .

وقولهم : "لا أطلبُ أثرًا بعدَ عين" أوّل من قاله مالك بن عمرو العامرىّ[2]، وكان من حديثه أن بعض ملوك غسّان كان يطلب فى بنى عامرٍ ذَحْلًا فأخذ منهم مالكا وسِمَاكًا ابنى عمرو العامرىّ فاحتبسهما زمانا ثم دعا بهما، فقال لهما : إنى قاتل أحدكما، فأيكما أقتل ؟ فجعل كلّ واحد منهما يقول : اقتلنى مكان أخى، فقتـل سِمَاكا وخلّى سبيلَ مالك. فقال سِماك حين ظنّ أنه مقتول

فأُقسمُ لو قتلوا مالكا ... لكنتُ لهم حيّةً راصدهْ
برأس سبيلٍ على مَرقبٍ ... ويوما على طُرُقٍ واردهْ
فأُمَّ سِماكٍ فلا تجزعى ... فللموت ما تلد الوالدهْ

وانصرف مالك إلى قومه فأقام فيهـم زمانا ثم إنّ ركبا مرّوا وواحد منهم يتغنّى بقول سِماك . فأُقسم لو قتلوا مالكا .. فسمعته أمّ سِماك، فقالت : يامالك، قبح الله حياة بعد سِماك. اخرج فى الطلب فخرج فلقى قاتل أخيه يسير فى ناسٍ من قومه فقال:

(١) كذا فى الأصل وفى مجمع الأمثال وفرائد اللآل : "لا يلسع" .

(٢) هكذا فى الأصل وفى مجمع الأمثال : "العاملى" باللام وفى فرائد اللآل : "الباهلى" .

من أحسّ لى الجملَ الأحمرَ، فقالوا له وقد عرفوه : يا مالك آكفف ولك مائة من الإبل، فقال : لا أطلب أثرا بعد عين، فذهبت مثلا .

وقولهم : "لا يُرسِل الساقَ إلا مُمسِكا ساقا" أصله فى الحرباء : يُضرب لمن لا يدع حاجةً إلا سأل أخرى .

وقولهم : "لا ماءَكِ أبقيْتِ، ولا حِرَكِ أنقيْتِ" ويُروى : ولا دَرَنَكِ؛ اصله أنّ رجلا كان فى سفر ومعه آمرأته، وكانت عاركا فطهُرتْ وكان معها ماء يسير فاغتسلت به فنفد ولم يكفها لغسلها فعطشا فقال هذا القول فسار مثلا، وقيل : إنّ الذى قاله الضبّ بن أروَى الكلاعىّ قاله لآمرأته عَمْرة بنت سُبيع ؛ قال الفرزدق

وكنتُ كذات الحيض لم تُبقِ ماءَها ... ولا هى من ماء العَذابة طاهرُ

وقولهم : "لا ناقتى فى هذا ولا جَملى" المثل للحارث بن عبّاد حين قتل جسّاس بن مُرّة كُليبا وهاجت الحرب بين الفريقين وآعتزلهما الحارث ؛ قال الراعى

وما هجرتُك حتى قلتِ مُعلِنةً * لا ناقةٌ لِىَ فى هذا ولا جَملُ

يُضرب عند التبرّؤ من الظلم والإساءة .

وقولهم : "لا يَنتطِح فيها عَنْزان" قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقولهم : "لا يُنبتُ البَقْلةَ إلا الحَقْلة" الحَقْلة : القَراح، أى لا يلد الولد إلا مثلَه : ويُضرب مثلا للكلمة الخسيسة تخرج من الرجل الخسيس .

وقولهم : "لا تَدخُلْ بين العصا ولحائها" : يضرب فى المتخالّين المتصافيين .

وقولهم : "لا يحزُنْكَ دمٌ هَرَاقه أهلُه" قال هذا المثل جَذيمة : يُضرب لمن يُوقِع نفسَه فيما لا مَخلَص له منه .

حرف اليـاء

قولهم : "يَداكَ أَوْكَتا وفُوكَ نَفَخ" أصـله أن رجلا كان فى جزيرة من جزائر البحر فأراد أن يعبُر على زِقّ قد نَفَخ فيـه فلم يُحسن إحكامَه ، فلمّـا توسّط البحر خرجت منه الريح فغرق فاستغاث برجل، فقال له : يداكَ أوْكتا وفوكَ نفخ، فذهبت مثلا : يُضرب لمن يجنى على نفسه الحَيْن .

وقولهم : "يَشُجُّ ويأسو" : يُضرب لمن يُصيب فى التدبير مرّة ويخطئ أخرى، قال الشاعر

إنى لأكثِر ممّـا سُمتنى عَجَبـا ۔ يدٌ تَشُجُّ وأخرى منك تأسونى

وقولهم : "يُسِرُّ حَسْواً فى ٱرتغاء" أصـله أن الرجل يؤتَى باللبن فيُظهِر أنه يريد رُغوة خاصّةً فيشربها، وهو فى ذلك ينـال من اللبن : يُضرب لمن يُريك أنه يُعينك وإنمـا يجرّ النفع إلى نفسه، قال الكميت

فإنى قد رأيتُ لكم صدودا ۔ وتَحساءً بعِـلّةِ مُرتغينا

وقولهم : "يمشِي رُوَيْدًا ويكون أوّلا" : يُضرب للرجل يُدرك حاجتَه فى تُؤَدةٍ ودَعَةٍ. ويُنشَد فيه

تسألنى أمُّ الوليد جمـلًا ۔ يمشى رُوَيْدا ويكون أوّلَا

وقولهم : "يُصبح ظمآنَ وفى البحر فَمُه" : يُضرب لمن يعاشر بخيلا مُثرِيا.

وقولهم : "يملأُ الدّلو الى عَقْد الكَرَب" مأخوذ من قول عُتْبـة بن أبى لَهَب

من يُساجِلنى يُساجِلْ ماجدًا ۔ يملا الدّلو إلى عَقْد الكَرَبْ.

وهو الحبل الذى يُشَدّ فى وسط العَرَاقىّ : يُضرب لمن يبالغ فيما يلى من الأمر .

وقولهم : "يُكْوَى البعيرُ من يَسيرِ الداء" : يُضرب فى حَسْم الأمر الضائر قبل أن يعظُم ويتفاقم .

وقولهم : " يعود على المرء ما يأتمر " ويُروَى : يَعْدو، معناه يعود على الرجل ما تأمره به نفسه فيأتمر، أى يمتثله ظنّاً منه أنه رشد، وربما كان هلاكه فيه، ومنه قول آمرئ القيس

أحارِ بنَ عمرو كأنى خَمِرْ * ويعدو على المرء ما يأتمِرْ

ومما يتمثل به من أشعار الجاهلية ٢٠

آمرؤ القيس بن حُجْر : قد تقدّم من شعره فى الاستشهاد على أمثال العرب ما يُستغنى عن إعادته فى هذا المكان .

ومن شعره

والبِرُّ خير حقيبة الرَّجل * رضيتُ من الغنيمة بالإياب *

إن الشقاءَ على الأشقَيْنَ مصبوبُ

وقال أيضا

وقاهم جدّهم ببنى أبيهم وبالأشقَيْنَ ما كان العقابُ

وقال

فإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يغلبْك مثلُ مُغَلَّبِ

زُهير بن أبى سُلْمَى يقول

ومن يغترِبْ يَحسِبْ عدوّا صديقَه ومن لا يُكرِّمْ نفسَه لا يُكرَّمِ

ومهما يكن عند آمرئ من خَليقة ولو خالها تخفَى على الناس تُعلَمِ

ومن لا يصانعْ فى أمور كثيرةٍ * يُضرَّسْ بأنيـابٍ ويُوطأْ بمَنسِم
ومن يجعل المعروفَ من دون عِرضه * يَفِرْهُ ومن لا يتَّقِ الشتمَ يُشْـتَمِ
ومن يكُ ذا فضل فيبخلْ بفضله * على قومه يُسْـتغنَ عنـه ويُذمَمِ
ومن لا يذُدْ عن حوضـه بسلاحه * يهـدَّمْ ومن لا يَظلِم النـاس يُظلَمِ
ومن يَعْصِ أطرافَ الزِّجاجِ فإنه * مُطيعُ العوالى رُكِّبَتْ كلَّ لَهْـذَمِ

وقال أيضا

وهل يُنبِتُ الخَطِّىَّ إلّا وشيجُه * وتُغرَس إلا فى مَنابتها النخلُ

وقال أيضا

والسترُ دون الفاحشاتِ وما * يلقاكَ دون الخـير من سِترِ

وقال أيضا

فإنّ الحقَّ مَقطَعُه ثلاثٌ * يمينٌ أو نِفارٌ أو جلاءُ

يقول: إنما الحقوق تصحّ بواحدة من هذه الثلاث: يمينٌ أو محاكمةٌ أو حُجّةٌ واضحةٌ؛ وكان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه يتعجّب من معرفته بمَقاطع الحقوق .

النابغة الذبيانى : اسمه زياد بن عمرو، ويُكنَى أبا أُمامة ، غلب عليه "النابغة" لأنه نبغ بالشعر بعد أن احتنك وهلك قبل أن يُهتَر، وكذلك الجعدى ؛ وقيل: إنما لُقِّب بالنابغة لقوله

فقد نبغَتْ لهم منّا شؤونُ

وقيل فى نسبه : زياد بن معوية بن ضِباب بن جابر بن يَربوع بن غيظ بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان .

فما يُتمثّل به من شعره قوله

* فإنك كالليل الذى هو مُدرِكى * * فإن مطيّة الجهل الشـبابُ *

وقال

ولستَ بمُستبقٍ أخًا لا تلُمُّـــه * على شَعَثٍ، أىُّ الرجال المهذَّبُ؟

وقال أيضا

اِستبق ودّك للصديق ولا تكن . قَتَبًا يعضّ بغـاربٍ مِلحاحَا

طرفة بن العبد يقول

* حنانَيْك بعضُ الشرّ أهون من بعضِ * * ما أشـبهَ الليـلةَ بالبـارحه .

وقال أيضا

ستُبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلا * ويأتيـك بالأخبارِ من لم تُزوِّدِ

وقال أيضا

وأَعلمُ عِلما ليس بالشكّ أنه إذا ذلّ مولَى المرء فهو ذليلُ

أوس بن حَجَرٍ يقول

فإنكما ياآبنَىْ جُنابٍ وَجدتما كمن دبّ يستخفِى وفى الكفّ جُلجُلُ

وقال أيضا

وما ينهض البازى بغير جناحه ولا يحمل الماشين إلا الحوامل

اذا أنت لم تعرِضْ عن الجهل والخنا أصبتَ حليما أو أصابك جاهل

وقال أيضا

ولستَ بخابئٍ أبدا طعاما حذار غدٍ لكلِّ غدٍ طعامُ

بشر بن أبي خازم يقول

وأيدى الندى فى الصالحين قروضٌ * كفى بالموت نأياً واغترابا *

المتلمس وهو جرير بن عبد المسيح يقول

قليـلُ المـال تُصلحه فيبـقَى * ولا يبـقَى الكثيرُ مع الفسـادِ

وقال أيضا

لذى الحلم قبل اليوم ما تُقرَعُ العصا * وما عُـلِّمَ الإنسانُ إلا ليَعلَما

ولو غير أخوالى أرادوا نقيصتى * جَعلتُ لهم فوق العَرانِينِ مِيْسَما

وما كنتُ إلا مثـلَ قاطعِ كفّه * بكفٍّ له أخرى فأصبح أجذما

وقال أيضا

ولا يُقيـمُ على ذلّ يراد به * إلا الأذلّان عَيرُ السوء والوتدُ

هذا على الخسف مربوط برُمّته * وذا يُشَـجُّ فلا يَرثِى له أحَدُ

الأفوه الأودىّ يقول

إنما نعـمةُ دنيا مُتعـةٌ * وحياة المـرء ثوبٌ مستعارُ

وصروف الدهر فى أطباقه * حَلْقة فيها ارتفاعٌ وانحـدارُ

بينما الناس على عَليائهـا * إذ هووا فى هوّة منها فغاروا

وقال أيضا

والبيت لا يُبتَنَى إلا له عَمَـدٌ * ولا عمـادَ إذا لم تُرسَ أوتادُ

فإن تجمّع أوتادٌ وأعمـدةٌ * وساكنٌ بلغوا الأمر الذى كادوا

تُهدَى الأمورُ بأهل الرأى ما صلحتْ * وإن تولّت فبالأشرار تنقـادُ

لا يَصلح الناسُ فوضَى لا سَراةَ لهم * ولا سَراةَ إذا جُهّالهـم سـادوا

تميم بن أبي مقبل يقول

خليلىّ لا تستعجلا وانظرا غدًا * عسى أن يكون الرفقُ فى الأمر أرشَدا

وقال أيضا

ما أنعم العيشَ! لو أن الفتى حَجَرٌ * تنبو الحوادثُ عنه وهو ملمومُ

حُمَيد بن ثَوْر يقول

أرى بَصَرى قد رابنى بعد صحّة * وحسبك داءً أن تَصِحّ وتسلما
ولن يلبثَ العصران يوما وليلةً * — إذا طَلَبا — أن يُدرِكا ما تيمّما

عدى بن زيد يقول

كفى واعظا للمرء أيامُ دهره * تروح له بالواعظات وتغتدى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكلّ قرينٍ بالمقارِنِ يقتدى
(٣١) وظلم ذوى القُربَى أشدُّ مَضاضةً * على المرء من وقع الحسام المهنّد
إذا ما رأيت الشرّ يبعث أهلَه * وقام جُناة الشرّ للشرّ فاقعد

وقال أيضا

يا راقد الليل مسرور بأوّله * إن الحوادثَ قد يطرُقن أسحارا

وقال

قد يُدرِك المبطئُ من حظّه * والخير قد يسبق جَهد الحريص

وقال

لو بغير الماء حَلْقى شرِقٌ * كنت كالغَصّان بالماء اعتصارى

وقال

فهل من خالدٍ إما هلكنا * وهل بالموت يا للناس عارُ

الأسود بن يعفُر يقول

ماذا أؤمل بَعـــدَ آل محـــرّق * تركوا منـازلهم وبَعـــدَ إيادِ
أرض تخـــيّرهـا لطيب مَقيلها * كعبُ بنُ مامـــةَ وابنُ أمّ دؤاد
أهلُ الخورنَق والسّـديرِ وبارقٍ * والقصرِ ذى الشُرُفاتِ من سِنداد
جرت الرياح على محـلّ ديارهم * فكأنهـم كانوا على ميعـاد
ولقـد غَنوا فيهـا بأنعَم عيشـــةٍ * فى ظـــلّ مُلكٍ ثابتِ الأوتاد
فإذا النعـيم وكلّ ما يُلهـى به * يوما يصـــير إلى بِلًى ونَفـاد

علقمة بن عَبَدَة يقول

فإن تسألونى بالنسـاء فإننى * علـيم بأدواء النسـاء طبيبُ
إذا شاب رأسُ المرء أو قلّ مالُه * فليس له فى ودّهن نصيبُ
يُرِدْنَ ثَراءَ المـال حيث علِمنـه * وشرخُ الشباب عندهنّ عجيبُ

وقال أيضا

وكلّ حِصنٍ وإن طالت إقامتُه * على دعائمـه لا بدّ مهـــدومُ
ومن تَعرّض للغربان يزجُرها * على سـلامته لا بدّ مشـئوم

عمرو بن كُلثوم يقول

وما شرُّ الثـلاثة أمَّ عمـــرو * بصاحبك الذى لا تَصحبينا
وإنّ غداً وإنّ اليـومَ رهنٌ * وبَعـــدَ غد بمـا لا تعلَمينا

الحرث بن حِلِّزة يقول

لا تكسعِ الشَّولَ بأغبارها * إنك لا تدرى مَنِ النـاتجُ؟
واصبُبْ لأضيافك ألبانَها * فإن شرّ اللبن الوالجُ

حاتم الطائى يقول

أماوىَّ ما يُغنى الثراءُ عن الفتى * إذا حَشرَجتْ يوما وضاق بها الصدر
وقد علِم الأقوامُ لو أن حاتما * أراد ثراء المال، كان له وَفْرُ

وقال أيضا

وأنت إذا أعطيتَ بطنك سؤلَه * وفرجَك، نالا منتهى الذمّ أجمعا

المرقّش الأصغر يقول

ومَن يلقَ خيرا يَحمَدِ الناسُ أمرَه * ومن يَغوَ لا يعدم على الغىّ لائما

النمر بن تولَب يقول

يودّ الفتى طولَ السلامة جاهدا * فكيف تُرى طولُ السلامة يفعلُ؟

وقال أيضا

ومتى تُصبْك خَصاصةٌ فارجُ الغنَى * وإلى الذى يَهَب الرغائبَ فارغبِ
لا تغضبنّ على آمرئ فى ماله * وعلى كرائم صُلب مالك فاغضب

وقال

فلا وأبى، الناسُ لا يعلمو ... ن، فلَلخيرُ خيرٌ وللشرّ شرّ
فيوما علينا ويوما لنا ... ويوما نُساء ويوما نُسرّ

مهلهل بن ربيعة، وٱسمه عدىّ يقول

أَعزِزْ على تغلب بما لقِيتْ ... أختُ بنى الأكرمين من جُشَمِ
أنكحها فقدُها الأراقمَ فى ... جَنْبٍ وكان الحِباءُ من أَدَمِ
لو بأبانَين جاء يخطبها ... ضُرِّجَ ما أنفُ خاطبٍ بدمِ
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا ... يُغنُون من غَلّة ولا عَدَمِ

طُفَيل الغنوىّ يقول

إنّ النساء كأشجارٍ نَبَـتن معـا * منهن مُرٌّ وبعض المرّ مأكولُ
إنّ النساء متى يُنهـيْنَ عن خُلُقٍ * فإنه واجب لا بدّ مفعـــولُ

عُروة بن الورد يقول

وما شاب رأسى من سنينَ تتابعتْ * علىّ ولكن شيّبتنى الوقائعُ

وقال أيضا

ومن يك مثلى ذا عِيالٍ ومُقـترا * من المال يَطرَحْ نفسَه كلَّ مَطرَحِ
لِيَبلغَ عُـذرا أو يَنـالَ رغيبـةً * ومُبْلِـغُ نفسٍ عُذرَها مثلُ مُنجِحِ

الأعشى : وهو ميمون بن قيس من بنى قيس بن ثعلبة يقول

كناطحٍ صخـرةً يوما ليفلقهـا * فلم يَضِرْها وأوهَى قرنَه الوعلُ

وقال أيضا

تعالَوا فإنّ الحكم عند ذوى النهى * من الناس كالبَلقاء بادٍ حُجولُهـا

وقال أيضا

ومن يغترِبْ عن قومه لم يزل يرى * مَصارعَ مظلومٍ مَجَـرًّا ومَسْحَبَا
وتَدفَن منه الصالحات وإن يُسئْ * يكن ما أثار النار فى رأس كَبكبَا

وقال أيضا

عوّدتَ كَندةَ عادةً فاصبر لها * اِغفرْ لجاهلها وروِّ سجالَهـا

لَقِيط بن مَعْبَد يقول

قوموا قياما على أمشاط أرجلكم * ثمّ افزعوا قد ينال الأمرَ مَنْ فَزِعا
هيهات ما زالت الأموال مذ أبدٍ * لأهلها إن أُصيبوا مرّةً تَبَعا

تأبط شرّا : وهو ثابت بن جابر يقول

لَتقرَعنّ عليّ السنّ من ندمٍ * اذا تذكَّرتَ يوما بعضَ أخلاقي

المثقِّب العبديّ يقول

فإما أن تكون أخي بحقّ * فأعرف منك غثّي من سميني
وإلا فاطّرحني واتّخذني * عدوّا أتّقيك وتتّقيني
فإني لو تعاندني شِمالي * عنادَك ما وصلتُ بها يميني

المُمزّق العبْديّ يقول

فإن كنتُ مأكولًا فكن أنت آكلي * وإلّا فأدركني ولمّا أُمزَّق

أُفنون التَّغلِبيّ يقول

لعمرك ما يدرى الفتى كيف يتّقي * إذا هو لم يجعل له اللهُ واقيا

الأَضْبط بن قُرَيع السَّعديّ يقول

قد يجمع المالَ غيرُ آكله * ويأكل المالَ غيرُ من جَمَعَه
لا تحقرنّ الفقيرَ علّك أن * تركع يوما والدهرُ قد رَفَعَه
فاقبل من الدهر ما أتاك به * من قرّ عينا بعيشه نَفَعَه (٣٢)

سُوَيد بن أبي كاهل يقول

رُبّ مَن أنضجت غيظا قلبَه * قد تمنّى لِيَ موتا لم يُطَعْ
ويراني كالشَّجَى في حَلْقه * عَسِرًا مَخرجُه ما يُنتزَعْ
ويُحَيّيني إذا لاقيتُه * وإذا يخلو له لحمي رَتَعْ

انتهى ما يتمثّل به من شعر الجاهلية .

وممـا يتمثل به من أشعار المُخَضْرَمين

المخضرمون : هم الذين أدركوا الجاهليّة والإسلام .

منهم لَبِيد بن ربيعة، وفاته سنة إحدى وأربعين ، وعمره مائة سنة وسبع وخمسون سنة يقول

وإذا رُمتَ رحيـلا فارتحـلْ * واْعص ما يأمر تَوصيمُ الكسَلْ
واْكذبِ النفسَ إذا حدّثتهـا * إنّ صدق النفس يُزرى بالأملْ

وقال أيضا

وما المـالُ والأهلون إلّا وَدِيعةٌ * ولا بدّ يوما أن تردّ الودائعُ
وما المرءُ إلا كالشهاب وضوئه * يحور رَماداً بعـدَ إذ هو ساطعُ

وقال أيضا

كانت قَناتى لا تلين لغامز * فألانهـا الإصباحُ والإمسـاء
ودعوتُ ربّى فى السلامة جاهدا * ليُصحّنى فإذا السـلامةُ داء

وقال أيضا

ذهب الذين يُعـاش فى أكنافهم * وبَقيتُ فى خَلْف كجلد الأجربِ

وقال أيضا

إلى الحوْل ثم اْسمُ السلامِ عليكما * ومن يبكِ حولا كاملا فقد اْعتذرْ

كَعْب بن زُهَير يقول

ومن دعا النّاسَ إلى ذمّه * ذمّوه بالحقّ وبالبـاطلِ
مقالةُ السوء إلى أهلهـا * أسرع من منحدر سائل

النابغة الجعدىّ : وهو قيس بن عبد الله، وقيل حسّان بن قيس بن عبد الله ويكنى النابغة: أبا ليلى، وهو أسنّ من الذبيانىّ. وطال عمره حتى أدرك أيّام بنى أميّة، وهو الذى قال له النبىّ صلى الله عليه وسلم "لا يفضُض الله فاك" فما سقطت له سنّ، وفى رواية: فكان أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له سنّ نبتت له أخرى، وعاش عشرين ومائة سنة، وقيل أكثر .

وممّا يُتمثل به من شعره قوله

ولا خيرَ فى حلم إذا لم يكن له -- بوادرُ تحمى صفوَه أن يُكدّرا
ولا خيرَ فى جهلٍ إذا لم يكن له - حليمٌ إذا ما أَوْرَدَ الأمرَ أصدر

وقال أيضا

كُليبٌ لعمرى كان أكثر ناصرا - وأيسر جرما منك ضُرّج بالدم

أميّة بن أبى الصَّلت الثقفىّ يقول

تلك المكارمُ لا قَعبانِ من لبن -- شيبَا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالَا

حسّان بن ثابت يقول

وإنّ امرأً يُمسى ويُصبح سالما - من الناس — إلا ما جنى — لَسعيدُ

وقال أيضا

رُبّ حلمٍ أضاعه عَدَم الما - لِ وجهلٍ غطّى عليه النعيمْ
ما أُبالى أَنبَّ بالحَزْنِ تَيسٌ - أم لحانى بظهرِ غيبٍ لئيمُ؟

الحُطَيئة : واسمه جرول بن أوس بن مخزوم . وقيل : جرول بن أوس بن مالك بن غطفان بن سعد ويكنى : أبا مُلَيكة . والحُطيئة لقبٌ غَلب عليه ، قيل لُقّب به

لقصره وقربه من الأرض؛ وقيـل : حبِق فى مجلس قومه فقال : إنمـا هى حَطْأة فسمّىَ الحُطيئة .

فمما يتمثّل به من شعره قوله

مَنْ يفعل الخيرَ لا يَعدَمْ جوازِيَه * لايذهبُ العرفُ بين الله والناسِ
دع المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتهـا * واْقعد فإنك أنت الطاعمُ الكاسى

وقال أيضا

أقِلّوا عليهـم لا ابًا لأبيكـمُ * من اللوم أوسُدّوا المكان الذى سَدّوا
أولئك قومٌ إن بنَوا أحسـنوا البِنَا * وإن وعدوا أوفوا و إن عقدوا شدّوا

متمم بن نويرة يقول

وكُنّا كندمانَىْ جَذيمـةَ حِقبةً * من الدهر حتى قيل لن يتصدّعَا
فلمـا تفرّقنا كأنى ومالـكا * لطول آجتماعٍ لم نبتْ ليلةً معَا

أبو ذؤيب الهذلىّ يقول

وتجلّدى للشامتين أُريهمُ * أنى لريب الدهر لاأتضعضعُ
وإذا المنّية أنشبت أظفارها * ألفيتَ كلَّ تَميمةٍ لا تنفعُ
والنفسُ راغبة إذا رغّبتَهـا * وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقنعُ

الخنساء : وهى تُمـاضِرُ بنت عمرو بن الشريد تقول

ومَنْ ظنّ ممن يُلاقى الحروبَ * بأن لايصاب فقـد ظنّ عَجْزا

وقالت أيضا

نُهِينُ النفوسَ وبذلُ النفو * س عند الكريهةِ أبقَى لهـا

عمرو بن معديكرب يقول

إذا لم تستطع أمرا فدعه * وجاوزه إلى ما تستطيعُ

وقال أيضا

ليس الجمالُ بمئزرٍ * فاعلم وإن رُدّيتَ بُردَا
إنّ الجمال مآثرٌ * ومكارمٌ أورثن مجدَا

معن بن أوس يقول

وفى الناس إن رثّت حبالُك واصلٌ ، وفى الأرض عن دار القِلَى متحوَّلُ
إذا انصرفتْ نفسى عن الشىء لم تكدْ إليه بوجهٍ آخرَ الدهرِ تُقبِلُ

وقال أيضا

أعلّمه الرمايةَ كلّ يوم . فلما اشتدّ ساعدُه رمانى

زياد بن زيد يقول

ولا أتمنى الشرَّ والشرُّ تاركى . ولكن متى أُحمَلْ على الشرّ أركبِ (٢٣)

وقال أيضا

هل الدهر والأيام إلا كما ترى؟ . رزيّةُ مالٍ أو فراقُ حبيبِ

أيمَن بن خُرَيم بن فاتك الأسدىّ يقول

إن للفتنة مَيْطًا بيّنًا * فرويدَ الَميْط منها تعتدلْ
فإذا كان عطاءٌ فأْتِهِم وإذا كان قتالٌ فاعتزلْ

انتهى ما يُتمثَّل به من أشعار المخضرمين .

وممـا يتمثل به من أشعار المتقدّمين فى صدر الإسلام

القُطامىّ : وآسمه عُمير بن شُيَيم يقول

وَمعصيةُ الشفيقِ عليك ممّـا * يَزيدك مرّةً منـــه آستمـاعَا
وخيرُ الأمرِ ما آستقبلتَ منه * وليس بأنـ تتبّعه آتّبـاعَا
أراهم يغمزون من آسـتَرَكُّوا * ويجتنبون مَن صَدق المِصاعَا
كذاك وما رأيت النـاس إلا * إلى ما جرّ جانيهـــم سِراعَا

وقال أيضا

قد يُدرِك المتأنّى بعضَ حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلَلُ
وربما فات بعضَ القوم أمرُهمُ * مع التأنّى وكان الرأىُ لو عجِلوا
والناس من يلقَ خيرا قائلون له * ما يشتهى ولأمّ المخطئ الهَبَلُ

الطِّرِمّاح بن حكيم بن الحكم يقول

لقـد زادنى حبّـا لنفسىَ أننى * بغيضٌ إلى كلّ آمرئٍ غيرِ طائلِ
وأنى شقىّ باللئام ولن ترى * شـقيًّا بهم إلا كريمَ الشمائل

الكميت بن زيد الأسدىّ يقول

إذا لم يكن إلا الأسنةَ مركبٌ * فلا رأى للمضـطَرّ إلا ركوبُها

وقال أيضا

فيا موقدا نارا لغيرك ضوءُها * ويا حاطبا فى حبلِ غيرِك تحطِبُ

المساور بن هند يقول

شَقيتْ بنو أسدٍ بشعر مُساورٍ * إن الشقىّ بكل حبـلٍ يُخنَقُ

عدىّ بن الرِّقاع يقول

وإذا نظرتُ إلى أميرى زادنى * ضنًّا به نظرى إلى الأمراءِ
بل ما رأيتُ جبالَ أرضٍ تستوى * فيما غشيتُ ولا نجومَ سماءِ
كالبرق منه وابلٌ متتابع * جَوْدٌ وآخرُ ما يبضّ بماءِ
والمرء يورثُ مجدَه أبناءَه * ويموت آخَرُ وهو فى الأحياءِ

الفرزدق، واسمه همام بن غالب يقول

فواعجبا حتى كُليبٌ تسبّنى * كأنّ أباها نهشلٌ أو مُجاشعُ

وقال أيضا

تُرَجِّى ربيعٌ أن يجىءَ صِغارُها * بخيرٍ وقد أعيا عليك كِبارُها

وقال أيضا

فإن تَنجُ منها، تَنجُ من ذى عظيمةٍ * وإلا فإنى لا إخالك ناجيا

وقال أيضا

يَمضى أخوك فلا تَلقَى له خَلَفًا * والمالُ بعد ذهاب المال مُكتَسَبُ

وقال أيضا

ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزرا * مثلَ الشفيع الذى يأتيك عُريانا

وقال أيضا

قُلْ انضير، والمرء فى دولة سلطان عمى مده يُدعَى أمير
فإذا زالت الولاية عنه * واستوى بالرجال عاد صغير

وقال أيضا

ولا نلين لسلطان يكيدُ، * حتى يلين لِضرس الماضغِ الحجرُ

وقال أيضا

هل ابنك إلا ابنٌ من الناس فاصبرن ٭ فلن يَرجِعَ الموتى حنينُ المآتمِ

جرير: هو ابن الخَطَفى تُوفِّى سنة عشر ومائة يقول

إن الكريمةَ يَنصرُ الكرمَ ابنُها ٭ وابنُ اللئيمة للئام نصـــورُ

وقال أيضـا

زعم الفرزدقُ أن سيقتل مَربعا ٭ أبشِرْ بطول سلامةٍ يا مَربعُ

وقال أيضا

وابنُ اللبون إذا ما لُزّ فى قَرَنٍ ٭ لم يستطع صَولةَ البُزْلِ القَناعيس

وقال أيضا

رأيتك مثلَ البرق يُحسَبُ ضوءُه ٭ قريبا وأدنى ضوئه منك نازحُ

وقال أيضا

فما رجالُ لِخَفَلانٍ ونِسوتُهم ٭ مثلُ القَنافذِ لا حُسنٌ ولا طِيبُ

الأخطل: واسمه مالك بن غيث بن غوث. وقال أبو الفرج الأصبهانى: اسمه غياث ابن غوث بن الصلت بن طارقة بن سيحان بن عمرو، ورُفِعَ نسبُه إلى جُشَم بن بكر ويُكنَى: أبا مالك. قال: وقال المدائنى هو غيث بن غوث بن سلمة بن طارقة.

ثم يتمثّل به من شعره قوله

والناس همُّهمُ الحياةُ ولا أرى ٭ طولَ الحياة يزيد غيرَ خَبالِ

وإذا افتقرتَ إلى الذخائر لم تَجِدْ ٭ ذخرًا يكون كصالحِ الأعمالِ

وقال أيضا

إنّ الصنيعةَ تلقاها وإن قدُمت * كالعَـرّ يكْمُن حينـا ثم ينتشرُ
وأقسمَ المجـدُ حقًّا لا يُحالفهم * حتى يحالَف بطنَ الراحة الشَّعَرُ

وقال أيضا

وإذا دعَـونكَ يا أُخيّ فإنه * أحنى إليك مَودّةً ووصـالَا
وإذا دعَونكَ عَمَّهُنّ فإنه * نسبٌ يزيدك عندهنّ خَبالَا

وقال أيضا

ضَفادعُ فى ظَلماءِ ليلٍ تجاوبتْ * فدلّ عليها صوتُها حيّـةَ البحرِ

وقال أيضا

يا مرسلَ الريح جَنوباً وصَـبَا * إنْ غضِبتْ قَيسٌ فزدها غضَبَا

الصَّلَتانُ العَبْدىّ يقول

وإنْ يكُ بحرُ الحنظَلِيِّينَ واحداً * فما يستوى حيتانُه والضفادعُ
ومايستوى صـدرُ القناة وزُجُّها * ومايستوى فى الراحتيْن الأصابعُ

كُثيّر عزة: وهو كثيّربن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعىّ، توفّى سنة خمس ومائة

يقـــول

وإنى وَتهيامِى بعـزّةَ بعـد ما - تخلّيتُ ممّا بيننا وتخلّتِ
لكالمرتجى ظلّ الغمامةِ كلّما تبوّأ منها للمقيـلِ اضمحلّتِ
فقلتُ لها ياعزّ كلُّ مصيبـةٍ إذا وُطّنتْ يوماً لها النفسُ ذلّتِ
هنيئا مريئا غيرَ داءٍ مخامرٍ لعزّةَ من أعراضنا ما استحلّتِ



وقال أيضا

قضَى كلُّ ذى دَيْنٍ فوفَّى غريمَه ... وعزّةُ ممطولٌ مُعنًّى غريمُها

وقال أيضا

ومن لا يُغمِّضْ عينَه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمتْ وهو عاتبُ
ومن يتتبّعْ جاهدا كلَّ عثرةٍ ... يجدْها ولا يسلَمْ له الدهرَ صاحبُ

جميل يقول

فإن يكُ حربٌ بين قومى وبينها ... فإنى لها فى كلّ نائبةٍ سَلْمُ

وقال أيضا

ولربَّ عارضةٍ علينا وصلَها ... بالجِدِّ تخلطه بقول الهازل
فأجبتُها فى القول بعدَ تستّرٍ : حُبّى بثينةَ عن وصالكِ شاغلى
لو كان فى قلبى كقَدْرِ قُلامةٍ ... وصلًا وصلتُك أو أتتك رسائلى

عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة يقول

ليت هندًا أنجزتنا ما تعدْ ... وشفت أكبادَنا ممّا نجدْ
واستبدّتْ مرّةً واحدةً ... إنما العاجزُ من لا يستبدْ

وقال أيضا

لا تلمنى وأنتَ زيّنتها لى ... أنتَ مثلُ الشيطان للإنسان

ومما يتمثّل به من أشعار المُحْدَثين

منهم إبراهيم بن هَرْمة يقول

عجِبت أُثيلةُ أنْ رأتنى مُخلِقا ... ثكلتكِ أمُّك، أىُّ ذاك يروعُ؟
قد يُدرِكُ الشرفَ الفتى وردِاؤه ... خَلَقٌ وجَيبُ قميصه مرقوعُ

وقال ايضا

كتاركةٍ بيضها بالعراءِ * وملبسةٍ بيضَ أخرى جناحا

بشّار بن بُرد يقول

اذا كنت فى كلّ الأمور معاتبا * صديقك لم تلقَ الذى لاتعاتبُهْ
فعش واحدا أو صِلْ أخاك فإنه * مُقارف ذنبٍ مرة ومجانبُهْ
إذا أنت لم تشربْ مرارا على القذى * ظمئتَ وأىّ الناس تصفو مشاربُهْ

وقال أيضا

ولا تجعل الشورى عليك غضاضةً * فإن الخوافى عُدّةٌ للقوادمِ
وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلُّ أختَها * وما خيرُ سيفٍ لم يؤيَّدْ بقائمِ

وقال أيضا

كبكرٍ تَشَهّى لذيذَ النكاحِ * وتفرَقُ من صَولة الناكحِ

وقال أيضا

أنتَ من قلبها محلُّ شرابٍ * يُشتَهى شربُه ويُخشى صُداعُهْ

وقال أيضا

الحرُّ يُلحَى والعصا للعبدِ * وليس للمُلحِف مثلُ الردِّ
وصاحبٍ كالدُّمَّل المُمِدِّ * حملتُه فى رقعةٍ من جلدى

وقال أيضا

وإذا جفوتَ قطعتُ عنكَ منافعى * والدَّرُّ يقطعه جفاءُ الحالبِ

وقال أيضا

ولولا الذى خبَّروا لم أكن * لأمدحَ ريحانةً قبل شمّ

وقال أيضا

تأتِى المقيمَ — وما سعى — حاجاتُهُ * عددَ الحصَى، ويَخيبُ سعىُ الناصبِ

وقال أيضا

أنا واللهِ أشتهِى سحر عينيـــ * ـــكِ وأخشَى مَصارعَ العشّاقِ

وقال أيضا

نرجو غــدا، وغدًا كحاملةٍ * فى الحىّ لا يدرون ما تلدُ

وقال أيضا

تسقط الطيرُ حيث ينتثر الحَبُّ وتُغشَى منــازلُ الكرماءِ
ليس يُعطيك للرجاءِ ولا الخو * فِ ولكنْ يَلَذُّ طعمَ العطاءِ

وقال أيضا

* والصعبُ يُمكِنُ بعــد ما جمحا * وإن تَبلغَ العليا بغـيرِ الدراهمِ *

وقال أيضا

ولا بدّ من شكوى إلى ذى مروءة * يواسيك أو يُسْـليك أو يتوجّعُ

أبو العتاهية يقول

أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ * وكلُّ غنًى فى العيونِ جَليلُ *
روائحُ الجَنَّـةِ فى الشبـابِ * وأىُّ الناسِ ليس له عُيوبُ *

وقال أيضا

إنَّ الشبابَ والفراغَ والجِدَهْ * مَفْسَدَةٌ للدِّين، أىّ مَفْسدَهْ!

وقال أيضا

أنتَ ما آستغنيتَ عن صا * حبِـكَ الدهرَ أخـوهُ
فإذا آحتجتَ إليـــه * ســاعةً مجّــكَ فــوهُ

وقال أيضا

ما يَحرُزُ المرءُ من أطرافه طَرَفا * إلا تخوّنه النقصانُ من طَرَفِ

وقال أيضا

يُصادُ فؤادى حين أرمى ورَمْيتى * تعودُ إلى نَحرِى ويسلمُ مَن أرمِى

وقال أيضا

ولربّ شـهوةِ ساعةٍ * قد أورثتْ حزنا طويلا

سَلْمُ بن عمرو الخاسر : وهو مولى أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه، وهو بصرىّ لُقّب الخاسر لأنه ورث من أبيه مصحفا فباعه وآشترى بثمنه طُنبورا . وقيل : بل خلّف أبوه مالا فأنفقه فى الأدب والشعر، فقال له بعض أهله : إنك لخاسر الصفقة، فلُقّب بذلك .

فمما يتمثّل به من شعره قوله

مَن راقبَ الناسَ مات غمًّا - وفاز باللـــذة الجســـورُ
لولا مُنَى العاشـــقين ماتوا غمًّا، وبعض المُنى غرورُ

وقال أيضا

ولو ملكتَ عِنانَ الريح تصرفُه فى كلّ ناحية ما فاتك الطلبُ

وقال ايضا

لا تسألِ المرءَ عن خلائقِه فى وجهه شاهدٌ من الخبرِ

صالح بن عبد القُدّوس يقول

مايَبلغ الأعداءُ من جاهـلٍ * مايبلُغُ الجاهـلُ من نفسهِ
والجاهـل الآملُ ما فى غدٍ * لحفظه فى اليوم أو أمسه
والشـيخ لا يَترُك أخلاقَه * حتى يُوارَى فى ثرى رمسه
والحُمـقُ داءٌ ما له حيــلةٌ * تُرجَى كبُعد النجم من لمسهِ

وقال أيضا (٢٥)

وإنّ عنــاءً أن تُفهِّمَ جاهـلا * فيَحْسَبَ جهلًا انه منك أفهمُ
متى يبلغ البنيانُ يوما تمـامَهُ * اذا كنتَ تبنيه وغيرُك يهدمُ

وقال أيضا

إذا وَترتَ آمرءًا فاحذرْ عداوتَه * من يزرع الشوكَ لايحصدْ به عِنبًا

وقال أيضا

شرّ المواهب ماتجود به * من غير محْمَدَةٍ ولا أَجرِ

وقال أيضا

لا تجدْ بالعطـاء فى غير حقّ * ليس فى منع غير ذى ا لحقّ بخلُ
إنمـا الجود أن تجودَ على من * هو للجودِ منك والبذلِ أهـلُ

وقال أيضا

يَشقَى رجالٌ ويَشقَى آخرون بهم * ويُسـعِدُ اللهُ اقـــواما بأقوامِ
وليس رزقُ فتى من لُطفِ حيلته * لكنْ جدودٌ بأرزاقٍ وأقسامِ
كالصّيد يُحْرَمُه الرامى المجيدُ وقد * يُرمَى فيرزَقُه مــن ليس بالرامى

وقال أيضا

إنْ يكنْ مابه أصبتَ جليلا * فذهابُ العـزاءِ منـه أجلُّ
كلّ آتٍ لاشك آت وذو الجهـل مُعَنًّى والغمُّ والحزنُ فضلُ

ابن مَيَّـادة : هو الرمّاح بن أبى أبرد كنيته شُرَحْبِيل يقول

واعجبا من خالدٍ كيف لا * يُخطِئ فينا مرّةً بالصواب

وقال أيضا

وأرانا كالزرع يحصده الدهـرُ فمِن بينِ قائم وحصيد
وكأنّا للموت رَكْبٌ مُجِدّو * ن سراعٌ لمنهلٍ مورودِ

أبو نُواس الحسن بن هانئ يقول

دع عنك لَومى فإن اللومَ إغراءُ * ألا ربَّ إحسان عليك ثقيلُ *

وقال

وللرجاء حرمةٌ لاتُجهـلُ * وأىُّ جِـدٍّ بلَغ مُـزَحُ *

وقال أيضا

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفتْ له عن عدوٍّ فى ثيـاب صديقِ

وقال أيضا

لا أذودُ الطيرَعن شجرٍ قد بلَوتُ المُرَّ من ثمـرِهْ

وقال أيضا

وليس لله بمستـنكَرٍ أن يجمعَ العالَمَ فى واحدِ

وقال أيضا

صار جدًّا ما مزحتُ به رُبَّ جِدٍّ ساقه اللعِبُ

وقال أيضا

كفى حَزَنًا أنّ الجوادَ مُقَتَّرٌ * عليه ولا معروفَ عند بخيلِ

وقال أيضا

وأوبةُ مشتاقٍ بغـير دراهمٍ * إلى أهله من أعظم الحَدَثان

أبو عُيَيْنَةَ المهلّبيّ يقول

* وكيف بُجودِ القلبِ والعينُ تشهدُ * * ولا خيرَ فيمن لا يدوم له عهدُ *

* وشتّانَ ما بين الولايةِ والعزْلِ *

وقال أيضا

وإذا تطـاولت الرءو * س فغطِّ رأسَك ثمّ طاطِهْ

عبد الله بن أبي عتبة المُهلّبي يقول

كل المصائب قد تمرّ على الفتى * فتهونُ غيرَ شمـاتة الأعداءِ

وقال أيضا

ما كنت إلا كلحم ميْتٍ * دعا إلى أكله اضطرارُ

العبّاس بن الأحنف يقول

لو كنتِ عاتبــةً لسكّن رَوْعتي * أمَلي رضاكِ وزرتُ غيرَ مراقَبِ

لكن مَلِلْتِ فمــا لصدّكِ حيلةٌ * صدُّ الملول خلافُ صدِّ العاتبِ

وقال أيضا

صرتُ كأني ذبالةٌ نُصبتْ * تُضيءُ للناس وهي تحترقُ

وقال أيضا

أرى الطريقَ قريباً حين أسلكُهُ * إلى الحبيبِ، بعيدًا حين أنصرِفُ

وقال أيضا

كفى حَزَنًا أنّ التباعدَ بيننا * وقد جمعتنا والاحبّــةَ دارُ

وقال ايضا

اقمنا مكرَّهين بهــا فلمّا * أَلِفناها خرجنا مُكرَهينا

وقال أيضا

* ولا خيرَ فى ودٍّ يكون بشافعٍ * * من عاج الشوقَ لم يستبعد الدارا *

مُسلم بن الوليد : هو مولى الأنصار، ثم مولى آل أبى أُمامة : أسعد بن زُرارَة الخَزْرَجى ولُقّب صريع الغوانى، وممّا يُتَمَثَّل به من شعره قوله

دلّتْ على عيبها الدنيــا وصــدّقها * ما آسترجعَ الدهرُ ممّا كان أعطانى

وكان يقول أخذتُ معنى هذا البيت من التوراة .

وقال أيضا

يُعَدّ الفتى من الليالى سليمةً * وهنّ به عمــا قليــل عواثر

وقال أيضا

أما الهجاء فدَقَّ عِرضُـــك دونَه * والمدحُ عنــك كما علمتَ جليــلُ
فاذهب فأنتَ طليقُ عِرضِك إنه * عِرضٌ عززتَ به وأنت ذليــل

منصور النَّمَرىّ : هو منصور بن الزِبْرِقان بن سَلَمَة. وقيل منصور بن سَلَمَة بن الزِبْرِقان بن شريك، مُطْعِمُ الكبشِ الرَّخَمِ، سُمّى بذلك لأنه أطعم ناسًا نزلوا به ونحرَ لهم. ثم رفع رأسه فإذا هو برَخَمٍ يَحُمْن حول أضيافه، فأمر أن يُذْبَح لهنّ كبشٌ ويُرمى لهنّ ففُعِل ذلك ونزلن عليه فمزّقنه، وهو من مالك بن سعد بن عمر بن ضحيان. سُمّى

ذلك لأنه كان سيد قومه وحاكمهم وكان يجلس لهم إذا أضحى النهارُ، وهو آبن سعد آبن الخَزْرَج بن تَيْمَ الله بن النَّمِر بن قاسـط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمِىّ بن جَدِيلة آبن أسد بن ربيعة بن نِزَار .

فما يُتَمَثَّل به من شعره قوله

لعـلّ لهـا عذرًا وأنت تلوم * وربّ آمرئٍ قد لام وهو مَلِيم

وقال أيضا

ما كنتُ أوفى شبابى كنه عِزّته * حتى آنقضى فإذا الدنيا له تَبَع

وقال أيضا

أقلل عتابَ من آستربتَ بوُدّه * ليست تُنَـال مـــودةٌ بعتاب

العَتَّابىّ : هو كُلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود
٣٦ آبن عمرو بن كُلثوم الشاعر آبن مالك بن عَتّاب بن سعد بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلب .

فما يُتَمَثَّل به من شعره قوله

وإن عَضِيات الأمور مَشُوبةٌ * بمستودعات فى بطون الأساود

وقال أيضا

ولله فى عَرْض السموات جَنّة * ولكنهـا محفوفة بالمَـــكاره

وقال أيضا

قلت للفرقدين، والليل مُلْقٍ * سُـــودَ أكنافه على الآفاق
اِبقيا ما بقيتما سـوف يُرمَى * بين شخصيكما بسهـم الفراق

أشجع السُّلَمىّ : هو أشجع بن عمرو أبو الوليد، وقيل: أبو عمرو من أهل الرَّقّة.

فمما يتمثل به من شعره قوله

نسيبُك من أمسى يناجيك طرفه * وليس لمن تحت التراب نسيبُ

وقال أيضا

سبق القضاءُ بكلّ ما هو كائن * فليجهد المتقلّب المحتالُ

وقال أيضا

داءٌ قديم فى بنى آدمٍ * فتنةُ إنسان بإنسان

وقال أيضا

وعلى عدوك يا ابن عم محمدٍ * رَصَدان، ضوءُ الصبح والإظلامُ
فإذا تنبه رعتَه وإذا غفا * سلّتْ عليه سيوفَك الأحلامُ

الخُرَيْمىّ

وأعددتُه ذخرا لكل مُلِمّةٍ * وسهمُ الرزايا بالذخائر مولعُ

وقال أيضا

إذا ما مات بعضُك فابكِ بعضًا * فإن البعضَ من بعضٍ قريبُ

وقال أيضا

أرى الحلمَ فى بعض المواطن ذلةً * وفى بعضها عزًّا يُسَوِّدُ فاعله

وقال أيضا

ودون النَّدى فى كل قلبٍ ثنيةٌ * لها مَصْعدٌ حَزْنٌ ومُنحدَرٌ سهلُ

وقال أيضا

العيش لا عيشَ إلا ما قنعتَ به * قد يكثر المال والإنسان مُفتقِرُ

وقال أيضا

وهــل حازم إلا كآخر عاجز * اذا حل بالإنسـان ما يُتوقّعُ

محمود الوَرّاق : هو محمود بن الحسن البغدادى مولى بنى زُهرة ، ويُكنى أبا الحســن .

فمما يُتمثّل به من شعره قوله

وإذا غلا شيءٌ علىّ تركتُه * فيكون أرخصَ ما يكون إذا غلا

وقال أيضا

ما كدتُ أفحص عن أخى ثقةٍ * إلّا ذممتُ عواقبَ الفحصِ

وقال أيضا

الدهر لا يبقى عــلى حالة * لابدّ أن يُقبِــلَ أو يُدبرا

فإن تَلقّــاك بمــكروهـــه * فاصبر فإن الدهرَ لن يَصبـرا

وقال أيضا

إذا كان وجهُ العُذرِ ليس بواضح * فإنّ اطّراحَ العذرِ خيرٌ من العذر

محمود بن حازم الباهلىّ

ألا إنمـا الدّنيا على المرءِ فتنةٌ * على كل حال أقبلتْ أم تولّتِ

وقال أيضا

وقائــلٍ كيف تفــرّقتما * فقلتُ قولا فيـــه إنصــافُ

لم يك لى شــكلا ففارقتُـــه * والناسُ أشــكالٌ وأُلّافُ

السَّمَوءَلُ بن عَادِياء

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ من اللؤمِ عِرضُه * فكلُّ رداء يرتديه جميلُ

وقال أيضا

إذا كنت مَلْحيًّا مُسيئا ومُحسِنا * فغِشيان ماتهوى من الأمر أكيسُ

محمد بن أبي زُرْعَة الدِّمَشْقِي

لا يُؤْيِسَنَّك أن تراني ضاحكا * كم ضَحْكَة فيها عُبوس كامِن

وقال أيضا

قد يَمْهنُ الهِنْدِيُّ وهو حُسام * ويُحَتُّ الجودُ وهو جوادُ

أبو الشيص : وآسمه محمد بن رزين بن تَميم بن نَهْشَل، وأبو الشِّيص لَقَبٌ غَلَب عليه، وكُنْيَتُه أبو جعفر وهو عم دِعْبِل بن عليّ .

فما يُتمثل به من شعره قوله

اذا لم تكُنْ طُرقُ الهوى بى ذليلةً * تنكبتُها وآنحزتُ من جانبِ السَّهل

عليّ بن جَبَلَةَ بن عبد الرحمن الأنباريّ ، وهو المُلَقَّب العَكَوَّك قال

وأرى الليالى ماطوتْ من شِرَّتى * ردّتْه فى عِظَتى وفى إفهامى

وعلمتُ انّ المرءَ من سَنَن الردى * حيثُ الرميّةُ من سِهام الرامى

وقال أيضا

وخافت على التطوف قومى وإنما * تُصاب غرارُ الوحش وهى رتوعُ

الجَحْلاجُ الحارثيّ

وما كنتُ زوّارا ولكنّ ذا الهوى * إلى حيث يهوى القلبُ تهوى به الرجْلُ

وقال أيضا

اذا ما أهانَ آمرؤٌ نفْسَـه * فلا أكرم اللهُ من يُكرمه

عبد الصمد بن المعذَّل

ليس لى عُذْرٌ وعندى بُلْغَةٌ * إنمـا العذر لمن لايستطيع

وقال أيضا

وأعلم أن بنات الرجاء * تُحِلّ العزيزَ مَحَـلَّ الذليل
وأن ليس مُستغنيا بالكثـير * من ليس مُستغنيا بالقليل

وقال ايضا

أرى النـاسَ أحدوثةً * فكونوا حديثاً حَسَنْ
كأن لم يكن ما أتى * وما قد مضى لم يكن
إذا وطنٌ رابنى، * فكل بلادٍ وطن
إذا عزّ يوماً أخـو ك فى بعض أمرٍ فهُنْ

الحمدونىّ

إنّ المُقَدَّمَ فى حِذْقٍ بصنعته أنى توجه فيها فهو محـروم

العتبىّ

قالت عهِدتُك مجنونا، فقلتُ لها: إن الشـبابَ جنون برؤه الكِبَرَ

وقال أيضا

وحسبُك من حادثٍ بامرئٍ يرى حاسـديه له راحمينا

أبو سعيد المخزومى : وآسمه عيسى بن خالد بن الوليد، والصحيح أنه أبو سعد لا سعيد .

فمما يُتمثل به من شعره قوله

وكم رأينا للدهر من أسَدٍ * بالت على راسه ثعالبُهُ

وقال أيضا

إذا ضنّ الجَوادُ بما لديه * فما فضلُ الجواد على البخيل؟

وقال أيضا

ليس لبسُ الطيالسْ * من لباسِ الفوارسْ
لا ولا حَوْمة الوغى كصدور المجالس
وظُهورُ الجيادِ غير ظهور الطنافس
ليس من مارس الخطو * ب كمن لم يمارس

دِعْبِل بن علىّ الخُزاعىّ : هو أبو جعفر وآسمه محمد ودعبل لقبٌ غَلَب عليه، والدِعْبِلُ : البعيرُ المسنُّ، وقيل : الناقةُ التى معها أولادها . (٢١)

فمما يُتمثل به من شعره قوله

لا تعجبى يا سَلْمُ من رجل ضحِك المشيبُ برأسه فبكى

وقال ايضا

هى النفس ما حسّنته فمُحسَّن لديها وما قبّحته فمُقبَّح

وقال أيضا

جئتُ به يشفع فى حاجةٍ * فاحتاج فى الإذن إلى شافع

وقال أيضا

تلك المساعى إذا ماأخرتْ رجلا * أحب للناس عيباً كالذى عابهْ
كذاك من كان هَدْمُ المجد عادَتَه * فإنه لِبنـاء المجــدِ عَيّـابهْ

إسحاق بن إبراهيم المَوصِلىّ

وكلُّ مسافرٍ يزداد شـوقاً * إذا دنت الديارُ من الديارِ

المؤمل بن اميل

إذا مَرِضنا أتيناكم نَعودكمُ * وتذنبون فنأتيكم ونعتــذرُ
لاتحسَبونى غنيّاً عن مودّتكم * إنى إليكم و إن أيسرت مفتقرُ

إبراهيمُ بن العباس بن محمد بن صُول مولى يزيد بن المُهَلّب يُكنى أبا إسحاق ، واصله من خُراسان .

فما يُتمثل به من شعره قوله

ورب أخٍ ناديتُــه لُملمة * فألفيتُه منها أجلّ واعظها

وقال أيضا

وكنت أذُمّ إليك الزمانَ .. فأصبحتُ فيك أذمّ الزمانا
وكنت أُعدّك للنائبـات * فها أنا أطلبُ منك الأمانا

وقال أيضا

دنت بأناس عن تناءٍ زيارةٌ .. وشَطَّ بليلى عن دُنوٍّ مَزارُها
وإن مقيماتٍ بمُنقَطِع اللوى .. لأقرب من ليلى وهاتيك دارها

أبو عليّ البصير : وهو الفضل بن جعفر الكوفيّ يقول

فلا تعتذرْ بالشُّغل عنّا فإنّما * تناطُ بك الآمال ما اتصل الشُّغلُ

وقال أيضا

لعمر أبيك ما نُسب المعلّى * الى كرم وفي الدنيا كريمُ
ولكنّ البلادَ إذا اقشعرّت * وصوّح نبتُها رُعى الهشيمُ

سعيد بن حميد يقول

* إنّ جَهد المقلّ غير قليل * وعلى المريب شواهدٌ لا تدفعُ *

وقال أيضا

وإنّك كالدنيا تُذَمّ صروفها * ونوسعها سبّا ونحن عبيدها

عليّ بن الجهم يقول

ولكلّ حال مُعْقَبٌ ولربما .. أجلى لك المكروهُ عمّا تحمدُ

وقال أيضا

وعاقبةُ الصبر الجميل جميلة   وأفضل أخلاق الرجال التفضّلُ
ولا عار إن زالت عن المرء نعمةٌ   ولكنّ عارا أن يزولَ التجمُّلُ

وقال أيضا

ارضَ للسائل الخُضوعَ وللقا * رف ذنبا مَذلّة الاعتذارِ

ابن أبي فنن : هو أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المنصور يقول

أرى الدهرَ يُخلِقُني كلّما   لبستُ من الدهر ثوبا جديد

وقال أيضا

سُرَّ من عاش مالُه فإذا حا * سَبهُ اللهُ سَرَّهُ الإعدامُ

وقال أيضا

ربَّ أمرٍ سرَّ آخرُهُ * بعد ما ساءَتْ أوائلُهُ

يزيد بن محمد المهلبيّ يقول

* لا عار إن ضامك دهرٌ أو مَلِكْ *

وقال

وإن الناسَ جمعهُم كثيرٌ * ولكنْ من تُسَرُّ به قليـلُ

وقال أيضا

ومن ذا الذى تُرضى سجاياه كلُّها * كفى المرءَ نُبلًا ان تعدَّ معايبُـهْ

عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقول

فإن تلحظى حالى وحالَك مرَّةً * بنظرة عين عن هوى النفس تُحجَبُ

ترَىْ كلَّ يوم مرَّ من بؤس عيشتى * عليـك بيومٍ من نعيمك يُحسبُ

أحمد بن أبى طاهر يقول

ودين الفتى بين التمسك والنهى * ودنيا الفتى بين الهوى والتعزرِ

وقال أيضا

حسن الفتى أن يكون ذا حسبٍ * من نفسه، ليس حسنَه حسبُهْ

أبو تمام حبيب بن أوس الطائى يقول

ما الحبّ إلا للحبيب الأوّل * لسان المرء من جذم الفؤاد *

وذى النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع *

وقال

ما أبَّ مَنْ أبَّ لم يظفر بحاجته * ولم يَعُبْ طالبٌ للنجح لم يُجِبِ

وقال أيضا

ومن لم يُسلِّم للنوائب أصبحتْ * خلائقه طرًّا عليــــه نوائبَا

وقال أيضا

لأمرٍ عليهم أن يتمَّ صدورُه * وليس عليهم أن تتم عواقبُهْ

وقال أيضا

لاتنكرى عَطَلَ الكريم من الغِنى * فالسيلُ حَرْبٌ للمكانِ العــالى

وقال أيضا

واذا تأملتَ البــلادَ رأيتهــا . تُثرِى كما تُثرِى الرجالُ وتُعدِمُ

وقال أيضا

واذا أمرؤٌ أهدى اليك صنيعةً . من جاهه فكأنهــا من ماله

وقال أيضا

خلقنا رجالا للتجــلد والأسى وتلك الغوانى للبــكا والمآتم

وقال أيضا

ينال الفتى من عيشه وهو جاهلُ ويُكدِى الفتى فى دهره وهو عالمُ
ولو كانت الأرزاق تجرى على الحجى هلكن إذًا من جهلهنّ البهائمُ

وقال أيضا

أآلفة النحيب كم افتراق أظلَّ فكان داعيةَ اجتماعِ
وليست فرحةُ الأوبات إلا لموقوفٍ على ترحِ الوداعِ

وقال أيضا

واذا أراد الله نشرَ فضـــيلة * يوما، أتاح لهـا لسان حَسودِ
لولا آشتعال النار فيما جاورت * ما كان يُعرف طِيبُ عَرفِ العودِ

وقال أيضا

خشعوا لصولتك التي هي عندهم * كالموت يأتي ليس فيـــه عار

وقال أيضا

ذاك الذي قَرِحتْ بطونُ جفونه * مَرَهًا وتربة أرضه من إثمـد



وقال أيضا

وتَرَى سرعة الصَّدَرِ آعتباطًا * يدلّ على موافقــة الورود

وقال أيضا

ولم أر كالمعروف تُدعى حقوقُه * مغارمَ في الأقوام وهي مَغانمُ

وقال أيضا

وإن أمرءًا ضنّت يداه على أمرئٍ * بنيـلِ يدٍ من غيره لبخيــلُ

أبو عُبَادة البُحتريّ، وهو الوليد بن عُبَيد بن يحيى بن عُبَيد بن شَمْلان بن جابر بن مُسلمة بن مُسهِر بن الحارث بن خَيْثَم بن أبي حارثة بن جدى بن تَدْوَل بن بُحتُر الطـائيّ .

فمن يتمثل به من شعره قوله

وأبرحُ ممّـا حلّ ما يُتَوقَّعُ *

وقال أيضا

وليس تقترن النعماءُ والحسدُ *

وقال أيضا

. إن المعنّى طالبٌ لا يظفرُ .

وقال أيضا

أرى الكفرَ للنعماء ضربا من الكفرِ .

وقال أيضا

. يزين اللآلى فى النظام آزدواجها

وقال

وكان رجائى أن أؤوب مملَّكا * فصار رجائى أن أؤوب مسلَّما

وقال أيضا

متى أحرجتَ ذا كرم تخطّى * اليك ببعض أخلاق اللئيمِ !

وقال أيضا

والشيء تمنعُه يكون بفَوْته * أجدى من الشيء الذى تُعطاهُ

وقال أيضا

تناسَ ذنوبَ قومك إنّ حفظَ الـذنوبِ إذا قدمنَ من الذنوبِ

وقال أيضا

واذا ما خَفيتَ كنتَ خَريًّا * أن أُرى غيرَ مُصبِحٍ حيث أُمسِى

وقال أيضا

متى أرت الدنيا نباهةَ خاملٍ فلا تنتظرْ إلا خمولَ نبيـهِ

وقال أيضا

وأرى النجابةَ لا يكون تمامُها لنجيبِ قومٍ ليس بابنِ نجيبِ

وقال أيضا

واذا ما الشريفُ لم يتواضعْ . للأخلاّءِ فهو عينُ الوضيعِ

وقال أيضا

ولم أر أمثالَ الرجال تفاوتتْ * الى المجد حتى عُدَّ ألفٌ بواحد

وقال أيضا

ليس الذى يُعطيـك تالدَ ماله * مثلَ الذى يُعطيك مالَ الناسِ
وتَفاضُل الأخلاقِ إِن حصَّلتَها * فى الناس حيثُ تفاضلُ الأجناسِ

وقال أيضا

لاييأس لمرء أن ينجّيَه * ما يحسَبُ الناسُ أنه عطبُهْ
يسرّك الشيءُ قد يسوءُ وكم * نوه يوما بخامل لقبُـــهْ

وقال أيضا

ذا محسِـــنِيَ اللاتى أُدلُّ بهـا * كانت ذنوبى فقل لى كيف أعتذرُ؟

وقال أيضا

وعطــاءُ غيرك إن بذلـــتَ عنـايةً فيه عطاؤكْ

ديك الجن . واسمه عبد السلام بن رَغْبان بن عبدالسلام بن حبيب بن عبد الله ابن رعبان بن زيد بن تميم بن محمد من أهل حمص يقول

وشدْ فى النصح يُعلّمك الأشفِ وليس القِـــدر إلا بالأثافى

وقال

د شجر مـودة مـ نجـــمهُ * بعيث البِرّ أسرع فى الجفافِ

وقال أيضا

يرقد الناس آمنين وريب الدهر يرعاهم بمقلة لص

ابن الرومى يقول

وكم داخل بين الحميمين مصلح * كما انغل بين العين والجفن مرود

وقال أيضا

هو باز صائد أرسلته * فرجعوه سالما إن لم يصد

وقال أيضا

وما الحمد إلا توأم الشكر فى الفتى * وبعض السجايا ينتسبن الى بعض
اذا الأرض ردت ريع ما أنت زارع * من البذر فهى الأرض ناهيك من أرض

وقال أيضا

وإذا أتاك من الأمور مقدر * ففررت منه فنحوه تتوجه

وقال أيضا

كيف ترضى الفقر عرسا لامرئ * وهو لا يرضى لك الدنيا أمه!

وقال أيضا

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

عبد الله بن المعتز يقول

فإن عيون وجوه القلوب

وقال أيضا

أقم سكره قيمه الأولاد .

وقال أيضا

* أبطأ فيض الدلاء أملؤها *

وقال أيضا

اِصبر على كيد الحسو * د فإن صـبرك قاتلُهْ
فالنـار تأكل بعضها * إذ لم تجـد ما تاكله

وقال أيضا

ولا همَّ إلا سوف يُفْتَحُ قُفْلُه * ولا حالَ إلا للفتى بعدها حالُ

وقال أيضا

لا تأمنوا من بعــد خيرٍ شرًّا * كم غُصُنٍ أخضرَ عاد جمـرَا

وقال أيضا

وإنى على إشفاق عينى من البكا * لتجمح منى نظـرة ثم أطرقُ
كما حُلِّئت عن ماء برد طريدةٌ * تمدّ اليـه جيدَها وهى تَفـرقُ

وقال أيضا وإشارته الى الديك

صفَّقَ إما ارتياحةً لسَـنا الـفجر وإما على الدجى أسفا

عبيد بن عبد الله بن طاهر

ألم ترَ أن المرءَ تدوَى يمينُه * فيقطعها عمـدا ليسـلمَ سائرُهْ؟
فكيف تراه بعـد يمناه صانعا * لمن ليس منه حين تدوَى سرائرُهْ؟

وقال أيضا

ألا قبّـح الله الضرورةَ إنها * تكلّف أعلى الخُلْقِ أدنى الخلائقِ!

وقال أيضا

وكم قائل قد قال مالك راجلا؟ * فقلت له من أجل أنك فارس!

وقال أيضا

ومن سرّه أن لا يرى ما يسوءُه * فلا يتّخِذْ شيئا يَخاف له فقدَا

ابن طباطبا العلوىّ: هو أبو الحسن محمد بن أحمد العلوى الأصبهانى يقول

إنّ فى نيل المُنَى وشكَ الردى   وقياس القصد عند السرف
كسراج دهنه قوتٌ له * فاذا غرّقته فيه طُفى

وقال أيضا

لقد قال أبو بكر * صوابا بعد ما نصت
خرجنا لم نصد شيئا * وما كان لنا أفلت

وقال أيضا

يا عيشنا المفقودَ خذ من عمرنا   عامًا ورُدّ من الصّبا أيام !

منصور الفقيه المقرئ يقول

يا من يخاف أن يكو * ن ما أخاف سرمدَ
أما سمعتَ قولهم   إنّ مع اليوم غدَ !

وقال أيضا

لمن يصلح كلّ ما   يُخشى عليه من فسد
وذا الفسد جرى عليه فحكمه حكمُ الرّمد

وقال أيضا

كلُّ مذكورٍ من الناس ذا ما   فقسموه صار فى حكم الرّمد

وقال أيضا

كلّ مذكور من النّـــاس اذا ما فقدوه
صار فى حكم حديث * حفظوه ونســـوه

وقال أيضا

كلّ من أصبح فى دهــرك ممن قد تراهْ
هو من خلفك مقرا * ض وفى الوجه مراهْ

ابن بسّام : هو على بن محمد بن نصر بن منصور بن بسّام كنيته أبا الحسن يقول

* وكم أمنيّة جلبتْ منيّة *

وقال

ولولا الضرورةُ ما جئتكم * وعندالضرورة يؤتى الكنيف !

وقال أيضا

قل لأبى القاسم المرجّى * قابلك الدهر بالعجائبْ
مات لك ابنٌ وكان زينا * وعاش ذو الشين والمعائبْ
حياة هذا كموت هــذا * فلست تخلو من المصائبْ

وقال أيضا

ربَّ يوم بكيت منه فلما * جزت فى غيره بكيت عليه

وقال أيضا

قــد يحمل الشيخُ الكبيـــرُ جنازةَ الطفلِ الصغيرِ

جحْظَـة : هو أبو الحسن أحمــد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك النديم يقول

. ولنسا كين ايضا بالندى وَلَعٌ .

وقال أيضا

* وآفة التبر ضُعفُ منتقدهْ ..

وقال أيضا

* متى يلتقى الميْتُ والغاسلُ؟ *

وقال أيضا

لا تعدّنّ للزمان صديقا ٭ وأعدّ الزمان للأصدقاءِ

وقال أيضا

وما كذب الذى قد قال قبلى : ٭ اذا ما مرَّ يوم مرَّ بعضى

وقال أيضا

اذا الشهر حلَّ ولا رزقَ لى ٭ فعَدِّى لأيامه باطلُ

وقال أيضا

واذا جفانى جاهلٌ ٭ لم أستخر ما عشتُ قطعَهْ
وجعلته مثل القبو ٭ ر أزوره فى كلّ جمعهْ

الصنوبرىّ يقول

مِحَن الفتى يُخبرنَ عن فضل الفتى ٭ كالنار مخبرةٌ بفضل العنبرِ

وقال أيضا

ربَّ حين كأنه مُذْهَب الديـــباج صارت من رقة كاللاذِ [1]
وزمانٍ مثل ريحانة لكنه حسن ٭ عاد عند العيون مثل الداذى [2]
أو ما من فسد رأى الليالى ٭ ليت شعرى هذا وحقِّ هذى!

(1) اللاذة : ثوب حرير أحمر صينىّ والجمع : لاذ .

(2) الداذىّ : شراب الفسّاق .

أبو الفتح كُشاجم : هو محمود بن الحسين بن السندى بن شاهك، وشاهك أمه يقول

يُعاد حديثه فيزيد حُسـنا * وقد يُستقبَحُ الشئُ المُعـادُ

وقال أيضا

شخَصَ الأنامُ الى جمالكَ فاستعِذْ * من شرّ أعينهم بعيبٍ واحد!

*

ومما يتمثّل به من أشعار المولَّدين : منهم

أبو فراس الحمدانىّ

غَنى النفس لمن يعقـل خير من غِـنَى المـالِ
وفضل الناس فى الأنفـس ليس الفضل فى الحال

وقال أيضا

ونحن أناسٌ لا توسّط عنـدنا لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ
تهون علينا فى المعـالى نفوسُنا ومَن خطَبَ الحسناءَ لم يغلِهِ المَهرُ

وقال أيضا

وندعو كريمـا مَن يجود بماله ومَن يبذل النفس النفيسة أكرمُ

وقال أيضا

وجميل العـدوّ غير جميلٍ وقبيحُ الصديق غير قبيح!

أبو الطيب المتنبى يقول

مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ *

وقال أيضا

إن المعارفَ فى أهل النُّهى ذِمَمُ

وقال أيضا

وخير جليسٍ فى الزمان كتابُ

وقال أيضا

وتأبَى الطباعُ على الناقلِ

وقال أيضا

ومنعة الغوث قبل العطب

وقال أيضا

ومن فرح النفس ما يقتلُ

وقال أيضا

ما كلُّ مطلوبٍ فتًى مستعدْ

وقال أيضا

أنا الغريق فما خوفى من البللِ

وقال أيضا

ومن يرفق ... فى عتابُ

وقال أيضا

يعيشُ ... خاملًا متعقل

وقال أيضا

وكلُّ امرئ يولى الجميلَ محبَّبٌ وكلُّ مكانٍ ينبت العزَّ طيِّبُ

وقال أيضا

اذا أنتَ أكرمتَ الكريم ملكتَه . وإن أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمــرّدا

ووضع الندى فى موضع السيف بالعُلى . مضرٌّ كوضع السيف فى موضع الندى

وقال أيضا

والأمر لله، ربَّ مجتهدٍ . ما خاب إلا لأنه جاهــدُ

وقال أيضا

وليس يصحّ فى الأفهام شىء . اذا احتاج النهار الى دليــلِ

وقال أيضا

ومن نكدِ الدنيا على الحرِّ أن يرى . عــدوّا له ما من صداقته بُدُّ

وقال

وإذا كانت النفوسُ كِبارًا تعبتْ فى مرادها الأجسامُ

وقال أيضا

وإن يكنِ الفعلُ الذى ساء واحدا . فأفعــاله اللاّتى سَررنَ أُلوفُ

وقال أيضا

واذا أتتك مذمّتى من ناقص . فهى الشهادة لى بأنى فاضــلُ

وقال أيضا

وما الحُسنُ فى وجه الفتى شرفا له . اذا لم يكن فى فعــلِه والخلائقِ!

وقال أيضا

وما يوجع الحرمانُ من كفّ حارمٍ كما يوجع الحرمانُ من كفِّ رازقِ!

وقال أيضا

إنّا لفى زمنٍ تركُ القبيح به * من أكثر الناس إحسانٌ وإجمالُ
ذكرُ الفتى عمرُه الثانى وحاجته * ما فاته وفضول العيش أشغالُ

وقال أيضا

وقيّدتُ نفسى فى ذراك محبّةً * ومَنْ وجَد الإحسانَ قيدًا تقيّدا

وقال أيضا

ما كلّ ما يتمنّى المرءُ يدركه * تجرى الرياحُ بما لا تشتهى السفُنُ

السرىّ بن أحمد بن السرىّ الموصلىّ يقول

اذا العبءُ الثقيل توزّعته * أكفّ القوم هان على الرقاب

وقال أيضا

فإن كلّما استُودعتَ سرًّا * أنمّ من النسيم على الرياض

وقال أيضا (٣٠)

إن كم أُخبّر فيك المديحَ * وبَلَق سوى لديك الخُبورا؟

أبو بكر محمّد بن هاشم الخالدىّ يقول

إن خانك الدهرُ فكن عائذا * بالبيد والظُّلماء والعيس
ولا تكن عبدَ المنى فالمُنى * رءوس أموال المفاليس

وقال أيضا

وأخٍ رخصتُ عليه حتى ملّنى * والشيء مملول إذا ما يرخُصُ
ما فى زمانك ما يعزّ وجوده * إن رمتَه إلا صديق مخلصُ

أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدى [أخوه] يقول

يا هــذه إن رحتُ فى * خَلَق فما فى ذاك عارُ
هذى المُدام هى الحيا * ة قميصها خِرَقٌ و قارُ

وقال أيضا

صغيرٌ صرفتُ اليه الهوى * وما خاتمٌ فى سوى خِنْصَر

الخَبّاز البلدى : هو أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان، نسبة الى "بلد" وهى من بلاد الجزيرة التى منها المَوصل يقول

اذا آستثقلتَ أو أبغضتَ خَلْقا * وسَرّك بعـدُه حتى التّنادِ
فشرّده بقرض دُريهمات * فإن القَرض داعيةُ الفسادِ

أبو إسحاق الصابئ يقول

نِعمُ الله كالوحوش وما تأ * لف إلّا الأخايرَ النّسا كا
نفّرتها آثامُ قوم وصارتْ * لأولى البرّ والتّقى أشرا كا

وقال أيضا

ومن الظلم أن يكون الرضى سـ * ـرا ويبدو الإنكار وسْطَ النادى

وقال أيضا

الضبّ والنون قد يُرجى آلتقاؤهما * وليس يرجى التقاء اللبّ والذّهبِ

عبد العزيز عمر بن نُباته يقول

فلا تَحقِرنّ عدوّا رماك * وإن كان فى ساعِديه قِصَرْ
فإن السيوف تحزّ الرقابَ * وتعجز عمّا تنال الإبر

وقال أيضا

مَثَلٌ خلعتُ على الزمان رداءه ﴿ عَوَزُ الدراهمِ آفةُ الأجواد

وقال أيضا

يهوى الثناءَ مُبرِّز ومُقصِّر ﴿ حُبُّ الثناء طبيعة الإنسان

وقال أيضا

ونَبَتْ بنا أرضُ العِرا ... ق فما مُجتَناها بمُجتنه

غير الرحيل، كفى البلا ﴿ د برحلةِ العجفاء هُجْنه

ابن لنكك البصرىّ : هو أبو الحسين محمد بن محمد يقول

وماذا أُرجّى من حياةٍ تكدّرت ؟ . ولو قد صفت كانت كأضغاث أحلام

وقال أيضا

عــدِمْنا في زمننا . عن حديث المكارم

من كفى الناس شرَّه . فهو في جود حاتمِ

وقال أيضا

جار زمنٌ عينــــى في تَصرّفه ﴿ وأيّ دهر على الأحرار لم يَجُــرِ

عندى من الدهر ما لو أن أيسره يُلقَى على الفَلَك الدوّار لم يَدُرِ

أبو الحسن عبدالله بن محمد بن محمد السلامىّ يقول

تبسّـــطنا على الآثام لمّا رأينا العفو من ثمر الذنوب

وقال أيضا

ومرء ما شغله فرصة لذة ... حوادث من خَطْبِ

وقال

وكان رقادى بين كأسٍ وروضــة * فصار سُهادى بين طِرْفٍ وصارمِ

وقال أيضا

ركوبُ الهولِ أركبك المَذاكى * ولُبسُ الدرع ألبسك الغلائل

أبو الفرج البَبَّغا يقول

ما الذل إلا تحمُّـــل المِنَنِ * فكن عزيزًا إن شئتَ أو فَهُنِ

وقال أيضا

ومن طلب الأعداءَ بالمـال والظُّبي * وبالسـعد لم يبعُد عليـه مرامُ

وقال أيضا

ولم أر مُذ عرفتُ محلَّ نفسى * بلوغَ مُنى تساوى حمـلَ مَنِّ

وقال أيضا

أكلُّ وميض بارقة كذوبُ * أما فى الدهر شئٌ لا يريب؟

ابن سُكَّرة الهاشمىّ : هو محمد بن عبد الله يقول

* وعلة لحال تُنسى علَّة الجسد *

وقال أيضا

وقد ينبت الشوك بين الأقاحى *

وقال أيضا

الموت أنصف حين عدّل قِسْمَة * بين الخليفــة والفــقير البائسِ

ابن الحَجّاج : هو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج يقول

* وربَّ كلامٍ نستنار به الحربُ *

وقال أيضا

* خَود تُزَفّ الى ضريرٍ مُقعد *

وقال أيضا

واللوزة المرّة يا سادتى * يفسد فى الطّعم بها السكّرْ

وقال أيضا

ما زلتُ أسمع كم من واقفٍ خجِلٍ * حتى ٱبتليتُ فكنتُ الواقفَ الخجِلا

وقال أيضا

وبى مرضان مختلفان حال الـ * ـعليلة منهما يعنى بحالى
اذا عالجتُ هذا جفّ كِبْدى * وإن عالجتُ ذاك رَبَى طِحالى

أبو الحسن المُوسوىّ النقيب : هو محمد بن الحسين بن موسى يقول

أمسيتُ أرحمُ من قد كنتُ أغبطه * لقد تقارب بين العزّ والهُون
ومنظرٍ كان بالسرّاء يضحكنى * يا قرب ما عاد بالضّراء يُبكينى

وقال أيضا

واحترّ من حذر الهو * ن يزول الامر جسيم
وهو العظيم وغير بذ * ع منه ان ركب العظيم

وقال أيضا

ما السُؤدد المغصوب إلّا دون ما * يُورى اليه السُؤدد المولودُ
فاذا هما ٱتفقا تكسرت القنا * عن غالبٍ وتصعضع الجلمودُ

وقال أيضا

شترِ العزّ بما بيع * فما العزّ بغالِ

بالقِصارِ البيضِ إن شئـــتَ أو السُمرِ الطِوالِ
ليس بالمغبون عقلا * مشـتر عزًّا بمـال
إنمـا يُدّخر المـال * لحـاجات الرجالِ
والفتى من جعل الأقـوال أثمـان المعالى

أبو طالب المأمونىّ يقول

لى فى ضمير الدهر سرٌّ كامِنٌ * لابدّ أن تستلّه الأقدارُ

وقال أيضا

وما شرفُ الإنسان إلا بنفسه * أكان ذووه سادة أم مواليا

وقال

(٣١) اذا الغيث وفّى الروضَ واجبَ حقّه * وزاد فإن الغيث للروض ظالمُ

ابن العميد : هو أبو الفضـل محمد بن أبى عبد الله الحسين بن محمد ، عُرف بابن العميد، كان أبوه أبو عبـد الله وزير مرداويج توفى ابن العميد بالرّىّ فى محرّم سنة ستين وثلثمائة يقول

لن يصرف الدهر من سجيّته * أرب أريب وحول ذى حيلِ
أىّ معين صف على كدر الدهر وأىّ النعيم لم يزلِ

وقال أيضا

من ينسف من ذا بآخر منـه * أبرتْ جوانحـه من الأدواءِ
داوى جوى بجوى وليس بحزمه * من يستكفّ النـارَ بالحَلْفاءِ

الصاحب بن عبّاد: هو أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد، توفى فى صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة وعمره خمس وستون سنة وسمّى بالصاحب لصحبة ابن العميد يقول

* بقدر الهموم تكون الهمم * * كم صارم جُرّب فى خنزير *

وقال أيضا

لقد صدقوا والراقصات الى مِنى * بأن مودّات العدا ليس تنفعُ
ولو أنّنى داريت دهرىَ حيّة * اذا استمكنت يوما من اللسع تلسعُ

الحسن بن علىّ بن عبد العزيز القاضى يقول

* القلبُ يُدرك ما لا يُدرك البصر * * تُملك الأحرار بالإيناس *

وقال أيضا

وما أعجبتنى قطّ دعوى عريضةٌ * ولو قام فى تصديقها ألفُ شاهدٍ

وقال أيضا

يقولون لى فيك انقباض وإنما * رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
إذا قيل هذا موردٌ قلت قد أرى * ولكنّ نفس الحرّ تحتمل الظما

وقال أيضا

وقالوا اضطرب فى الأرض فالرزق واسع * فقلت ولكن مطلب الرزق ضيّق
إذا لم يكن فى الأرض حرّ يعيننى * ولم يك لى كسبٌ فمن أين أُرزقُ

أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمىّ يقول

ومن عجب الأيام [illegible] تعجب

ومن [illegible]

[illegible]

وقال أيضا

واذا مدة الشـوق تناهت   جاءه من شـقائه متقاضى

وقال أيضا

عليك بإظهار التجلّد للعـــدا . ولا تظهرنْ منهـا الدنوّ فتُحقرا

بديع الزمان أبو الفضل الهَمَذانىّ، أحمد بن الحسين بن يحيي بن سعيد تُوفّى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة مسموما وأوفى على الأربعين سنة يقول

يا حريصا على الغـنى . قاعدًا بالمراصـــدِ !
لست فى سعيك الذى   خضت فيه بقاصـدِ
إن دنيـاك هـــذه   لست فيهـا بخـالدِ
بعض هـــذا فإنمـا   أنتَ ساعٍ لقاعـــدِ

إسماعيل الناشئ يقول

ولمشباب نراعى حرمة الكتم *

وقال أيضا

وكنت أرى أنّ التجارب عـدّة * فخونت ثقات الناس حتى التجاربُ

وقال أيضا

ومركض فى ميدان المعانى   أحقُّ الخيـل بالركض المعارْ

وقال أيضا

ولا تجـزعنّ على مُلكه . بت أن تُظلك أعصابها

أبو الفتح علىّ بن محمد البستىّ يقول

اذا مرّ بى يوما ولم أتخــذ يدًا * ولم أستفدْ علما فما ذاك من عمرى!

وقال أيضا

أنا كالوَردِ فيــه راحةُ قوم ثمّ فيــه لآخرين زُكامُ!

وقال أيضا

لا ترجُ شيئًا خالصا نفعُــه * فالغيث لا يخــلو من لعيثِ

وقال أيضا

ولم أرَ مثــلَ الشكر جَنّــة غارسٍ ولا مثلَ حسنِ الصبرِ جُنّة لابسِ

وقال أيضا

ولن يسرب السمّ الزُّعاقَ أخو الحجى مُــدِلًّا بدرياقٍ لديه مجــرَّبِ

وقال أيضا

ما استقامتْ قناةُ رأيى إلا بعدَ أن عوّج المشيبُ قنــاتى

وقال أيضا

وصوت [illegible] فى مستقرّه [illegible] يغــيّره [illegible] وريحا ومطعما

وقال أيضا

[illegible] كلّ ضعمةَ صدّه [illegible] الذى يتّقى [illegible]

ولا [illegible] ضعمة [illegible] [illegible] وبجه [illegible] الدهرا!

وقال أيضا

لا تحقر [illegible] دمعة [illegible] خلسـى

[illegible] فى صؤونه [illegible] من خير [illegible]

البـاب الثـانى

من القسم الثانى من الفن الثانى

فى اوابد العرب

ومعنى الأوابد هاهنا : الدواهى ، وهى مما حمى الله تعالى هذه الملّة الإسلاميّة منها ، وحذر المؤمنين عنها ، فقال تعالى (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ) وقال تعالى (مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ) وقال تعالى (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا) وكانت للعرب أوابد جعلوها بينهم أحكاما ونسكا وضلالة وعدة ومدواة ودليلا وتفؤلا وطيرة . فمنها :

البَحِيرَةُ :

قال : كان أهل الوبر يعطون لآلهتهم من الإبل ، وأهل المدر يعطون لها من الحرث ، فكانت الناقة إذا نتجت خمسة أبطن عمدوا إلى الخامس ما لم يكن ذكرا فشقّوا أذنها ، فتلك البحيرة ، وربما اجتمع منها هَجمة من البحر فلا يُجَزّ لها وبر ولا يذكر عليها إن ركبت اسم الله ، ولا يحمل عليها شىء ، وكانت ألبانها للرجال دون النساء .

الوصيلة :

كانت الشاة إذا وضعت سبعة أبطن عمدوا إلى السابع ، فإن كان ذكرا ذُبح ، وإن كانت أنثى تركت فى الشاء ، وإن كان ذكرا وأنثى قيل : وَصلتْ أخاها ، فحرّما جميعا ، وكانت منافعها ولبن الأنثى منها للرجال دون النساء .

السائبة :

كان الرجل يسيّب الشيء من ماله ، إما بهيمةً أو إنسانا ، فتكون حراما أبدا ، منافعها للرجال دون النساء . (٣٢)

الحامي :

كان الفحل اذا أدركتْ أولادُه فصار ولده جدًّا قالوا : حمى ظهره ، آتركوه فلا يحمل عليه ، ولا يركب ، ولا يمنع ماء ، ولا مرعى . فاذا ماتت هذه التي جعلوها لآلهتهم ، اشترك في أكلها الرجال والنساء ، وذلك قوله تعالى (وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ) قالوا : وكان أهل المدر والحرث اذا حرثوا حرثا ، أو غرسوا غرسا ، خطّوا في وسطه خطًّا ، فقسموه بين آثنين فقالوا : مادون هذا الخط : لآلهتهم ، وما وراءه : لله ، فإن سقط ممّا جعلوه لآلهتهم شيء فيما جعلوه لله ردّوه ، وإن سقط مما جعلوه لله في جعلوه لآلهتهم أقرّوه ، واذا أرسلوا الماء في الذي لآلهتهم ، فانفتح في الذي سموه لله سدّوه ، وإن آنفتح من ذلك في هذا قالوا : آتركوه فإنه فقير اليه ، فأنزل الله عزّ وجلّ (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) .

الأزلام :

قالوا : كانوا اذا كانت مداراة أو نكاح أو أمر يريدونه ، ولا يدرون ما الأمر فيه ولم يصحّ لهم أخذوا قداحا لهم فيها : أفعل ولا أفعل لا تفعل ، نعم لا خير ، شر ، بطيء ، سريع ، فأما المداراة فإن قداحا لهم فيها بيض ليس فيها شيء ، كانوا يجيلونها فمن خرج

سهمه فالحقّ له، والحضر والسفر سهمان؛ فيأتون السادن من سدنة الأوثان فيقول السادن : اللّهم أيّهما كان خيرا فأخرجه لفلان ، فيرضى بما يخرج له ، فاذا شكّوا فى نسب الرجل أجالوا له القداح وفيها : صريحٌ، وملصَقٌ؛ فإن خرج الصريح ألحقوه بهم، وإن خرج الملصق نفوه، وإن كان صريحا فهذه قِداح الاستقسام .

الميسر :

قالوا فى الميسر : إن القوم كانوا يجتمعون فيشترون الجُزورَ بينهم، فيفصّلونها على عشرة أجزاء؛ ثم يؤتَى بالحُرْضَة وهو رجل يتألّه عندهم لم يأكل لحما قط بثمن ، ويؤتى بالقِداح وهو أحد عشر قِدْحا ، سبعة منها لها حظّ إن فازت ، وعلى أهلها غرم إن خابت، بقدر مالها من الحظّ إن فازت، وأربعة يُثقل بها القداح، لاحظّ لها إن فازت، ولا غرم عليها إن خابت .

فأما التى لها الحظّ : فأولها الفَذُّ فى صدره حزٌّ واحد؛ فإن خرج أخذ نصيبا، وإن خاب غرم صاحبه ثمن نصيب، ثم التوأم، له نصيبان إن فاز، وعليه ثمن نصيبين إن خاب، ثم الضَّرِيب، وله ثلاثة أنصباء، ثم الحِلْس وله أربعة، ثم النافس، وله خمسة، ثم المُسْبِل، وله ستة، ثم المُعَلَّى وله سبعة . قالوا : والمسبِل يسمّى : المُصْفَحُ، والضريب يقال له : الرقيب .

وقد جمع الصاحب بن عبّاد هذه الأسماء ونظمها فى أبيات فقال

إنّ القِداحَ أمرها عجيبُ ، الفذُّ، والتوأمُ، والرقيبُ،
والحلْس، ثم النّافس المصيبُ ، والمُصْفَحُ المشتهر النجيبُ،
ثم المعلَّى حظّه الرغيبُ ، هذا عند جمعهم الترتيبُ،

وأما الأربعة التى ينقل بها القِداحُ فهى : السَّفيح، و المَنيح، و المُضْعَف، والوغد .

قال ابن قتيبة : والمنيح له موضعان : أحدهما لاحظّ له، والثانى له حظّ، فكأنه الذى يُمنح حظُّه، وعلى ذلك دلّ قول عمرو بن قبيصة

بأيديهـــمُ مقرومةٌ ومَغالقٌ * يعودُ بأرزاق العيالِ مَنيحها

قالوا : فيؤتى بالقِداح كلها وقد عرف كلّ ما تختار من أنسبة ولا تكون الأيسار إلا سبعة، لا يكونون أكثر من ذلك، فإن نقصوا رجلا أو رجلين، فأحب الباقون أن يأخذوا ما فضل من القداح، فيأخذ الرجل القِدح والقِدحين فيأخذ فوزهما إن فازا، ويغرم عنهما إن خابا ويدعى ذلك : التَّميمُ قال النابغة

إنى أتمّم أيسارى وأمنحهم مِن الأيادى وأكسو الجفنة الأُدُم

فيعمدون إلى القدح، فتُشدّ مجموعة فى قطعة جلد ثم يعمد إلى الحُرْضة فيلف على يده اليمنى ثوبا لئلا يجد مسّ قِدح له فى صحبه هوى، فيحابيه فى إخراجه، ثم يؤتى بثوب أبيض يدعى المِجْوَل، فيبسط بين يدى الحُرْضة، ثم يقوم على رأسه رجل يدعى : الرقيب ويدفع الرِّبابة للقِدح إلى الحُرْضَة وهو محوّل وجهه عنه، والرِّبابة : ما يجمع فيه القِداح، فيأخذه ويدخل يمينه من تحت الثوب، فينكر القِداحَ بشماله، فإذا نهد منها قدح تناوله فدفعه إلى الرقيب، فإن كان مما لا حظّ له، ردّ إلى الرِّبابة، وإن خرج بعده نصيب، أخذ الثلاثة الباقية، وغرم الذين خرجوا ثلاثة أنصباء من جزور أخرى، وعلى هذه حال يفعل بمن فاز ومن خاب، فربما نحروا عدة جزور ولا يغرم الذين فازوا من ثمنها شيئا، وإنما غرمه على الذين خابوا ولا يعدّ

للغائبين أن يأكلوا من ذلك اللحم شيئا ، فإن فاز قدحُ الرجل فأرادوا أن يعيدوا قدحه ثانية على خِطار فعلوا ذلك به .

ومنها : نـكاحُ المقت : كان الرجل اذا مات قام أكبر ولده فألقى ثوبه على آمرأة ابيـه فورث نكاحها ، فإن لم يكن له فيها حاجة تزوّجها بعض إخوته بمهر جديد ، فكانوا يرثون نكاح النساء كما يرثون المـال ، فأنزل الله تعـالى (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ) .

ومنها : رمى البعرة : كانت المرأة فى الجاهليـة اذا توفى عنها زوجها ، دخلَتْ حَفْشًا ، والحَفْشُ : الخُصّ ، ولبست شرَّ ثيابها ولم تمسّ طِيبا ولا شيئا ، حتى تمرّ لها سـنةٌ ثم تؤتى بدابة : حمار أو شاةٍ أو طيرٍ فتفتضُّ به أى تمسح به ، فقلّما تفتضّ بشيء إلا مات ، ثم تخرج على رأس الحول ، فتعطى بعرة فترمى بهـا ، ثم تراجع ما شاءت من طِيب أو غيره ومعنى رميها بالبعرة : أنها ترى أن هذا الفعل هيّن عليها مثل البعرة المرميّة ، فنسخ الإسلام ذلك بقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) .

ومنها : ذبح العتائر : قالوا : كان الرجل منهم يأخذ الشاة ، وتسمّى العَتِيرُ والمعتورةُ فيذبحها ويصبّ دمها على رأس الصنم ، وذلك يفعلونه فى رجب ، والعَتْرُ قيل : هو مثل الذبح ، وقيل : هو الصنم الذى يُعتَر له ، قال الطرمّاح

فخرّ صريعًا مثلَ عاتِرةِ النسيك

أراد بالعاترة : الشاة المعتورة .

عقد السَّلَعِ والعُشَرِ : وقد تقدم ذكره عند ذكر أسماء نيران العرب .

ذبح الظبي : كان الرجل ينذر أنه إذا بلغت إبله أو غنمه مبلغا فأذبح عنها كذا، فاذا بلغت ضنّ بها، وعمد الى الظّباء فيصطادها ويذبحها وفاء بالنذر. قال الشاعر

عَنَتًا باطلًا وزورًا كما يُعْـــتَرُ عن حَجْرة الرَّبيض الظباءُ

ومنها : حبس البلايا : كانوا اذا مات الرجل يشدّون ناقته الى قبره. ويعكسون رأسها الى ذنبها . ويغطّون رأسها بوليّة وهي البردعة. فإن أفلتت لم تُرَدّ عن ماء ولا مرعًى . ويزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك . ليركبها صاحبها في المَعاد . ليُحشر عليها. فلا يحتاج أن يمشي. قال أبو زبيد

كالبلايا رءوسها في الولايا مانحات السّموم حُرّ الخدودِ

ومنها : خروج الهامة : زعموا أن الإنسان اذا قُتل . ولم يطالَبْ بثأره . خرج من رأسه طائر يسمّى : الهامة . وصاح على قبره : اسقوني ! اسقوني ! الى أن يطالب بثأره. قال ذو الإصبع

عمرو إن لا تدعْ شتمي ومَنقصَتي أضربْكَ حتى تقول الهامة: اسقوني

ومنها : إغلاق الظهر : كان الرجل منهم اذا بلغت إبله مائة عمد الى بعير منها فأغلق ظهره لئلا يركب. ويعلم أن صاحبه حمى ظهره . وإغلاق ظهره أن ينزع سناسنَ فقرته ويَعقرَ سنامَه .

ومنها : التعمية والتفقئة : وكان الرجل اذا بلغت إبله ألفا فقأ عين فحلها يقول : إن ذلك يدفع عنها العين والغارة. قال الشاعر

وهبتَها وأنت ذو امتنانِ تُفقأ فيها أعينُ البُعرانِ

فإن زادت على الألف فقأ العين الأخرى. فهو التعمية .

ومنها : بكاء المقتول : كان النساء لايبكين المقتول إلا أن يُدرَكَ بثأره، واذا أُدرك بثاره بكينه؛ قال شاعر

من كان مسرورا بمقتل مالكٍ * فليأتِ نسوتَنا بوجهِ نهارِ
يجد النساء حواسرا يندبنـــه * يلطمن حُرَّ الوجهِ بالأسحارِ

ومنها : رمى السنّ فى الشمس : يقولون : إن الغلام اذا ثغر، فرمى سِــنَّه فى عين الشمس بسبّابته وإبهامه وقال : أبدليني أحسن منها، أمن على أسنانه العوجَ، والفَلَجَ، والثَّعَلَ؛ قال طرفة

بدّلتـه الشمسُ من مَنبِتِه * بَرَدا أبيضَ مصقولَ الأَشَرْ

ومنها : خضاب النحر : كانوا اذا أرسلوا الخيل على الصّيد فسبق واحدٌ منها، خضبوا صدرَه بدم الصّيد علامة له؛ قال الشاعر

كأن دماء العاديات بنحـره * عصارة حنّاءٍ بشيبٍ مرجّلِ

ومنها : التصفيق : كانوا اذا ضلّ الرجل منهم فى الفلاة، قلَبَ ثيابه، وحبس ناقته، وصاح فى أذنها كأنه يومئ الى إنسان، وصــفّق بيديه : الوحا الوحا، النجا النجا، هيكل، الساعة الساعة، الىّ الىّ، عجّل؛ ثم يحرّك الناقة فيهتــدى؛ قال الشاعر

وأذّن بتصفيق من سوء ظنّه * فلم يدرِ من أىّ اليدين جوابها

يعنى : بسوء ظنّه بنفسه اذ ضل .

ومنها : جزّ النواصى : كانوا اذا أسروا رجلا، ومنّوا عليه فأطلقوه، جزّوا ناصيته ووضعوها فى الكنانة، قال الحطيئة

قدنا سَلولَ فسلُّوا من كنانتهم ‏ مجدا تليدا ونَبلا غيرَ أنكاسِ

يعني بالنُّبْلِ : الرجالَ، وقالت الخنساء

جززنا نواصيَ فرسانهم ‏ وكانوا يظنون أن لا تُجزّا

ومنها : كيّ السليم عن الجَرِب : زعموا أن الإبل إذا أصابها العُرّ فأخذوا الصحيح وكووه زال العُرّ عن السقيم، قال النابغة ٣٤

وكلَّفتنى ذنبَ امرئٍ وتركته ‏ كذى العُرِّ يُكوى غيرُه وهو راتعُ

ويقال : إنهم كانوا يفعلون ذلك، ويقولون : تؤمن معه العدوى .

ومنها : ضرب الثور : وزعموا أن الجن تركب الثيرانَ فتصدّ البقر عن الشرب، قال الأعشى

وإنى وما كلفتمونى وربكم ‏ ليَعلمَ من أمسى أعقَّ وأحوبا

لكالثور والجنىّ يركب ظهره ‏ وما ذنبه إن عافت الماء مشربا

وما ذنبه إن عافت الماء باقر ‏ وما إن تعاف الماء إلا ليُضرَبا

وقال آخر

كذاك الثور يُضرب بالهراوى ‏ إذا ما عافت البقرُ الظِّماءُ

ومنها : كعب الأرنب : كانوا يعلقونه على أنفسهم ويقولون : إن من فعل ذلك لم تصبه عين ولا سِحر . وذلك أن الجن تهرب من الأرنب ، لأنها ليست من مطايا الجن لأنها تحيض . قال الشاعر

ولا ينفع التعشير إن حمّ واقع ‏ ولا زعزع يغنى ولا كعب أرنب

وقيـل لزيد بن كُثْوَةَ : أحقٌّ ما يقولون : إن من علّق على نفســه كعبَ أرنب لم يقربْه جنّانُ الحي-وعُمّار الدار؟ فقال : إى والله ! ولاشيطان الحَمَاطة، الحماطة: شجرة التين ؛ وجان العُشرة، وغول العُقر، وكلّ الخوافى . إى والله يطفئُ نيرانَ السّعالِى .

ومنها : حيض السَّمُرة : يزعمون أن الصبي اذا خيف عليه نظرة أو خطفة ، فعلّق عليه سنّ ثعلب، أو سنّ هرة، أو حيض سَمُرة، أمن، فإن الجنيّة اذا أرادته لم تقدر عليه. فاذا قال لها صواحباتها فى ذلك، قالت

كانت عليــه نُفَرَهْ .. ثعـالبٌ وهِــرَرَهْ

. والحيض حيض السَّمُرهْ

ومنها : الطارف والمطروف : يزعمون أن الرجل اذا طرف عين صاحبــه ، فهاجت فمسح الطارفُ عين المطروف سبع مراتٍ وقال فى كلّ مرة: بإحدى جاءت من المدينة، باثنتى جاءتا من المدينة. بثلاث جئن من المدينة، الى سبع، سكن هيجانها.

ومنها : وطء المقاليت : يزعمون أن المرأة المقلات اذا وطئت قتيـلا شريفا بقى أولادها. وفى ذلك يقول بشر بن أبى خازم

تظلّ مقاليتُ النســاء يطأنه يقلن ألا يُلقَى على المرء مئزرُ

ومنها : تعليق الحلى على السليم : كانوا يعلّقون الحلىَ على الملسوع ويقولون إنه اذ علّق عليــه أفاق . فيلقون عليه الأسورة والرِّعاث، ويتركونها عليه سبعةَ أيام ويمنع من النوم، قال النابغة

يُسهَّدُ فى وقت العشاءِ سليمُها لحلْى النســاءِ فى يديْه قَعاقعُ

ومنها : ذهاب الخَدَر : يزعمون أن الرجل اذا خدرت رجله فذكر أحبّ الناس اليه ذهب عنه، قال كثيّر

اذا خدرتْ رِجلي دعوتك أشتفي . بذكراك من مَذْل بها فيهونُ

وقالت امرأة من كلاب

اذا خدرتْ رجلي ذكرتُ ابن مُصعب * فإن قلتُ : عبد الله، أجلَى فتورُهَا

وقيل ذلك لابن عمر وقد خدرت رجله فقال : يا محمّداه ،

ومنها : الخَلَاءُ : زعموا أنه اذا ظهرت بشفة الغلام بثور، يأخذ منخُلا على رأسه ويمرّ بين بيوت الحيّ، وينادى : الخَلَاءُ الخَلاءُ، فيلقى فى منخله من هاهنا تمرة، ومن هاهنا كسرة، ومن ثمّ بضعة لحم، فاذا امتلأ، نثره بين الكلاب، فيذهب عنه البثْر، وذلك البثر يسمّى : الخَلَاءُ . ١

ومنها : التعشير : يزعمون أن الرجل اذا أراد دخول قرية فخاف وباءها، فوقف على بابها قبل أن يدخلها فعشّر كما ينهق الحمار، ثم دخلها لم يصبه وباؤها، قال عروة ابن الورد

لعمرى لئن عشّرت من خشية الردى . نهاق الحمير إننى لجزوعُ!

ومنها : عقد الرَّتَم : كان الرجل منهم اذا أراد سفرا، عمد الى الرتم فعقده، والرتم : نبت، فإن رجع ورآه معقودا، زعم أن امرأته لم تخنه، وإن رآه محلولا زعم أنها قد خانته، قال الشاعر ١

هل ينفعنك اليوم إن همّت بهم كثرة ما توصى وتعقاد الرّتمْ

وقال آخر

خانته لما رأت شيبا بمفرقه وغرّه حلفها وعقدها الرتم ٢

ومنها : **دائرة المهقوع** : وهو الفرس الذى به الدائرة التى تسمّى : المَقْعَةُ ، يزعمون أنه اذا عرق تحت صاحبه، اغتلمتْ حليلتُه وطلبتْ الرجال ؛ قال الشاعر

اذا عَرِق المهقوعُ بالمرء أنعظتْ * حليلتُــه وٱزدادَ حَرًّا عِجانُها

ومنها : شقّ الرداء والبرقع : زعموا أن المرأة اذا أحبّت رجلا أو أحبها ثم لم تشق عليه رداءه ، ويشقّ عليها برقعها، فسد حبّهما ، فاذا فعل ذلك دام حبّهما ؛ قال الشاعر

اذا شُق بُرْدٌ شُقّ بالبُرد بُرقُعٌ * دَواليْك حتى كلُّنا غير لابِس

فكم قد شققنا من رداءٍ محبَّرٍ - ومن برقعٍ عن طفلة غيرِ عانِس

ومنها : نوء السماك : كانوا يكرهونه ويقولون فيه داء الإبل ؛ قال الشاعر

ليت السماكَ ونوءَه لم يُخلَقــا - ومشى الأُفَيرِقُ فى البلاد سليما

ومنها : النسيء : وقد تقدّم خبره فى الفن الأوّل من الكتاب .

ومنها : وأد البنات : وقد نهاهم الله عز وجلّ عنه فى قوله : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ٣٥
خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ). وكانوا يقتلوهنّ خشية الإملاق أو من الإملاق ؛ وقد قيل: إنهم كانوا يقتلوهنّ خوف العار أو أن يُسبينَ ، فمن قتلهن خشية الإملاق ما روى عن صعصعة بن ناجية المجاشعيّ جد الفرزدق : أنه لما أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إنى كنت أعمل عملا فى الجاهليّة ، أفينفعنى ذلك اليوم؟ قال : وما عملك؟ قال : أضللت ناقتين عشراوين ، فركبت جملا ومضيت فى بغائهما فرُفع لى بيت جريد ، فقصدته فاذا رجل جالس بفنائه ، فسألته عن الناقتين ، فقال : ما نارهما؟ قلت : ميسم بنى دارم . قال : هما عندى ، وقد أحيا الله تعالى

بهما قوما من أهلك من مضر، وإذا عجوز قد خرجت من كسر البيت، فقال لها: ما وَضَعَتْ؟ فإن كان سَقْبا شاركنا في أموالنا، وإن كانت حائلا وأدْناها. (معنى قوله سقبا أي ذكرا، وحائلا أي أنثى) فقالت العجوز: وضَعتْ أنثى، فقلت: أتبيعها؟ قال: وهل تبيع العرب أولادها؟ قال قلت: إنما أشترى حياتها ولا أشترى رقها. قال: فبكم؟ قلت: احتكم. قال بالناقتين والجمل، قلت: لك ذلك، على أن تبلغني الجمل وإياها ففعل، فآمنت بك يا رسول الله، وقد صارت لى سُنَّةٌ على أن أشترى كلّ موءودة بناقتين عشراوين وجمل، فعندى إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا موءودة قد أنقذتها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ينفعك ذلك، لأنك لم تبتغ به وجه الله تعالى، وإن تعملْ فى إسلامك عملا صالحا تُثب عليه، ففى ذلك يقول الفرزدق مفتخرا

وجدى الذى منع الوائدين وأحيا الوئيد فلم يوأدِ

ومن قتلهم خشية العار: قيس بن عاصم المنقرى وكان من وجوه قومه ومن ذوى الأموال فيهم وكان يئد بناته وسبب ذلك: أن النعمان بن المنذر لما منعته بنو تميم الإتاوة التى كانت تؤديها له جهّز إليهم أخاه الريّان بن المنذر، ومعه بكر بن وائل فغزاهم، فاستاق النعم وسبى الذرارى، فوفدت إليه بنو تميم فلما رآهم أحب البقيا عليهم، فقال النعمان

ما كان ضرّ تميما لو تغمّدها من فضلنا ما عليه قيس عيلان

وأناب القوم وسألوه النساء، فقال النعمان: كلّ امرأة اختارت أباها ردّت إليه وإن اختارت صاحبها تُركتْ عليه، فكلّهن اختارت أباها إلا ابنة قيس بن عاصم اختارت صاحبها عمرو بن المشمرج، فنذر قيس لا يولد له ابنة إلا قتلها، وعمل بهن من وأد وزعم أنه حميّة.

البـاب الثـالث

من القسم الثـانى من الفن الثـانى

فى أخبار الكهنة

ويتصل به الزجر والفأل والطِّيَرةُ والفِراسة والذكاء ، وكانت كهنة العرب لهم أتباع من الشياطين يسترقون السمع ويأتونهـم بالأخبار ، فيلقونها لمن يتبعهم، ويسألهم عن خفيّات الأمور حتى جاء الإسـلام ، فمُنعت الشياطين من آسـتراق السمع ، كما أخبر الله تعالى عنهم فى كتابه العزيز (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا) فعند ذلك آنقطعت الكهانة فلم يسمع فى الإسلام بكاهن. وهـذا من معجزات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسـلم لزوال الإشكال فى الوحى. فمن أخبار الكهنة ، خبر سطيح الكاهن حين ورد عليه آبن أخته عبدالمسيح وهو يعالج الموت ، فأخبره خبر ما جاء لأجله ، وذلك أنه لمـا كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم آرتجس إيوان كسرى ، وسقط منه أربع عشرة شُرفةً، وخمدتْ نارُ فارس ، ولم تكن خمدتْ قبل ذلك بألف عام ، وغارت بحيرة ساوة ، ورأى الموبذان إبلا صعابا تقود خيلا عربا قد قطعت دجلة وآنتشرت فى بلاد فارس ، فلما أصبح كسرى تصبّر تشجّعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ومَرْزَبته ، فلبس تاجه ، وقعد على سريره ، وجمعهم وأخبرهم الخبر فبيناهم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمود النار فآزداد غمًّا ، وسأل الموبذان وكان أعلمهم فقـال : حادثٌ يكون من قِبَل العرب ، فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر : أن وجّه إلىّ رجلًا عالمـا بما أريد أن

أساله عنه فوجّه اليه عبد المسيح بن حسّان بن نُفيلة الغسّانىّ فقال له كسرى : أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: ليخبرنى المَلِكُ فإن كان عندى منه علم، وإلّا أخبرتُه بمن يَعلمه، فأخبره بما رآه فقال : عِلْمُ ذلك عند خالٍ لى يسكن مشارق الشام يقال له : سَطِيح، فأرسله كسرى اليه فورد على سطيح وقد أشفى على الموت فسلّم عليه وحيّاه فلم يُحِر سطيحٌ جوابا فأنشد يقول

أَصَمُّ أم يسمع غِطريفُ اليمنْ * أم فاز فازْلَمَّ به شأوُ العَنَنْ؟
يا فاصل الخُطّة أعيت مَن ومَنْ . وكاشفَ الكُربة عن وجه الغَضَنْ
أتاك شيخ الحىّ من آل سَنَنْ . وأمّه من آل ذئب بن حَجَنْ
أزرقُ مُمْهَى الناب صَرّار الأذنْ . أبيضُ فَضْفَاضُ الرِّداء والبدنْ
رسول قَيْل العُجم يسرى بالوسنْ . لا يرهب الرعد ولا ريب الزمنْ
يجوب فى الأرض على ذاتِ شَجَنْ . ترفعنى وُجْنًا وتهوى بى وُجُنْ
حتى أتى عارى الجآجى والقَطَنْ . تلفّه فى الريح بَوغاءُ الدِّمنْ
* كأنما حُثحِثَ من حِضْنَىْ ثَكَنْ .

ففتح سطيح عينيه ثم قال: عبد المسيح، على جَمَلٍ مُشيح، أتى الى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك مَلِكُ بنى ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا المُوبَذان؛ رأى إبلا صِعَابا، تقود خيلا عِرابا، قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها . يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوه، وبُعث صاحب الهِراوه، وفاض وادى السماوه، وغاضت بحيرة ساوه، وخمدت نار فارس، فليس الشام لسطيح شاما، ولا بابل للفرس مُقاما، يملك فيهم ملوك وملكات، بعدد الشُّرفات، وكل ما هو آت آت، ثم قضى سطيح لوقته، فثار عبد المسيح الى رحله وهو يقول

شمّرْ فإنك ماضى العــزم شمّيرٌ * لا يفزعنّك تفريقٌ وتغيـــيرُ
إن كان ملك بنى ساسان أفرطهم * فإن ذا الدهر أطوارٌ دهاريرُ
فربّمـا ربّمـا أضحوا بمــنزلة * تهاب صولهم الأسدُ المهاصيرُ
منهم أخو الصّرح بَهرام وإخوته * والهُرمُزان وسابورٌ وشـابورُ
والناس أولاد عِلّاتٍ فمن علموا * أن قد أقلّ فمحقورٌ ومهجورُ
وهم بنو الأمّ أمّا إن رأوا نشبا * فذاك بالغيب محفوظ ومنصورُ
والخير والشرّ مقرونان فى قَرَنٍ * فالخــير مُتّبع والشرّ محـذورُ

فلما قصّ الخبرَ على كسرى قال: الى أن يملك منّا أربعة عشر تكون أمورٌ، فملك منهم عشرة فى أربع سنين، وملك الباقون الى زمن عثمان رضى الله عنه .

ومن أخبـارهم: أن سُعدى بنت كُرَيز بن ربيعة كانت قد تطرّقت وتكهّنت وهى خالة عثمان بن عفّان رضى الله عنهُ، روى عنه أنه قال : لمـا زَوّجَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم ٱبنته رُقيّة من عُتبة بن أبى لهب وكانت ذات جمال رائع، دخلتنى الحسرة أو كالحسرة أن لا أكون سـبقت اليها ثم لم ألبث أن ٱنصرفت الى منزلى فألفيت خالتى فلما رأتنى قالت

أَبشِرْ وحيِّيتَ ثلاثا تترَى * ثمّ ثلاثا وثـلاثا أُخرَى
ثمّ بأُخرى كى تتمّ عشـرا * أتاكَ خير ووُقيت شرّا
نكحت والله حَصانا زَهرا * وأنتَ بِكرٌ ولقيتَ بِكـرا
وفيتها بنت نفيس قدر * بنت نبىّ قد أشاد ذكرا

قال عثمان : فعجبتُ من قولها، وقلتُ : ماذا تقولين ؟ فقالت

عثمان يا ٱبن أختَ يا عثمانْ * لك الجمـال ولك البيـانُ

هــذا نبيّ معه البرهانُ ✽ أرسـله بحقّه الدّيّانُ
وجاءه التنزيل والفُـرقانُ ✽ فتّبعْه لا تختالك الأوثانْ

فقلت : يا خالة ! إنك لتذكرين ما قد وقع ذكره فى بلدنا فبيّنيه لى. فقالت: إن محمد بن عبد الله رسولٌ من عند الله ، جاء بتنزيل الله، يدعو إلى الله، مصباحه مصباح، وقولُه صلاح، ودينه فلاح، وأمرُه نجاح، وقرْنه نطّاح، ذلّت له البطاح، ما ينفع الصياح، لو وقع الذباح، وسُلّت الصفاح، ومـدّت الرماح. قال : ثم قمت فانصرفتُ ووقع كلامها فى قلبى ، وجعلت أفكّر فيه ، وذكر بعد ذلك إسلامه وتزويجه رقية ، فكان يقال : أنهما أحسن زوجين رُئيا وجمالا .

ومنها أن هندا بنت عُتبة بن ربيعة كانت عند الفاكه بن المُغيرة ، وكان من فتيان قريش ، وكان له بيت للضيافة خارج من البيوت ، تغشاه الناس من غير إذن ، فخلا البيتُ ذات يوم فاضطجع هو وهند فيه ، ثم نهض لبعض حاجته ، وأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه ، فلما رآها ولّى هاربا ، وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضربها برجله وقال لها : من هذا الذى خرج من عندك ؟ قالت : ما رأيتُ أحدا ولا انتبهت حتى أنبهتنى ! فقال لها : ارجعى إلى أبيك ، وتكلّم الناس فيها ، فقال لها أبوها : يا بنيّة ! إن الناس قد أكثروا فيك ، فأنبئينى نبأك ، فإن يكن الرجل عليك صادقا دسستُ عليه من يقتله ، فتنقطع عنك المقالة ، وإن يك كاذبا حاكمته إلى بعض الكهّان . فقالت : لا والله ! ما هو علىّ بصادق ، فقال له : يا فاكه ! إنك قد رميتَ ابنتى بأمر عظيم ، فحاكمنى إلى بعض كهّان اليمن ، فخرج الفاكه فى جماعة من بنى مخزوم ، وخرج عتبة فى جماعة من بنى عبد مناف ، ومعهم هند ونسوة معها ، فلما شارفوا البلاد وقالوا : غدا نرد على الرجل ، تنكّرت حال هند ، فقال لها عتبة : إنى أرى

ما بك من تنكّر الحال، وما ذاك إلّا لمكروه عندك، فهلّا كان هذا قبل أن يشتهر عند الناس مسيرنا؟ فقالت: لا والله! ولكنّى أعرف أنكم تأتون بَشَرًا يخطئ ويصيب (٣٧) ولا آمنه أن يسمنى مِيْسما يكون علىّ سُبَّة فقال: إنى سوف أختبره لك، فصفّر لفرسه حتى أدلَى ثمّ أدخل فى إحليله حبّةَ حِنْطة وأوكأ عليها بسير، فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم، فلما تغدّوا قال له عتبة: قد جئناك فى أمر وقد خبأنا لك خبيئا أختبرك به، فانظر ما هو؟ فقال ثمرةٌ، فى كَمَرَهْ. قال إنّى أريد أبين من هذا، قال: حَبّة بُرّ، فى إحليل مُهر، قال: انظر فى أمر هؤلاء النسوة، فجعل يدنو من إحداهنّ فيضرب بيده على كتفها ويقول لها، انهضى، حتى دنا من هند فقال لها: انهضى غير رسحاء ولا زانية، ولتلدنّ ملكا اسمه معاوية، فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبتْ يدَها من يده وقالت: اليك عنّى فوالله لأحرصنّ أن يكون من غيرك؛ فتزوّجها أبو سفيان.

ومنها، أن أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف الى المنافرة، فقال هاشم: إنّى أنافرك على خمسين ناقة سود الحَدَق، نحرها بمكة أو الجلاء عن مكّة عشر سنين، فرضى أميّة وجعلا بينهما الخُزاعىّ الكاهن وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا: نخبأ له خبيئا فان أصابه تحاكمنا اليه، وإن لم يصبه تحاكمنا الى غيره، فوجدا أبا هَمْهَمَة وكان معهم أطباق جُمجمة، فأمسكها معه ثم أتوا الكاهن فأناخوا ببابه وكان منزله بعُسْفان: فقالوا: إنا قد خبأنا لك خبيئا فأنبئنا عنه. قال: أحلفُ بالضّوء والظلمه. وما بتهامة من تهمه. وما بنجد من أكمه. لقد خبأتم لى أطباق جمجمه. مع الفَنْدَح أبى همهمه، فقالوا: صدقت احكم بين هاشم بن عبد مَناف وبين أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف أيّهما أشرف بيتًا ونَفْسًا. قال: والقمر الباهر،

والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلمٍ مسافر، من مُنجِد وغائر، لقد سبق هاشم أميّةَ إلى المآثر، أوّلا منه وآخر. فأخذ هاشم الإبل ونحرها وأطعمها من حضر وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين. فيقال: إنها أوّل عَداوة وقعتْ بين بنى هاشم وبين بنى أميّة .

ومنها : أن بنى كلاب وبنى رِئاب من بنى نَصْر خاصموا عبدَ المُطَّلِب فى مال قريب من الطائف فقال عبدُ المطّلب : المال مالى فسلونى أعطكم. قالوا : لا. قال : فاختاروا حاكمًا قالوا : ربيعة بن حُذار الأسدىّ فتراضوا به وعقلوا مائة ناقة فى الوادى وقالوا : الإبل والمال لمن حُكِم له . وخرجوا وخرج مع عبد المطّلب حَرْبُ بن أميّة فلما نزلوا بربيعة بعث إليهم بجزور فنحرها عبد المطّلب، وأمر فصنع جزور وأطعم من أتاه، ونحر الكلابيّون والنضريّون وتشاقوا فتيل ربيعة فقال : إنّ عبد المطلب امرؤ من وَلَدِ خزيمة فتى يُملِق يصله بنو عمّه وأرسل إليهم أن اخبأوا لى خبيئًا فقال عبد المطّلب : قد خَبَأْتُ كلبًا أسود فى عنقه قِلادة، فى خرزة مزادة، وضممته بين جرادة. فقال الآخرون: قد رضينا. ثم خَبَأتَ وأرسلوا إلى ربيعة فقال: خبأتمْ خبيئًا حيًّ قالوا : زد. قال: ذو ذنَب أغبر، وبطن أحمر، وظهر أغبر. قالوا : قربت. قال : سمع فَسَطَع، ثم هبط فوقع، فنزل الأرض فقَمَع. قالوا : قربت فَطَبِّق قال : عين جرادة، فى خرزة مَزادة، فى عنق سوِّر ذى قلادة. قالوا : زد. قال: أصبتَ وحكم الشمس والقمر، ووسعت مكة. قال عبد المطلب : أحكم بالنور والظلمة، والخير والشر، والعقل والسوءة، والكهانة والبهت. فقال ربيعة : والغَسَق والشَّفَق، والخلق المتّفق، ما لبنى كلاب وبنى رِئاب من حق. فانصرفوا، وعبد المطّلب على الصواب، وكان فى نفس حرب ، فوهب عبد المطّلب المال لحرب بن أميّة .

وأخبار الكهنة كثيرةٌ نذكر منها إن شاء الله تعالى فى السيرة النبوية جملة تقف عليها فى المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلّم وذلك فى السِفْر الرابع عشر من كتاب الأصل .

الزَّجْــــر

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فى زجر الطير : إنّ العلماء بهذا الفنّ قالوا : اذا خرجتَ من منزلك تطلب حاجةً ، أو تخطب آمرأةً ، فنعَب غرابٌ عن يمينك وعن يسارك أو سَنَح أو برح فامض فإنّك مُدرِك حاجتك إن شاء الله تعالى ، فإن نعب أمامك أو فوقك فارجع ففيها تأخير .

وإن خرجتَ تريد خصومةً فنعب فوق رأسك فآمض فإنك مُدرِكٌ حاجتك إن شاء الله تعالى .

فإن خرجتَ تطلب دابّةً فنعب عن يمينك أو يسارك على حائط مرتفع ، فامض لحاجتك . فإن نَعَب أمامك فارجع .

(٣٨) وإن خرجتَ تطلب مالًا ضلّ عنك أو سُرِق ، فنَعَب غرابٌ على شجرة يابسة فلا تطلبه فقد آستهلك وقد يأتيك بعضُه ، فإن نعب على جِدار جديد أو شجرة خضراء فإنك تصيب مالك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجتَ تريد الضّالّ فنعَب من ورائك ، فارجع فليس لك فى ذلك خيرة ، وإن نعب عن يسارك فإنى خائف على نفسك إلا أن يشاء الله .

وإن خرجت تريد الصيد فنعب من فوقك فارجع فإن نعب أمامك فامض فإنّك تدرك خيرا .

وإن خرجت تطلب سلطاناً فى طلب مال أو حاجة فنعب عن يمينك ثمّ طار ثمّ نعب أدركتَ منه طلبتك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجتَ تريد شراء شيء فنعب عن يمينك فإنه صالح. وإن نعب عن يسارك فلا خير فيه .

وإن خرجتَ من منزلك فرأيت غراباً يمسح مِنقاره على الأرض فإنك تصيب أو تأتيك هديّة من مكان بعيد .

وإن خرجتَ تطلب حاجةً فنعب عن يمينك ثم قطع الطريق فى يسارك فنعب فإنك تدرك حاجتك عاجلا إن شاء الله تعالى! فإن نعب فوق رأسك فرجع فإنى أخاف عليك بعض أعدائك .

وإن خرجت تريد سفرا فنعب غراب وهو مستقبل الشرق فمكث يومك ذلك فإنى أخاف عليك .

فإن خرجتَ فرأيت غرابا ينفض ريشه فإنه يأتيك خير عاجل .

وإن خرجتَ تريد أرضًا بعيدة فرأيتَ غرابا ينتفض فامض لحاجتك فإنك تدرك أملك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجتَ تريد سفرا فوقع غراب على شيء فنعب ثلاث مرّات فامض لحاجتك فهو خير عاجل وتيسير لحوائجك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجتَ فرأيتَ غرابا يسرّح جناحيه يريد الطيران فامض، وإن نعب فارجع يومَك .

وإن خرجتَ تريد خصومةً فنعَب من فوقك فامض . وإن نعب فى وجهه الآخر فهو جيّد صالح .

وإن خرجتَ تريد خصومةً فنعب من فوقك أو شحّ فامض، فإنك تلقى فى يومك ذلك ما تريد إن شاء الله تعالى .

وإن خرج جماعةٌ وفيهم رجل شريف فشحّ غرابٌ على رأس الشريف، ثم أتوا ملكًا فإنهم يصيبون خيرا إن شاء الله تعالى .

وإن خرج يطلب حاجةً الى سلطان فواجهه غراب فليمكث يومه ذلك ولا يمض فى تلك الحاجة، وإن نعب عن يمينه فقطع الطريق ثمّ وقع فهو يُدرك حاجَته .

وإن خرج يريد السلطان أو بعث اليه وهو لايدرى فرأى غراباً يطير قليلا، ثم يقع فيلقط من الأرض شيئا فليمض فإنّه يصيب سلطاناً ويلى قوما، وإن رأى غراباً يبحث فى الأرض فإنّ بعض أهله يموت سريعا، وإن رآه ينقر فى الأرض فذلك ملك .

وإن خرج فرأى غرابًا يطير ثمّ وقع ثلاث مرات وهو ساكت لا ينعب، فذلك غمّ يصيبه إلا أن يدفع الله عزّ وجلّ عنه .

وإن خرج فرآه ينتفض ثم ينعب ثمّ يطير فذلك سلطان يناله ويتزوج، والعلم عند الله .

وإن خرج فرأى غرابا يطير ثمّ يقع فذلك خير وسرور يأتيه .

وإن خرج فرأى غراباً يطير نحو عين الشمس فذلك همّ يصيبه شديد .

وإن خرج فلقى بقرا فيرجع فإن لقى من البغال شيئاً لم يركب فليرجع والمركوبة صالحة لابأس بها .

وإن خرج يعود مريضاً فنهق حمار عن يمينه أو عن يساره فالمريض صالح، وإن نهق خلفه فقد اشتدّ بالمريض مرضه وأنا خائف عليه .

وإن خرج يريد حاجةً فاستقبله غلامٌ يبكي وهو متلطّخ بعَذِرة وهو ذاهب والغلام راجع فليمض فإنّ حاجته تقضى، وإن استقبله غلام يعدو ويتنهّف فإنّ حاجته تعسر وتطول .

وإن خرج في حاجته فرأى وَرَشانًا يطير، يرتفع ويَهبط فيمض فإنّ ذلك أنجح لحاجته. وإن رآه يطير مستعليا فليرجع. وإن رأى حمامة مسرولة تطير من فوق رأسه وتدور فإنّ حاجته مقضيّة بعد بطء ومَطْل. وإن رأى حمامة هادجة واقعةً تقع وتطير فإنّ ذلك خير صالح وسرور إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فاستقبلته جنازةٌ وجماعة فليرجع يومه ذلك ولا يعود لحاجته فإنّها غير مقضية، فإن كانت الجنازة قد جاوزته مدبِرة فيذهب لحاجته فإنّ ذلك صالح . وإن رأى نسوةً في المقابر وهنّ مقبلات نحوه فليقعد حتى يمضين عنه فإنّه أنجح لحاجته وإن رآهن مُدبرات فليمض في حاجته فإنّها مقضيّة .

وإن خرج من داره فرأى في أرضه نملًا كثيرا وفي حائطه فليمض لحاجته فذلك خير وسرور يناله . فإن رأى ذُبابا كثيرا مجتمعا على حائط وهو يسمع لهنّ دبيبا فذلك مرض يصيبه في بدنه أو يصيب بعض أهله . ومن رأى ذرًّا كثيرا وقردانًا فذلك فرح ورزق عاجل يناله إن شاء الله تعالى . ومن رأى دجاجتين تقتتلان بنقر بعضهما فذلك يدل على أنّه يقع بينه وبين امرأته كلامٌ وغضب .

وإن خرج من منزله فرأى وَرَشانين يقتتلان في جوّ السماء ويقعان وهما حيّان فيأتيه ما يسرّه . وإن رأى كلبة وكلابا تطوف حولها وينبح بعضها بعضا فإن كان عليه دين قضاه الله عنه وإن كانت له حاجة مهمة قضيت في وجهه ذلك وإن أراد شيئًا يسّره الله له وإن أراد سفرا تهيّأ له ورجع سالما .

وإن خرج فرأى على رجل قِربة ثمّ آنشـقت فليرجع الى منزله ويتعوّذ بالله من شرّ ذلك اليوم فإنّه مكروه جدّا .

وإن خرج فرأى رجلًا وهو يريد أن يملأ قِربةً فليمض فى حاجته فإنه فرح وسرور وخير يناله عاجلا إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى حمارا أو بغلا عليـه راوية مملوءة فشأنه غير صالح وهو مكروه ، وإن كان صاحب الراوية يريد أن يملأها فليمض لحاجته مقضية إن شاء الله تعالى.

وإن خرج من منزله فرأى جملا عليـه حطب أو بعض منافع النـاس فهو من علامات النجاح فى الخصومة والظفر العاجل إن شاء الله تعالى ، فإن رآه غير محمول عليه وعليـه صاحبه فإنّ ذلك خير يأتيه وينعى اليه بعض أهله من مكان بعيـد . قال : وأرجو أن يدفع الله ، فإن رآه مناخا يرغو فإن ذلك خير يأتيه ويُخبر عن شيء ممّـا يحبّ من تزويج أو غنيمة وهو صالح .

وإن خرج فرأى بعيرا قد شَردَ ورأى من يطلبه فإن ذلك نجاة من عدوّه وفرح قريب إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى بعيرا قد سرد فجتمع عليه الناس فإن ذلك يدلّ على ظَفَره بعدوّه وآنتقامه منه فليحمد الله على ما رأى ويشكره .

ومن خرج من منزله فرأى قِردًا يتقلّب والناس حوله فليمض لحاجتـه فإنّهـا مقضية .

وإن خرج فرأى لقِرد يلعب والناس مجتمعون عليه وقد صار لعبه الى أن يتقلّب ظهرا لبطن فى الأرض فيرجع من وجهه ذلك فليس بموفّق وهو مكروه .

وإن خرج من منزله فرأى غلمانا يلعبون بالأُكرة ويتسابقون فليمض فى وجهه ذلك فإنّه يصيب رفعةً وشرفًا وتمكنا من السلطان ويصيب مالًا عظيما .

وإن خرج فرآهم يلعبون بالصوالجة فهو رفعة ويدلّ على مال ردىء حرام يصيبه من سلطان ويركب أمرًا عظيما من عمله فليتق الله .

وإن رأى جوارىَ يضربن بالطُرق كأنهنّ يزففن عروسا فهو خير وسرور ودخول فى أمر شريف وإنّه يربح ربحا عظيما وهو خير الزجر .

وإن خرج فرأى عصفورين يلتقطان حبّا فهو صالح، وإن رآهما يتسافدان فهو خير يناله فى يومه، وإن رآهما مدبرين فليمض لحاجته فإنها مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فتعلق بثوبه شىء فليرجع، فإنى أكره له أن يذهب فى حاجته تلك .

وإن خرج فرأى حِدَأَةً تسفد حِدَأَةً وهى تصيح فهو نجاح فليمض لحاجته .

وإن خرج فعثر فلا يذهبن فى تلك الحاجة وليؤخرها .

ومن الزجر ما يخرجه مخرج الكهانة .

فمن ذلك ما حكى أنّ أُميّة بن أبى الصَّلْت الثَّقَفىّ بينا هو يشرب مع إخوانه فى قصر غَيْلان بالطائف إذ سقط غراب على شُرْفة القصر ونَعَب نعبة فقال أميّة : بفيك الكَثْكَث أى التراب فقال له أصحابه : ما يقول؟ قال يقول : إنك إذا شربتَ الكأس التى بيدك متّ . ثم نعب نعبة أخرى، فقال أميّة كذلك، فقال أصحابه : ما يقول؟ قال : يزعم أنه يقع على هذه المزبلة فى أسفل القصر فيستثير عظما فيبتلعه فيشجى به فيموت، فوقع الغراب على المزبلة فأثار العظم فابتلعه فشجى فمات . فانكسر أميّة ووضع الكأس من يده وتغيّر لونه فقال أصحابه : ما أكثر ما سمعنا

مثل هذا وكان باطلا وألحّوا عليه حتى شرب الكأس قال فأغمى عليه ثم أفاق فقال: لا برىءٌ فأعتذر، ولا قوىٌّ فأنتصر، ثم خرجت نفسه .

وزعموا أن رجلا من كعب خرج فى جماعة ومعــه سِقَاء من لبن فسار صدر يومه فعطش فأناخ ليشرب فاذا غراب ينعب فأثار راحلتَــه ، ثم سار فلمــا أظهر أناخ ليشرب، فنعب الغراب وتمرّغ فى التراب فضرب الرجل السِقاء بسيفه فاذا فيه أسودُ ضخمٌ فقتله ، ثم سار فاذا غراب واقع على سِدْرة فصاح به فوقع على سَلَمة فصاح به فوقع على صخرة فانتهى اليها فأثار كَنْزا، فلما رجع الى أبيه قال له : إيه ما صنعت ؟ قال : سِرتُ صدر يومى، ثم أنختُ لأشرب فنعب الغراب: قال أثرها و إلا فلست بابنى! قال: أثرتُها، ثم أنخت لأشرب فنعب الغرابُ وتمرّغ فى التراب قال : آضرب السِقاء وإلا لست بابنى! قال : فعلتُ، فاذا أسود ضخم قال : ثم مه! قال : ثم رأيتُ غرابا على سِدْرة قال : أطِرْه وإلا فلست بابنى! قال : فعلتُ فوقع على سَلَمة قال: أطِرْه وإلا فلستَ بابنى! قال : فعلتُ فوقع على صخرة قال : أحِذ يابنىّ ! فأحذاه

ومن الزجر : ما يُروى أن كسرى أبْرَويز بعث الى النبىّ صلى الله عليه وسلّم حين بُعث زاجرا ومصوّرا وقال للزاجر : آنظر ما ترى فى طريقك وعنده، وقال للمصوّر : إئتنى بصورته . فلمــا عاد اليه أعطاه المصوّر صورته صــلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته، وقال للزاجر : ما رأيت ؟ فقــال : لم أر ما أزجره حتى الآن وأرى أمره يعلو عليك لأنك وضعتَ صورتَه على وسادتك .

وقيل : إن كُثَيّرا تعشّق آمرأةً من خزاعة يقال لها: أمّ الحُوَيرث، فشبّب بها فكرهت أن يفضحها كما فضح عَزّة فقالت له : إنّك رجل فقير لا مال لك فابتغ مالا،

ثم تعال فاخطبنى كما يخطبُ الكرامُ قال : فحلفى فى ووثّق أنك لا تتزوّجين حتى أقدم عليك فحلفتْ ووثقتْ له فمدح عبدَ الرحمن بن [illegible] الأزدى وخرج [illegible] فلقى ظباءً سوانح، ولقى غُراباً يفحص التراب بوجهه فتطيّر من ذلك حتى قدم على حىّ من لهْب فقال : أيكم يَزْجر؟ قالوا : كلّنا ! فمن تريد ؟ قال : أعلمكم بذلك ! قالوا : ذلك الشيخ المنحنى الصُلْب. فأتاه فقصّ عليه القصّة فكره ذلك له وقال : قد ماتت أو تزوّجت رجلاً من بنى عمّها فقال كثيّر

تيممتُ لَهْباً أبتغى العلمَ عندهم ... وقد رُدّ علمُ العائفين الى لَهَبِ
فيممتُ شيخا منهمُ ذا تحِلّة ... بصيراً بزجر الطير منحنىَ الصُلْبِ
فقلتُ له : ماذا ترى فى سوانح ... وصوتِ غرابٍ يفحص الأرض بالترب
فقال : جرى الطير السنيح ببينها ... ونادى غرابٌ بالفراق وبالسبِّ
فإن لا تكن ماتت فقد حال دونها ... سواك خليلٌ باطنٌ من بنى كعب

قال : ثم مدح الرجل [illegible] الأزدىّ وأصاب [illegible] خيراً [illegible] فوجدها قد تزوّجت رجلاً من بنى عمّها فأخذه الهلاس فكان يتنبّح جنبه [illegible] ودنا [illegible] من عنده ووضع يده على ظهره [illegible] فقال : [illegible] الهلاس [illegible] أنه لا علاج [illegible] فكان يقول

[illegible]
[illegible]

وحكى [illegible]
[illegible]

ورسول الله صلى الله عليه وسلم على نَشْزٍ واضعا قدميه فى المـاء، وعن يمينه علىٌّ عليه السـلام ، فلما رآه صلى الله عليه وسـلم قال : « تحوّل فانظر ما أُمِرتَ به » فنظر ثم رجع الى صاحبه فأخبره الخبر فقال : ليعلونّ أمرُه وليملكنّ ماتحت قدمى وقال : بالنّشز العُلو و بالمـاء الحياة .

ومن الزجر : ماروُى عن أبي ذُؤَيب الهُذَلىّ قال : إنّه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فأوجس أهل الحىّ خِيفةً عليه فبتُّ بليلة ثابتة النجوم طويلة الأناة لا ينجاب ديجورها ولا يَطْلُع نورها حتى اذا قَرُب السَّـحَر غفوتُ فهتف لى هاتف يقول

خَطْبٌ أجلّ أناخ بالإسـلام بين النخيـل ومَعْقِـد الآطامِ
قُبِض النـبىّ محمد فعيوننـا تذرى الدموعَ عليـه بالتّسجامِ

قال أبو ذؤيب : فوثبتُ من نومى فزعاً فنظرتُ الى السماء فلم أر إلّا سعد الذابح فتفاءلتُ به ذبحا يقع فى العرب، وعلمت أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قد مات أوهو ميّتٌ من علّتـه، فركبتُ ناقتى وسرتُ حتى أصبحتُ فطلبتُ شيئا أزجره ، فعنّ لى شَيْهَمٌ قد أرَمّ على صِلّ وهو يتلوّى عليه والشيهم يقضـمُه حتى أكله فزجرتُ ذلك شيئا مهمّا فقلت : تلوّى الصِّلّ : انفتال الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أوّلت أكل الشيهم إياه : غَلَبَة القائم على الأمر فحثثتُ ناقتى حتى اذا كنت بالغابة زجرتُ الطير فأخبرنى بوفاته . ونعب غراب سانحا بمثـل ذلك فتعوّذتُ من شرّ ماعنّ لى فى طريقى ، ثم قدمتُ المدينةَ ولأهلها ضجيج كضجيج الحجيج أهلّوا جميعا بالإحرام فقلتُ : مه ! فقيل قُبِض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فجئتُ المسجدَ فأصبته خاليًا فأتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسـلم فأصبتُ بابه مُرْتَجا وقد

خلا به أهلُه فقلت : أين الناس ؟ فقيل : في سَقيفة بني سَاعِدة صاروا الى الأنصار فجئتُ السقيفةَ فوجدتُ أبا بكر، وعمر رضي الله عنهما . وأبا عُبَيْدة . وسالمًا . وجماعةً من قريش ورأيت الأنصارَ فيهم سَعْد بن عُبَادة ومعهم شُعراؤهم وأمامهم حسّان بن ثابت، وكَعْب في مَلإٍ منهم فأويتُ الى الأنصار فتكلموا فأكثروا وتكلّم أبو بكر فلله من رجل لا يُطيل الكلام ويعلم مواضعَ الفصل . والله لتكلّم بكلام لم يسمعه سامعٌ إلّا انقاد له ومال اليه . وتكلم بعده عمر رضي الله عنه بكلام دون كلامه ، ومدّ يده فبايعه ، ورجع أبو بكر رضي الله عنه ورجعتُ معه . فشَهدتُ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلّم . وشهدت دفنه قال : ولقد بلغ [illegible] من أبي بكر رجلا حتى قُدّامه ولم يركب ذ[illegible] وتصرف [illegible] وثبت على إسلامه .

ومنه : ما روى عن مُصْعَب بن عبد الله الزُّبيري أنه حدّث عن رجل قال : شَرَدتْ لنا إبلٌ فأتيتُ خليسًا الأسديّ فسألتُه عنها فقالت ابنته له : خُطَّ . فخطّ ونفرت ثم انقبضت وقامت منصرِفةً فنظر خليس في خطّه فضحك وقال : أتدري لم قامت ؟ قلت : لا . قال : رأت أنك تجد إبلك وأنك تتزوّجها فاستحيت فقامت . فخرجت فأصبتُ إبلي ثم تزوّجتها بعد .

فأل وطِيَرة

حكى أنه [illegible] سعيد بن العاص [illegible] عنبسة بن سعيد [illegible] قال : دجاجة [illegible] : [illegible] صدق [illegible] .

لمـا طلب عامر بن إسماعيـل مَرْوان بن محمّد اعترضـه بالفيّوم قومٌ من العرب فسأل رجلًا : ما آسمك ؟ فقـال منصور بن سعد : وأنا من سعد العشيرة ، فتبسم تفاؤلًا به وتيمّنًا وآستصحبه فظفر بمروان تلك الليلة .

ومن الطِّيَرَة : ما حكى عن بعضهم قال : حضرتُ الموقِفَ مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فصاح به رجلٌ من خلفه : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ! فقال رجل من خلفه : دعاه بآسم ميت ! مات والله أمير المؤمنين ، ولا يَقف هـذا الموقف أبدا ! فآلتفتَ اليه فاذا هو اللِّهْبِيُّ ، فقُتِل عمر قبل الحول .

وحكى أنّ عمر رضى الله عنه خرج الى حَرّة واقِم فلقى رجلا من جُهينة فقال له : ما آسمك ؟ قال : شِهاب . قال : آبن من ؟ قال : آبن جَمْـرة ! قال : وممن أنتَ ؟ قال : من الحُرَقة ! قال : ثم ممن ؟ قال : من بنى ضِرام ! قال : وأين منزلك ؟ قال : بحَرّة ليـلى ! قال : وأين تريد ؟ قال : لظى وهو موضـع ! فقـال عمر : أدرِك أهلك ، فما أراك تُدركهم إلا وقد آحترقوا ، قال : فأدركهم ، وقـد أحاطت بهم النار .

وقال المدائنى : وقع الطاعونَ بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان فخرج هاربا منه فنزل قريةً من الصعيد يقال لها : سُكَر ، فقدِم عليه حين نزلها رسولُ لعبد الملك فقال له عبد العزيز : ما آسمك ؟ قال طالب بن مُدْرِك ! فقال : أوّه ! ما أرانى راجعا الى الفُسطاط أبدا ، ومات فى تلك القرية .

وقيل : بينا مروان بن محمد فى ديوان له يَنفّذ الأمورَ فانصدعتْ زُجاجةُ الأموال ، فوقعت الشمس منها على مَنْكب مروان وكان هنالك عَيّاف فقال : صَدْعُ الزُّجاج

أمر منكر على أمير المؤمنين، ثم قام فاتّبعه ثَوبان مولى مروان. فقال له : ويحك! ما قلت ؟ قال . قلتُ : صَـدْعُ الزجاج صَدْعُ السلطان. ستذهب الشمسُ بمُلك مروان، بقوم من الترك أو خُراسان، ذلك عندي واضح البرهان! قال : فما ورد لذلك شهران حتّى ورد خبرُ أبي مُسلم .

وقال إبراهيم بن المَهْديّ : أرسل إليَّ محمد الأمينُ في ليلة مُقْمرة من ليالي صيف فقال : يا عمّي! إن الحرب بيني وبين طاهر قد سكنت فصر إليّ فإني إليك مشتاق فجئتُه وقد بُسِط له على سطح، وعنده سليمان بن جعفر، وعليه كساء رُوذَبارِيّ، وقَلَنْسوة طويلة، وجواريه بين يديه وضعف جاريته عنده . فقال لها : غنّيني فقد سُررتُ بعمومتي فاندفعت تغنّيه

هُمُ قتلوه كي يكونوا مكانَه * كما غدرتْ يومًا بكسرى مَرَازِبُهْ!
بني هاشم كيف التَّواصُل بيننا * وعنـد أخيه سيفُه ونجائِبُهْ؟

هكذا غنّته، وإنما هو

وعند عليّ سيفه ونجائبه

فغضب وتطيّر، وقال : ما قِصّتكِ؟ ويحكِ! غنّيني ما يسرّني، فغنّت

هـذا مقام مطـرّدٍ هُدِمتْ منازله ودورُهْ!

فازداد تطيّرًا، ثم قال : ويحك! قومي وغنّي غير هذا فغنّت

كُلَيب لعمري كان أكثر ناصرًا وأيسر جرمًا منك ضُرِّج بالدمِ

فقال لها : قومي إلى لعنة الله . فقامت . وكان بين يديه قَدَح بِلّور وكان حسنه يسمّيه محمدًا باسمه، فأصابه طرف ذيلها فسقط على بعض الصواني فانكسر .

فأقبل علىّ وقال : أرى والله يا عمّ أن هذا آخر أمرنا، فقلت : كلّا ! بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرّك، قال : ودِجلةُ والله هادئة ما فيها صوت مِجداف، ولا أحد يتحرّك، فسمعتُ هاتفاً يهتف : (قُضِىَ الأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) قال فقال لى : سمعتَ يا عمّ؟ فقلتُ: وما هو؟ وقد والله سمعتُه، فاذا الصوت قد عاد فقال: انصرف بيتك اللهُ بخيرٍ فمحال أن لا تكون الآن قد سمعتَ ما سمعتُ، فانصرفت وكان آخر العهد به .

وشبيه بهذا ما حكى عن عَلُّويَة المغنّى قال : كنتُ مع المأمون لما خرج الى الشام . فدخلنا دِمَشق فطفنا فيها ، وجعل يطوف على قصور بنى أميّة ، ويتتبّع آثارهم . فدخلنا صحناً من صحونهم ، مفروشًا بالرخام الأخضر، وفيه بِرَكة ماء فيها سمك، وأمامها بستان . فستحسن ذلك وعزم على الصَّبُوح ودعا بالطعام والشراب، وأقبل علىّ فقال : غنّنى ونشّطنى . فكأنّ الله تعالى أنسانى الغناء كله إلا هـذا الصوت من شعر عبد الله بن قيس الرُّقَيّات

لو كان حولى بنو أميـة لم تنطِق رجالٌ أراهمُ نطقـوا
من كلّ قَرْمٍ محضٍ ضرائبه * عن منكِبيه القميص ينخرقُ

قال : فنظر إلىّ مُغْضَباً ، وقال : عليك وعلى بنى أميّة لعنة الله ، ويلك ! أقلتُ لك سرّنى أو سؤنى ؟ ألم يكن لك وقت تذكر فيـه بنى أميّـة إلا هذا الوقت تُعرّض بى؟ فتجلّدتُ عليه وعلمتُ أنّى قد أخطأتُ، فقلت : أتلومنى على أن أذكر بنى أميّة؟ هـذا مولاكم زرياب عنـدهم يركب فى مئتى غلام مملوك له ، ويملك ثلثمائة ألف دينار [وهبوها له سوى الخيل والضياع والرّقيق](١) : وأنا عندكم أموت

(١) الزيادة عن الأصل .

جوعا، فقال : أولم يكن لك شيء تذكرني به نفسك غير هذا؟ فقلت : هكذا حضرني حين ذكرتهم، فقال : أعرض وتنبه على إرادتي وغنّ فأنساني الله كلّ شيء أحسنه إلا هذا الصوت

الحَينُ ساق الى دِمَشق وما * كانت دمشــق لأهلنا بلدا
قادتك نفسك فاستقدت لها * وأرتك أمرَ غَوايةٍ رَشَــدا

فرماني بالقــدح فأخطأني وانكسر القــدح، وقال : قم الى لعنة الله وحرّ سقر! فركب، وكانت تلك آخر عهدي به حتى مرض ومات بعد ذلك بقليل .

ومثــل ذلك ما حكي في قصــة المتوكل . وذلك أنه جلس يوم الأربعــاء لأربع خلون من شوال سنة تسع وأربعين ومائتين وقال للفتح بن خاقان : أحب أن نصطبح . فأحضر المغنين وفيهم أحمد بن أبي العلاء فقال له : غنّ فغنّى

يا عاذليّ من الملام دعاني * إن البليّة فوق ما تصفــان
زعمتْ بُثينة أنّ فرقتنا غدا * لا مرحبا بغدٍ فقد أبكاني

فتطيّر المتوكل منه . وقال لأحمد : كيف وقع لك أن تغنّي بهذا الشعر؟ قال : اشتغل قلبي بابن أبي العلاء ما أنكر عليه، ثم ذهب يغنّي غيره. فعاد إليه . فقال المتوكل : لنسأل الله خيرها اليوم . وصرف المغنين وقام الى الطعام، فلما فرغ قال له الفتح : يا سيدي تمم يومك ودعنا نشرب وقال: يا ابن أبي العلاء وأحضر فقال له : غنّ . فأعاد ذلك البيتين فعلم المتوكل أنه اليوم وقتل في الليلة الآتية من ذلك اليوم .

قال القاضي أبو علي التنوخي : حضرت بين يدي سيف الدولة أبي الحسن صدقة ابن منصور بن دبيس، وأمامه أمه ومكاره محمد يداد صريع مرضه ، ...

وقد أتى بديوان أبي نصر بن نُباته فتصفّحه فوقع بيــده وقال : يعزّى سيف الدولة أبا الحسن ويرثى ابنه أبا المكارم محمد، فأخذتُ المجلّد وأطبقتُه فعاد فتصفّحه فخرج ذلك، ومن القصيدة التى عناها قوله

فإنّ بميّا فارقين حُفَـيْرةً * تركنا عليها ناظر الجود داميا
تضمّنها أيدى فتى ثكلتْ به * غداةَ ثوى أمالنـا والأمانيا
ولـمّا عدمنا الصـبرَ بعد محمد * أتينا أباه نسـتفيد التعازيا

وحكى: أنّ أبا الشَمَقْمَق شخص مع خالد بن يزيد بن مَزيد وقد تقلّد المَوْصل ، فلما أراد الدخول اليها اندقّ لواؤه فى أوّل درب منها ، فتطيّر من ذلك وعظُم عليه ، فقال أبو الشمقمق

ما كان مندقّ اللواء لِريبةٍ * تُخشَى ولا أمرٍ يكون مبـذَّلا
لكنّ هـذا الرمح ضَعّف متنَه * صِغَرُ الولاية فاستقلّ المَوْصلا

فسرّى عن خالد. وكتب صاحبُ البريد بذلك الى المأمون، فزاده ديار ربيعــة وكتب اليه: هذا التضعيف لمُوصِل متن رمحك ، فأعطى خالدٌ أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم .

وقيل : لـمّا توجّه المسترشدُ للقاء السلطان مسعود بن محمد بن مَلِكْشاه السلجلوقى، وقع على الشمسية التى تُرفع على رأسه طائرٌ من الجوارح وألحّ، كلما نُفّر عاد، فتفاءل الناس له بذلك وسُرّ هو به. فقال إنسان يُعرَف بتَلْكدار: هذا جارح ومنقبض الكفّ وليس فيــه بُشرى بل ضدّه . وأقبل السلطانُ فى جيشــه فكانت الكسرة وقُبِض على المسترشد وقُتِل من بعد .

خرج بعضُ ملوك الفُرس الى الصيد. فكان أوّل من استقبله أعورُ فأمر بضربه وحبسه، ثم خرج وتصيّد صيدًا كبيرا. فلمّا عاد استدعى الأعورَ وأمر له بصلةٍ. فقال الأعور: لا حاجة لى فى صلتك، ولكن ائذن لى فى الكلام. فقال: تكلّم! قال: لقيتنى فضربتنى وحبستنى، ولقيتك فصِدتَ وسلِمتَ فأيّنا أشأم؟ فضحك وخلاه.

الفراسة والذكاء

يقولون: عظم الجبين يدلّ على البَلَه. وعَرْضُه يدلّ على قلة العقل. وصِغَره على لُطف الحركة. والحاجبان اذا اتصلا على استقامة دلّا على تخنيث واسترخاء. واذا تزججا نحو الصُّدغين دلّا على طَنْزٍ واستهزاء. والعين اذا كانت صغيرة الموق دلّت على سوء الدخلة، وخُبث الشمائل. واذا وقع الحاجب على العين دلّ على الحسد. والعين المتوسطة فى حجمها دليل فطنة وحسن خُلق ومروءة. والناتئة على اختلاط عقل. والغائرة على حِدّة. والتى يطول تحديقها على قحة وحُمْق. والتى تكسر طَرْفها على خفّة وطيش. والشَّعر على الأذن يدلّ على جودة السمع. والأُذن الكبيرة المنتصبة تدلّ على حمق وهَذَيان.

وحكى: أن أبا موسى الأشعرى وجّه السائب بن الأقرع فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مهرجان بعد أن فتحها ودخل دار الهُرمُزان بعد أن جمع السبيَ والغنائم. ورأى فى بعض مجالس الدار تصاوير فيها مثال ظبيٍ وهو مشير بإحدى يديه الى الأرض. فقال السائب: لأمرٍ ما صُوّر هذا الظبى هكذا. إن له لشأنا. فأمر بحفر الموضع الذى الإشارة اليه فأفضى الى موضع فيه حوض من رخام. فيه سَفَط جوهر فأخذه السائب وخرج به الى عمر رضى الله عنه.

وقيل: كان المعتضد يوما جالسا فى بيت يُبنى له وهو يشاهد الصُّنّاع فرأى فى جملتهم عبدا أسود منكر الخَلْق، شديد المرح، يصعد على السلالم مرقاتين مرقاتين ويحمل ضِعْف ما يحمل غيره، فأنكر أمرَه، وأحضره وسأله عن سبب ذلك، فلجلج فقال لوزيره: قد خَمّنتُ فى هــذا تخمينًا ما أحسبه باطلا، إمّا أن يكون معــه دنانير قد ظفر بها من غير وجهها، أو لِصًّا يتستــّر بالعمل، ثم قال: علىّ بالأسود فأحضره وضربه، وحلف إن لم يصدقه ليضربنّ عنقه، فقال الأسود: ولى الأمان يا أمير المؤمنين، قال: نعم! إلّا ما كان من حدّ، فظن أنه قد أمّنــه، فقال: كنت أعمل فى أتّون الآجُرّ، منذ سنين، فأنا منذ شهور جالس إذ مرّ بى رجل فى وسطه كيس فتبعتُه وهو لا يعرف مكانى فحلّ الهَميانَ وأخرج منــه دينارا فتأمّلتُه فاذا كله دنانير فكتّفتهُ وسددتُ فاه وأخذت الهميان وحملتهُ على كتفى وطرحته فى التّنور وطيّنتُ عليــه، فلما كانــ بعد أيام أخرجتُ عِظامه وطرحتها فى دجلة والدنانير معى تقوّى قلبى قال: فأرســل المعتضد من أحضر الدنانير، واذا على الكيس: لفلان بن فلان، فنادى فى المدينــة، فحضرت امرأته وقالت: هذا زوجى وقد ترك طفلا صغيرا خرج فى وقت كذا ومعه كيس فيــه ألف دينار، فغاب الى الآن، فسلمّ الدنانير اليها وأمرها أن تعتدّ، وضرب عنق الأســود وأمر أن يوضع فى الأتّون.

وقيل: جلس المنصور فى إحدى قباب المدينة فرأى رجلا ملهوفا مهموما يجول فى الطُرُقات، فأرسل من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره أنّه خرج فى تجارة فأفاد مالا ورجع الى منزله به، فدفعه الى امرأته، فذكرت المرأةُ أنّ المال سُرق ولم يرَ نَقْبًا ولا تسلّقا، فقال له المنصور: منذ كم تزوجتها؟ قال: منذ سنة، قال: فبكرًا أو ثيّبا؟

قال ثيّبا، قال : فلها ولد من سواك ؟ قال : لا، قال : شابّة أم مسنّة ؟ قال : شابّة، فدعا المنصور بقارورة طيب، وقال : تطيّب بهذا، فهو يذهب همّك، فأخذها وانقلب الى أهله، ثم قال المنصور لأربعة من ثقاته : اقعدوا على أبواب المدينة، فمن مرّ بكم وعليه شيء من هذا الطّيب فأتونى به، وأشمّهم من ذلك الطّيب، ومضى الرجلُ بالطّيب، فدفعه الى امرأته وقال : وهبه لى أمير المؤمنين، فلمّا شمّته بعثتْ به الى رجل كانت تحبّه وقد كانت دفعتْ اليه المال فتطيّب به، ومرّ مجتازا ببعض الأبواب، فأُخذ وأُتى به الى المنصور، فقال له : من أين استفدتَ هذا الطيب ؟ فلجلج لسانه، فسلّمه الى صاحب شرطته وقال : إن أحضر الدنانير وإلّا فاضربه ألف سوط . فما هو إلّا أن جرّد وهُدّد، فأحضر الدنانير على حالتها فأُعلم المنصورُ بذلك، فدعا صاحبَ الدنانير وقال : أرأيتَ إن رددتُ عليك متاعَك بعينه أتحكّمنى فى امرأتك؟ قال : نعم ! قال : خذ دنانيرك وقد طلّقتُ امرأتك وخبّره الخبر .

ودخل شَرِيك بن عبد الله القاضى على المهدىّ فأراد أن يبخّره فقال لخادمه : ائتِ القاضى بعُود . فذهب فجاء بالعود الذى يُلْهَى به، فوضعه فى حجر شريك . فقال شريك : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : عود أخذه صاحبُ العَسَس البارحة فأحببت أن يكون كسره على يد القاضى . فقال شريك : جزاك اللهُ خيرا يا أمير المؤمنين . ثم ضرب به الأرضَ فكسره ثم أفاضوا فى حديث آخر حتى نُسى الأمر ثم قال المهدىّ لشريك : ما تقول فيمن أمر وكيلا له أن يأتى بشىء فجاء بغيره فتَلِف ذلك الشىءُ ؟ فقال : يَضْمَن يا أمير المؤمنين . فقال لخادمه : اضمن ما تلِف .

البـاب الرابع

من القسم الثانى من الفن الثانى

فى الـكنايات والتعريض

والـكنايات لها مواضع؛ فأحسنها العُدول عن الكلام القبيح الى ما يدُلّ على معناه فى لفظ أبهى منه . ومن ذلك أن يُعظِّم الرجل فلا يدعى باسمه ويُكنى بكُنيته، أو يكنى بآسم آبنه صيانة لآسمه ، وقد ورد فى ذلك كثير من آى القرآن فمنها قوله تعـالى (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا) أى كنّياه . وقد كَنّى رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : بأبى تراب؛ وقال البحترىّ

يتشاغفن بالصـغير المسـمّى * موضِـعاتٍ وبالكبير المكنّى

وهذا يدل على أن المراد بالكنية التبجيل؛ وقول آبن الرومىّ

بكت شجوها الدنيا فلما تبيّنتْ ٭ مكانك منها آستبشرت وتثنّتِ
وكان ضئيلا شخصها فتطاولتْ ٭ وكانت تسمّى ذِلّةً فتكنّتِ

وقال أبو صخر الهذلىّ

أبى القلب إلا حُبّـهُ عامرِيّةً ٭ لها كنيةٌ: عمرٌو، وليس لها عمرُو

ومن عادة العرب وشأنهم؛ آستعمال الكنايات فى الأشـياء التى يستحيى من ذكرها، قصدا للتعفف باللسن، كما يُتعفّف بسائر الجـوارح، قال الله عز وجلّ تأديبا لعباده (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) فقرن عفّة البصر

بعفّة الفرْج؛ وفى القرآن كنايات عُدِلَ بها عن التصريح تنزيها عن اللفظ المستهجَن. كقوله تعالى: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) وقال أبو عبيد: هو كناية، شبّه النساءَ بالحَرْث، وقوله تعالى: (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا)، قيل: هو كناية عن الفروج، وفى موضع آخر: (يَوْمَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، وقوله تعالى: (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ)، وقوله تعالى: (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) قال المفسرون: هذا تنبيه بأكل الطعام على عاقبة ما يصير إليه، وهو الحَدَث، لأن من أكل الطعام فلا بدّ أن يحدث، ثم قال: (انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ) وهذا من ألطف الكناية. ومنه قوله تعالى: (أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ) فالغائط: المطمئن من الأرض، وكانوا يأتونه لحاجتهم ويستترون به عن الأماكن المرتفعة. ومن لم ير الوضوء من لمس النساء جعل الملامسةَ هاهنا كناية عن الفعل.

ومن الكنايات فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو وإن كان قد ورد فى الأمثال أشبه بالكناية — منها قوله صلى الله عليه وسلم «إيّاكم وخضراءَ الدِّمَن» يريد بها المرأة الحسناء فى المنبِت السوء، وتفسير ذلك: أن الريح تجمع الدِّمَن، وهو البعر فى البقعة من الأرض فإذا أصابه المطر نبت نبتا غضّا يهتزّ وتحته الدِّمَن الخبيث. يقول: فلا تنكحوا هذه المرأة الحسناء لجمالها ومنبتها خبيث كالدِّمَن، فإن أعراق السوء تنزع أولادها. وقال زُفَر بن الحارث:

وقد ينبتُ المرعى على دِمَنِ الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقوله صلى الله عليه وسلم : "حَمِيَ الوطيسُ" قاله لمـا جال المسلمون يوم حُنين، والوطيس: حفيرة تحتفر فى الأرض شبيهةٌ بالتنور ؛ وقال الحسن : لبث أيوب عليه السلام على المزبلة سبعَ سنين، وما على الأرض يومئذ خَلْقٌ أكرمُ على الله منه، فما سأل اللهَ العافيــةَ إلا تعريضا فى قوله : (إِنِّى مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) والعرب تكنى عن الفضلة المستقذرة بألفاظ كلّها كنايات، منها : الرَّجيعُ والنَّجْوُ والبرازُ والغائطُ والعَذِرَةُ والحُشّ، فبعض هــذه الألفاظ يراد بها نفسُ الحدَثِ ، و بعضها يراد بهـا المواضع التى يأتى اليها المحدِثُ، وكذلك آستعملوا فى إتيان النساء: المجامعة، والمرافعة، والمباضعة ، والمباشرة ، والملامسة ، والمماسّة ، والخلوة ، والإفضاء ، والغشيان، والتغشّى، وكل هذه الألفاظ مذكورة فى القرآن .

وحُكى : أن رجلا من بنى العنبر كان أســيرا فى بكر بن وائل، وعزموا على غزو قومه، فسألهم رسولا الى قومه، فقالوا : لا ترسل إلا بحضرتنا لئلا تنذرهم، وجىء بعبد أسود، فقال له : أتعقل ؟ قال : نعم إنى لعاقل ! قال : ما أراك عاقلا ! ثم أشار بيده الى الليل، فقال : ما هذا ؟ قال : الليل ! قال : أراك عاقلا ، ثم ملأ كفّيه من الرمل فقال : كم هذا ؟ قال : لا أدرى و إنه لكثير، قال : أيّما أكثر؟ النجوم أم النيران؟ قال : كلٌّ كثير، فقال : أبلغ قومى التحيّة، وقل لهم ليُكرموا فلانا، يعنى أسيرا كان فى أيديهم من بكر، فإن قومه لى مكرمون وقل لهم : إن العَرْفَجَ قد أدبَى ، وشكَّت النساء ، وأمرهم أن يعْرُوا ناقتى الحمراء ، فقد أطالوا ركوبها، وأن يركبوا جملى الأصهب بآية ما أكلتُ معهم حَيْسًا، وآسألوا عن خبرى أخى الحارث؛

فلما أدّى العبد الرسالة اليهم قالوا : قد جُنَّ الأعورُ، والله ما نعرف له ناقة حمراء، ولا جملا أصهبَ ، ثم سرّحوا العبدَ ودعوا الحارث فقصّوا عليه القصّة . فقال : قد أنذركم ؛ أمّا قوله : قد أدبَى العرفج، يريد : أن الرجال قد استلاموا ولبسوا السلاح، وقوله : وشكّت النساء، أي اتخذن الشّكَاءَ للسفر، وقوله : الناقة الحمراء، (٤٥) أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصَّمَّانَ وهو الجمل الأصهب، وقوله : بآية ما أكلت معكم حيسًا أي أخلاط من الناس وقد غزوكم، لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقط . فامتثلوا ما قال، وعرفوا لحنَ كلامه . وحكى أبو الفرج الأصفهانيّ بسنده الى مجالد ابن سعيد عبد الملك بن عمر قال : قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة ، فأرسل الى عشرة أنا أحدهم من وجوه أهل الكوفة ، فسمرنا عنده . ثم قال : ليحدثنى كلّ رجل منكم أحدوثة . وابدأ أنت يا أبا عمرو ، فقلت : أصلح الله الأمير ، أحديث الحق أم حديث الباطل ؟ قال : بل حديث الحقّ . قلت : إن امرأ القيس آلى أليّة أن لا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنتين . فجعل يخطب النساء فاذا سألهن عن هذا ، قلن أربعة عشر . فبينا هو يسير فى جوف الليل اذا هو برجل يحمل ابنة له صغيرة ، كأنها البدر لتمّه ، فأعجبته فسألها : يا جارية ، ما ثمانية وأربعة واثنتان ؟ فقالت : أمّا ثمانية فأطباء الكلبة ، وأمّا أربعة فأخلاف الناقة ، وأمّا اثنتان فثديا المرأة . فخطبها الى أبيها ، فزوّجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فجعل لها ذلك . وعلى أن يسوق اليها مائةً من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس ، ففعل ذلك ، ثم انه بعث عبدًا له الى المرأة ، وأهدى لها نِحْيًا من سمن ، ونِحْيًا من عسل ، وحلّة من عصب . فنزل العبد

على بعض المياه، فنشر الحلّة فلبسها فتعلّقت بسَمُرة فانشقّت، وفتح النِّحيين فأطعم أهل الماء منهما فنقصا، ثم قدم على حىّ المرأة وهم خلوف فسألها عن أبيها وأمها وأخيها، ودفع اليها هديّتها فقالت له : أعلِمْ مولاك أنّ أبى ذهب يقرّب بعيدا، ويبعّد قريبا، وأنّ أمى ذهبت تشقّ النفس نفسين، وأنّ أخى ذهب يراعى الشمس، وأنّ سماءكم آنشقّت، وأنّ وِعاءيكم نضَبا، فقدم الغلام على مولاه فأخبره، فقال : أما قولها : أنّ ابى ذهب يقرّب بعيدا ويبعّد قريبا : فإن أباها ذهب يحالف قوما على قومه، وأما قولها : ذهبت أمّى تشق النفس نفسين : فإن أمها ذهبت تَقْبُلُ آمرأة نفساء، وأما قولها : ذهب أخى يراعى الشمس : فإن أخاها فى سَرْح له يرعاه، فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به، وقولها : أن سماءكم آنشقّت : فإن البُرْدَ الذى بعثتَ به آنشقّ، وأما قولها : أن وعاءيكم نضبا : فإن النِّحيين نقصا، فاصدقنى، فقال : يامولاى ! إنى نزلت بماء من مياه العرب، فسألونى عن نسبى، فأخبرتهم أنى آبن عمك، ونشرتُ الحلّة فلبستها وتجمّلتُ بها، فتعلّقتْ بسَمُرة فآنشقّت، وفتحتُ النِّحيين فأطعمتُ منهما أهل الماء . فقال : أَوْلَى لك . ثم ساق مائةً من الإبل، وخرج ومعه الغلام ليسقىَ الإبلَ، فعجز، فأعانه آمرؤ القيس فرمى به الغلام فى البئر، وخرج حتى أتى المرأة بالإبل فأخبرهم أنه زوجها، فقيل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدرى أزوجى هو أم لا ؟ ولكن آنحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنَبها، ففعلوا، فأكل ما أطعموه . قالت : آسقوه لبنا حازرا (وهو الحامض) فسقوه، فشرب، فقالت : آفرشوا له عند الفَرْثِ والدم، ففرشوا له، فنام . فلما أصبحت أرسلت اليه : أريد أن أسألك عن ثلاث . قال : سلى عما بدا لك، فقالت : لِمَ تختلج شفتاك؟

قال : من تقبيلي إياك ! قالت : لم تختلج فخذاك ؟ قال : لتوركي إياك ! قالت : فلم يختلج كشحاك ؟ قال : لالتزامي إياك ! قالت : عليكم العبد ! فشدوا أيديكم به ؛ ففعلوا ؛ قال : ومر قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر . فرجع الى حيه واستاق مائة من الإبل وأقبل الى امرأته . فقيل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدرى أزوجى هو أم لا ؟ ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها . ففعلوا ؛ فلما أتوه بذلك . قال : وأين الكبد والسنام والملحاء ؟ فأبى أن يأكل . فقالت : آسقوه لبنا حازرا ، فأتى به ، فأبى أن يشربه وقال : أين الصريف والرثيئة ؟ فقالت : آفرشوا له عند الفرث والدم ، ففرشوا له ، فأبى أن ينام وقال : افرشوا لى فوق التلعة الحمراء وآضربوا عليها خباء ، ثم أرسلت اليه : هلم شريطتى عليك فى المسائل الثلاث ، فأرسل اليها : سليني عما شئت . فقالت : مم تختلج شفتاك ؟ قال : لشرب المشعشعات ، قالت : فمم تختلج كشحاك ؟ قال : للبس الحبرات ، قالت : فمم تختلج فخذاك ؟ قال : لركض المطهمات ، قالت : هذا زوجى لعمرى ! فعليكم به . واقتلوا العبد فقتلوه . ودخل امرؤ القيس بالجارية ، فقال ابن هبيرة : حسبكم ! فلا خير فى الحديث فى سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ولن يأتينا أحد بأعجب منه . فقمنا فانصرفنا وأمر لى بجائزة .

وقيل : بعث ثمامة بن الأعور العبدى فى طلب بلال بن شذوجى صغير فيه شىء . فسرق الرسول شاة . وأخذ من رأس محى شيئا . فقال له الرسول : أكاحجة أخبره بها ؟ فقالت امرأته : خبرته أنت سمير محوق . وأن ... من كان يخدعه وجدته مرموما . وارتجع منه الشاة والسمن .

وقيـل : أسرت طيِّئٌ غلاما، فقدم أبوه ليفديَهُ، فاشتطّوا عليــه . فقال أبوه : لا والذى جعل الفرقدين يُمسيانِ ويصبحانِ على جبلَىْ طيِّءٍ ! ما عندى غيرُ ما بذلتهُ، ثم آنصرف وقال : لقد أعطيته كلاما إن كان فيه خيرٌ فهمه . كأنه قال : اِلْزم الفرقدَيْن على جبلَىْ طيِّء، ففهم الآبن تعريضه وطرد إبلًا لهم من ليلته ونجا .

ومن التخليص المتوسَّط اليه بالكناية، ماروى عن عدىّ بن حاتم بن عبد الله الطائىّ، أنه قال يوما فى حق الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيط : ألا تعجبون لهذا؟ أشعرَ بَرْكًا يُوَلَّى مثل هـذا المصر، والله ما يحسن أن يقضىَ فى تمرتين . فبلغ ذلك الوليـدَ فقال على المنبر : أنشُد الله رَجُلًا سمّانى أشعرَ بَرْكًا إلا قام ، فقام عدىّ بن حاتم فقال : أيها الأمير، إن الذى يقوم فيقول : أنا سمّيتك أشعـرَ بَرْكًا لجرىءٌ، فقال له : آجلس يا أبا طرِيف! فقد برّأك الله منها، فجلس وهو يقول : ما برّأنى الله منها .

وقيل: كان شُريح عند زياد بن أبيه وهو مريض، فلما خرج من عنده أرسل اليه مسروق رسولا وقال: كيف تركت الأمير؟ فقال: تركته يأمر وينهى، قال مسروق: إنه صاحب مرض، فارجع اليه وآسـأله ما يأمر وينهى، قال : يأمر بالوصـيّة وينهى عن النّوح .

خطب رجل الى قوم فجاءوا الشعبيّ يسألونه عنه، وكان به عارفا، فقال : هو والله ما علمت نافذ الطعنة، ركين الجلسة، فزوّجوه ؛ فاذا هو خيّاط فأتوه فقالوا : غررتنا فقال : ما فعلتُ وإنه لكما وصفت .

وخطب الباقلانيّ الى قوم وذكر أنّ الشعبيّ يعرفه فسألوه فقال : إنه لعظيم الرماد، كثير الغاشية .

قيل : أخذ العسس رجلين فقال لهما : من أنتما ؟ فقال أحدهما.

أنا ابن الذي لا ينزل الدهرَ قِدْرُهُ * وإن نزلتْ يوما فسوف تعودُ

ترى الناسَ أفواجا الى ضوء ناره * فمنهم قيامٌ حولها وقعودُ !

وقال الآخر

أنا ابن من تخضع الرقاب له ما بين مخزومها وهاشمها

تأتيه بالذلّ وهي صاغرة ، يأخذ من مالها ومن دمها !

فظنوهما من أولاد الأكابر فلما أصبح سأل عنهما ، فإذا الأول ابن طبّاخ والثاني ابن حجّام . ١

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأحنف : أيّ الطعام أحبّ إليك ؟ قال : الزُّبْد والكمأة . فقال : ما هما بأحبّ الطعام إليه ، ولكنه يحبّ الخصب للمسلمين .

وقال لقمان لابنه : كلْ أطيب الطعام ونَمْ على أوطأ الفرش ؛ كنّى عن إكثار الصيام وإطالة القيام . ١

ومن جيّد التورية والتعريض مع توخّي الصدق في موضع الخوف : قول أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، وقد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رديفه في الهجرة ، فقيل له : من هذا يا أبا بكر ؟ فقال : رجل يهديني السبيل .

ورُفِعَ الى عبيد الله بن الحسن قاضى البصرة وصيـةٌ لرجل بمال أمر أن تُتَّخَذَ به حصون . فقال : آشتروا به خيلا للسبيل، أما سمعتم قول النخعىّ

ولقـــد علمت على تجنبِّى الردى ٭ أن الحصون الخيلُ لامدَرُ القُرَى

قيــل كان البَرَاءُ بن قَبِيصة صاحبَ شرابٍ، فدخل على الوليد بن عبد الملك، وبوجهه أثر . فقال : ماهــذا ؟ قال فرس لى أشقر، ركبته فكبا بى ، فقال : لو ركبتَ الأشهبَ لَمَا كبا بك، يريد المـاء .

قال عبد الملك بن مروان لثابت بن الزبير : ماثابت من الأسماء! ليس بآسم رجل ولا آمرأة ، قال : يا أمير المؤمنين لا ذنب لى لوكان آسمى الىَّ، لسمَّيتُ نفسى زينبَ، يُعَرِّضُ به ؛ فإنه كان يعشق زينبَ بنت عبد الرحمن بن هشام فخطبها، فقالت : لا أوسِّخ نفسى بأَبِى الذّبان .

قال نُمَيْرِىّ لفقعسىٍّ : إنى أريد إتيانك فأجد على بابك جروا ، فقال له الفقعسىُّ : اطرح عليه ترابا وآدخل؛ أراد النميرىّ قول الشاعر

ينـام الفقعسىُّ وما يُصَـــلِّى ٭ ويخرى فوق قارعةِ الطريق

وأراد الفقعسىّ قول الآخر

ولو وُطِئَتْ نساءُ بنى نميرٍ ٭ على تُرْبٍ لخبَّثْنَ الترابَا

٤٧ قال عبد الله بن الزبير لآمرأة عبد الله بن حزم السلمىّ : أَخرجى المالَ الذى وضعته تحت آستِك . فقالت : ما ظننت أن أحدا يلى شيئا من أمور المسلمين يتكلّم بهذا ، فقال بعض من حضر : أما ترون الخلع الخفىَّ الذى أشارت اليه ؟ فلما أخذ الحجّاج أُمّ عبد الرحمن بن الأشعث تجنّب ما عيبَ على آبن الزبير، فكنَّى عن المعنى فقال لها : عمدتِ الى مال الله فوضعتِه تحتَ ذيلك .

ماتت للهذلىّ أمّ ولدٍ، فأمر المنصورُ الربيعَ بأن يعزّيَه ويقولَ له : إن أمير المؤمنين يوجّه اليك بجارية نفيسة لها أدبٌ وظَرفٌ تُسليك عنها، وأمر لك بفرسٍ وكُسوةٍ وصِلةٍ؛ فلم يزل الهذلىّ يتوقّعها، ونسِيَها المنصور، ثم حجّ ومعه الهذلىّ فقال له وهو بالمدينة : أحبّ أن أطوفَ الليلة فى المدينة، وأطلبَ من يطوف بى فقال : أنا لهـا يا أمير المؤمنين؛ فطاف به حتى وصل الى بيت عاتكةَ فقال : يا أمير المؤمنين! وهذا بيت عاتكة الذى يقول فيه الأحوص

.. يا بيتَ عاتكةَ الذى أتعزّلُ *

فأنكر المنصور ذكرَ بيتِ عاتكةَ من غير أن يسأله عنه؛ فلما رجع أمرّ القصيدة على خاطره فاذا فيها

وأراك تفعلُ ما تقولُ وبعضهم مذِقُ الحـديث يقول ما لا يفعلُ

فتذكّر الموعدَ وأنجزه واعتذر اليه .

اجتمع الشعراء بباب أمير من أمراء العرب . فمرّ رجل ببازٍ فقال رجل من بنى تميم لآخر من بنى نمير : هـذا البازى ! فقال النميرىّ : إنه يصـيد القطا، عرّض الأول بقول جرير

أنا البازى المطلّ على نُمـيرٍ * أُتيح من السماء لها انصبابا

وأراد الآخر قول الطرمّاح

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكتْ طرق المكارم ضلّت

قال عمر بن هُبَيْرة الفزارىّ لأيوب بن ظَبيان النميرىّ وهو يسايره : غُضّ من عنانك! فقال : إنها مكتوبة، أراد ابن هبيرة قول جرير

فغُضّ الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأراد النميرى قول ابن دارة

لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك واكتبها بأسيار

وقيل : كان العزيز بن المعز العبيدى أحد الخلفاء بمصر يلعب بالحمام فتسابق هو وخادم له فسبق طائر الخادم طائر الخليفة، فبعث الى وزيره ابن كلس اليهودى يستعلمه عن ذلك فاستحيي أن يقول : إن طائر الخليفة سبق، فكتب إليه

يابن الذى طاعتـه عصمة * وحبـه مفترض واجب
طائرك السـابق لكنه * جاء وفى خدمته حاجب

جاءت امرأة إلى عمر رضى الله عنه فقالت : أشكو اليـك زوجى، خير أهـل الأرض إلا رجل سبقه لعمل، أو عمل مثل عمله، يقوم الليل حتى يصبح، ويصوم النهار حتى يمسى، ثم أخذها الحياء فقالت : أقلنى يا أمير المؤمنين ! فقال : جزاك الله خيرا ! فقد أحسنت الثناء، فلما ولت قال كعب بن سور : يا أمير المؤمنين لقد أبلغت اليك فى الشكوى، فإنها كنت بذلك عن عدم المباضعة .

البـاب الخامس

من القسم الثانى من الفن الثانى

فى الألغـاز والأحاجى

قالوا : واشتقاق اللغز من ألغز اليربوع ولغز : إذا حفر لنفسه مستقيما، ثم أخذ يمنة ويسرة ليوارى بذلك ويعمى على طالبـه . وللغز أسماء فمنها : المعاياة، والعويص، والرمز، والمحاجاة، وأبيات المعانى، والملاحن، والمرموس، والتأويل، والكناية،

والتعريض، والإشارة، والتوجيه، والمعمَّى، والمُمَثَّل. ومعنى الجميع واحد، وآختلافها بحسب آختلاف وجوه آعتباراته، فانك إذا آعتبرته من حيث إن واضعه كأنه يعاييك، أى يُظهر إعياءك وهو التعبُ، سمّيتَه: معاياة، وإذا آعتبرته من حيث صعوبة فهمه وآعتياص آستخراجه، سمّيته: عَويصا، وإذا آعتبرته من حيث إنه قد عمل على وجوه وأبواب، سمّيته: لُغْزاً، وفعلك له: إلغازا، وإذا آعتبرته من حيث إن واضعه لم يفصح عنه قلت: رَمَزَ، وقريب منه الإشارة. وإذا آعتبرته من حيث إن غيرك حاجاك أى آستخرج مقدار عقلك، سمّيته: محاجاة، وإذا آعتبرته من حيث إنه آستخرج كثرة معانيه، سمّيته: أبيات المعانى، وإذا آعتبرته من حيث إن قائله قد يوهمك شيئا ويريد غيره، سمّيته: لحنا وسمّيتَ فعلك: المَلاحن، وإذا آعتبرته من حيث إنه سُتر عنك ورُمس فهو: المرموس، والرمس: القبر، وإذا آعتبرته من أن معناه يؤوَّل إليك، سمّيته: مؤوَّلا، وسمّيت فعلك: تأويلا. وإذا آعتبرته من حيث إن صاحبه لم يصرّح بغرضه، سمّيته: تعريضا وكناية، وإذا آعتبرته من حيث إنه ذو وجوه، سمّيته: الموجَّه، وسمّيت فعلك: التوجيه. وإذا آعتبرته من حيث إنه مغطًّى عليك، سمّيته: معمًّى.

قال الحكيم أمين الدولة المعروف بابن التلميذ فى الميزان:

ما واحد مختلف الأسماء يعدل فى الأرض وفى السماء
يحكم بالقسط بلا رياء أعمى يرى الإرشاد كل رائى
أخرس لا من علة وداء يغنى عن التصريح بالإيماء
يجيب إن ناداه ذو امتراء بالرفع والخفض عن استواء
يفصح إن علق فى الهواء

قوله : مختلف الأسمـاء يعنى ميزان الشمس ، والأصطرلاب ، وسائر آلات الرصد، وهو معنى قوله : يحكم فى السماء . وميزان الكلام : النحو، وميزان الشعر : العروض، وميزان المعانى : المنطق، وهذه الميزان والذراع والمكيال .

وقال آخر فيه

ما تقولون ؟ : فيما نزل من السماء، وعُلّق فى الهواء، له عينٌ عمياء، وكفٌّ شلاء، ليس له إن عدل ثواب، ولا عليه إن جار عقاب، خُلقَ من ثلاثة أجناس، تضعضعه الأنفاس، جسمه عارٍ من غير لباس، أخرسُ اللسان، فى أذنه خُرصان، مكرر الذكر فى القرآن، ينطوى إذا نام كالصِّلّ، وفعله المستقبل معتلّ، وله فى الآخرة أكبر محلّ .

وقال أبو نصر الكاتب فى الخاتم

ومنكوحٍ إذا ملكته كفٌّ * وليس يكون فى هذا مِراءُ
له عينٌ تخلّلها ضياءٌ * فإن كُحلَتْ فللميلِ العَماءُ
يظلّ طليعةً للوصل هونا * وللخاشى بزورته احتماءُ
وقد أوضحتُه وأبنتُ عنه * ففسِّرْه فقد برح الخفاءُ

أراد بقوله : تخلّله ضياءٌ أى أنها مفتوحة وكحلها بالإصبع ؛ وقد يبعث المحبوب بخاتمه علامةً للزيارة أو رهنا عليها وهو أمانٌ للجانى .

وقال ابن الرومىّ فى فتيلة السراج

ما حَيّــةٌ فى رأسها دُرّةٌ * تسبح فى بحرٍ قليل المدَى؟
إن غُيِّبتْ كان العمى حاضرا * وإن بدت لاح طريقُ الهدى!

وقال السرىّ الرفّاء فى شبكة الصيّاد

وكثيرة الأحداق إلا أنهـا ... عميـاءُ ما لم تنغمس فى ماءِ
وإذا هى انغمست أفادت ربَّها ... ما لا ينال بأعين البصراءِ

وقال آخر فى النوم

وحاملٍ يحملنى ... وما له شخصٌ يُرى!
إذ حصلتُ فوقه ... وهو ممتدٌّ ممتطَى!
سريتُ لا أدرى فى ... أرض سريتُ أم سما!

وقال أبو العلاء المعرّىّ فى ركابى السرج

خليلانِ نيطا فى جوانب مجلس ... جد وره قد قام له وورده!
متى يضع الرِجلين ماش عليهما ... يَزِلْ عنه فى وَثْبته حقّه وحذاءه!

قوله : خليلان تشبيههما . والمجلس : السرج . وجد وره : قربوسه وردفته . ... خف مقصور : وجمع الرِجل . والممدود : من مشى برجل حافية بغير نعل .

وقال ابن القاسم عبد الصمد بن بابك فى القفل

مُجمعٌ يعقد عقد الكمّة ... ان رمه غير جرّ كمّه
... كالأسود لا كنجمة ... حتى ذ ... مت ...
وعجّ حمة عد جذبه ... وتخلّ بحفظه ... ضربه
... فى جيبه تحته عربه ... ثم بد عد بيه تشبه
عضّ حروف منعجم منكبه ... يعض وهو صامت تحبه
يعتقد سلم وينوى حربه ... وهو عيد ... ضوبى ...

شَبّهه بالمجامع : لدخول الفَراش فى بطنه ، وقوله : يعقد عقد الكلبة : فى عُسر المفارقة ، و إن فتحه غيرك جرّ نكبة عليك لسرقة ما فيه ، ينام كالأمرد : لانكبابه ، والقُمُدُّ : الذكر وهو المفتاح ، والجنين : الفَراش ، و إذا عاد إليه أشبه حرف الكاف .

وقال فى آسم سعيد

يبسم عن أوّل آسمــه حبّى * ثم بثـانى حروفه يســبى
ثم بحرفين لو بدا بهما * أسدى يدا ، صورةُ آسمها تُنبى
أربعــة نصفهـا بجملتها . فى العدّ لم تنتقص ولم تُربى
هذا وفيه آسمُ يومٍ آتفقت * مفاخرُ العُجْم فيه والعُرْبِ
فأعمــل الفكــر فى تأمله وآركب به كلّ مَرْكَب صعبِ

شبّه السين بالثغر ، وثانيه العين وهى تسبى القلوب ، والحرفان يَد وهى أربعة فى العدد وستّة فى الصورة ، و إذا أخذتَ السين والعين فهى أربعة وهى بجملة العدد ، وفيــه عيد وهو يوم التفاخر بالزينة واللبوس .

وقال آبن أبى البَغْل الكاتب فى القلم

اصمّ عن المنادى لا يجيبُ . به تخبو وتشــتعل الخطوبُ
ضئيل الجسم " أعلم " ليس تخفَى * عليه غيوبُ ما تُخفى القلوبُ
تراه راجلًا لا روح فيــه . ويُحييه ويُنطقه الرّكــوبُ
يبين لسانُه ما كنّ ســودًا معارفه ويُخرســه المشيبُ
يقَسِّم فى الورى بؤسى ونُعمى ويحكم والقضــاءُ له مجيبُ
عجبت لسطوة فيــه وضعْف . وكلّ أموره عجبٌ عجيبُ

أراد بقوله : أعلم : مَشقوق الشَّفَة .

وقال أبو العلاء المعرّى فى المِلْح

وبيضاء من سرّ المِلاح ملكتُها * فلما قضتْ إرْبى حبوتُ بها صحبي
فباتوا بهـا مستمتعين ولم تزل * تحثّهم بعــد الطعام على الشُّربِ

قوله : سرّ أى خالصة، والمِلاح جمع مِلْح، والإرب : الحاجة .

وقال آخر فى عودى الغناء والبخور

وما شيئان إسمهما سَواءٌ * وأصلهما معاً عند آنتسابِ
إذا حضراك بتَّ قرير عين * بلا طعم يلذّ ولا شَرابِ
وما أن يوجدان النفــع إلّا * بضربٍ أو بضربٍ من عذابِ

معنى آسمهما سواء ظاهرٌ، وأصلهما خشب، والضَّرب الأول : ضَرب العود، والثانى : من العذاب وهو الإحراق .

وقال آخر فى الحرب

وما ذات شَوْكٍ لها جناح * يختطف النَّفَس عن قريبِ
وهى عقيــم ترى بنيهـا * من بين مُرْدٍ وبين شِيبِ
يأكل بعض بنين بعضا * طلوعَ شمس الى غروبِ
تصحيفها داء غير شك * قد يحسم الداء بالطبيبِ
ولداء معكوسه مكان * يصلح لطائر عجيبِ
يعرفها من يكون طَبّاً * بالشعر والنحو والغريبِ



هذا لغز معمى فى حرب، وشوكها : السلاح، وجناحها : [illegible] ، وعقيم : لأنّها لا تلد ، وبنوها : رجالها ، وأكلهم : قتلهم، وتصحيفها : خرب، وعكسه: برج .

وقال آخر فى الثدى

وما أخوان مشتبهان جِدًّا * كما آشتبه الغَرابة والغرابُ
يَضمّهما على مرّ الليالى * وما آجتمعا ولا آفترقا إهابُ
لذاك وذا دموع هاملات * ولكن كلّ دمعهما شَرابُ
يصونهما عن الأبصار دِين * ويُضرَب دون نَيْلهما حِجابُ

هما : ثديا المرأة، ويضمّهما إهاب : وهو الجلد .

وقال آخر فى الفخّ

وما ميّت كفّنته ودفنته * فقام الى حىّ صحيح فأوثقَهْ

وقال آخر وهو لغز

حلف الحبيبُ علىّ لا سمّيتُه * فكنيته ولطفت خوف تغاضبِهْ
ظبي! اذا ما زارنى حلّ آسمه * قلبى وذلك من عجيب عجائبِهْ
ويكون إن رخّمتَه وخَرمتَه * وقلبتَه ما تشتهى من صاحبِهْ
ويكون إن صحّفتَ مبدأه الذى * أصبحتَ تهواه لعين مراقبِهْ
وتراه بعد الجزم إن ميّزت فى التصحيف مقلوبا أشدّ معائبِهْ
وحروفها فالنصف منها جذرها * وحساب ذلك غير متعب حاسبِهْ
فاطلبه سادس ثانيه ثا * نيه وثالثه كذاك لطالبِهْ
وتمامه من بعد مثل حروفه * فى البيت صحّ آسم الحبيب لقالبِهْ

هو لغز فى فرحة ، والترخيم : حذف الآخر ، والخرم : حذف الأول ؛ فاذا رخم وخرم وقلب بقى : حر ، واذا قلبت الفاء قافا بقى : قُرحة لعين المراقب . واذا صحفته مقلوبا ، وجزمت آخره صار : هجر ، والنصف من حروفه اثنان ، وهما جذر جميع حروفه ، وقوله : فطلبه سادس سادس : يعنى البيت السادس .

وقال آخر فى سَلْمى

سل ماهرًا بالقريض والأدب   ما اسم فتاة قعيدة النسب
قد صرّح الشعر باسمها فتى * فكّرت فيها ظفرتَ بالعجبِ

الاسم : سلمى ، وهو ظاهر فى أول البيت .

وقال آخر فى الكُرة

ومضروبةٍ تحيا إذا ما ضربتها * وإن تُركت من شدّة الضرب ماتت

وقال أبو عبد الله بن مُغَلّس فى السِّراج

ودع ى عسه فى الظلام * وما سمعتْ أذنه صوتَه
إذا هو يحضى وجه طريق * مسوّد فى وجهه بيته

وقال آخر فى الصَّدَى

وساكنٍ يسكن فى فلاةٍ * ليس من وحش ولا النبت
ولا من جنّ ولا الحيّاتِ * ولا تخيله شَعر ولا بيت
ولا بذى جسم ولا جيد * كلا ! ولا يدرك بالصمت
لى ! له صوت من الأصوات * يسمع فى الأحيان والأوقات

وقال ابن المغلّس فى النخلة

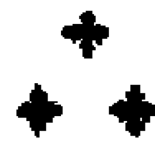
وقائمـــة أبدا لا تنـام * وما قعدت قطّ مذ قامت
تعيش إذا غســلوا رِجلها * وإن حلقــوا رأسها ماتت

وقال آخر

مايقول سيدنا الشيخ : فى شىء نزل من السماء، وركض فى الهواء، وخيّم فى البيداء، نطق على نفسه فأفصح، وتكلّم فبيّن وأوضح، أفقر وأغنى، وأمات وأحيا، له شوارق من غير غضب، ورقصات على غير طرب، يسبق الفرس السريع، ويسبقه الطفل الرضيع، مختلف الألوان، يوجد فى كلّ زمان، ما أكثر لغاته ! وأعمّ فى البشر ذكر صفاته! وهو خفيف ثقيل، كثير قليل، كبير صغير، طويل قصير، غال رخيص، قوىّ ضـعيف، سريع بطىء، بارد حارّ، نافع ضارّ، أبيض أسود أزرق، قريب بعيد، قديم جديد، متحرّك ساكن، ظاهر باطن، يتجسّر ويتكسّر، ويتعوّج ويتدوّر، سلطانه فى الشمال وبه يذلّ، وضـعفه فى الجنوب وبه يعزّ، نحيل يخفى جثّة الفيـل فى طيّه وعطفه، ويتخلّل جفن العين الرمدة برفقه ولطفه، يمشى على الحـدق فلا يؤلمها، ويطأ القلوب فلا يكلمها، على أنّه يقطع الطريق، ويخيف الفريق، كم أهلك من قوم وما راق ولا سفك! يحمل ألف قنطار، ويعجز عن حمل دينار، وهو ليـلىٌّ نهارىٌّ، عربىٌّ عجمىٌّ، برىٌّ بحرىٌّ، سهلىٌّ جبلىٌّ، رومىٌّ نوبىٌّ، هندىٌّ حبشىٌّ، صينىٌّ جاهلىٌّ إسلامىٌّ، كان مع آدم فى الجنّة، وصحب نوحا فى السفينة، وتوسّط النار مع إبرهيم، كم له مع موسى من خبر! ولموسى فيه من آية وأثر! حمل المسيح على غير ظهر، وما سر فى برّ ولا بحر، أخرجه النبىّ صلى الله عليه وسـلّم من جسده، وفرّقه على صحابته، إذا نصفت به كان بعض أحد خلفاء بنى العباس السبعة وهو ١٤٣١ .

وقال آخر

ما شيءٌ وجهه قمر، وقلبه حجر إن علّقته ضاع، وإن أدخلتهُ السّوقَ أبى أن يباع، وإن فككته دعا لك، وإن ركبت نِصْفَه هالك، وربّما كثّر أموالك، وإن حذفتَ آخره، وشدّدت ثانيَه، أورثك الألم عند الفَجْر، والضجر عند العصر: هو الدُّملج الفضة.



ومما يتصل بهذا الباب مسائل العويص

فمن ذلك: امرأتان التقتا برجلين فقالتا لهما: مرحبا بابنينا وزوجينا وابنى زوجينا، وذلك أن كلّ واحد منهما تزوّج بأم الآخر فهما ابناهما وزوجاهما وابنا زوجيهما.

رجلان كلّ واحد منهما عمّ الآخر وابن أخيه. وذلك: أن كلّ واحد من أبويهما تزوّج بأم الآخر، فرُزق كل واحد منهما ولدا فكل من الولدين عمّ الآخر وابن أخيه.

رجلان كلّ واحد منهما خال الآخر وابن أُخته. وذلك: أن كلّ واحد من أبويهما تزوّج بابنة الآخر، ورزق كلّ واحد منهما ولدا فكلّ من ولديهما خال الآخر وابن أخته.

رجل وامرأتان هو خال إحداهما، وهي خالته وعمّ الأخرى، وهي عمّته. وذلك: أن جدّته أمّ أبيه تزوّجت أخيه لأمّه وأخته لأبيه تزوّجت أب أمّه، فولدتا بنتين فبنت أخته خالته وهو خالها، وبنت جدّته عمّته وهو عمّها، وهذه الأبيات المنظومة فى ذلك

وفى خالة وأنا خالها وفى عمّة وأنا عمّها

رجلان كلّ واحد منهـما ٱبن خال الآخر وٱبن عمّته، وذلك : أنّ كل واحد من أبويهما تزوّج بأخت الآخر، فرزق كلّ منهما ولدا، فكل من ولديهما ٱبن خال الآخر وٱبن عمّته .

رجلان كلّ واحد منهما عمّ والد الآخر، وذلك : أنّ كلّ واحد من أبويهما تزوّج بأم أب الآخر، فكلّ من أولادهما عمّ أب الآخر .

رجلان كلّ واحد منهما عمّ أمّ الآخر، وذلك : أنّ كلّ واحد من أبويهما تزوّج بابنة ٱبن الآخر، فكلّ من أولادهما عمّ أمّ الاخر .

رجلان كل واحد منهـما خال أمّ الآخر، وذلك : أنّ كلّ واحد من أبويهما تزوّج بابنة بنت الآخر، فكلّ من أولادهما خال أمّ الآخر .

رجلان احدهما عمّ الآخر والآخر خاله ، وذلك : أن رجلين تزوّج أحدهما ٱمرأةً وتزوّج الآخر ٱبنة ٱبنها، فولد لكل منهما ولد فابن الأب عمّ ٱبن الأبن، وٱبن الأبن من أمّ ٱمرأة الأب، هو أخوها وخال ٱبنها .

رجلان أحدهما عمّ الآخر وخاله، والآخر ٱبن أخيـه وٱبن أختـه، وذلك : أن رجلًا له أخ لأب وأخت لأمّ فزوّج أخاه لأبيه بأخته لأمّه فأولدها ولدا فهما كذلك .

القسمُ الثالث من الفنّ الثانى

فى المدح، والهجو، والمجون، والفُكاهات، والمُلَح، والخمر، والمُعاقرة، والنّدمَان، والقِيان، ووصف آلات الطّرب

وفيه خمســـة أبواب

البــاب الأوّل

من هذا القسم

فى المدح، وفيه ثلاثة عشر فصلا

حقيقة المدح وما قيل فيه، ما قيل فى الجود والكرم وذخر الشكر، ما قيل فى الإعطاء قبل السؤال، ما قيل فى الشجاعة والصبر والإقدام، ما قيل فى وفور العقل، ما قيل فى الصّدق، ما قيل فى الوفاء والمحافظة، ما قيل فى التواضع، ما قيل فى القناعة والنزاهة، ما قيل فى الشكر والثناء، ما قيل فى الوعد والإنجاز، ما قيل فى الشفاعة، ما قيل فى الاعتذار والاستعطاف.

وأمّا حقيقة المدح، فقد عبّر عنها الحسوى فى "تحفة الاختصار والإيجاز" بقوله: حقيقة المدح: وصف الموصوف بأخلاق حميدة صحيحة عنه، ويكون حقّا حسنًا. قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ وقال عزّ وجلّ: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ

بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَٱلْحَافِظُونَ لِحُدُودِ ٱللّٰهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ) وروى عن النبيّ صلّى اللهُ عليه وسلّم أنه قال : " أصحابى كالنجوم بأيّهم ٱقتديتم ٱهتديتم " وقد أوّلوا الخبر المرويّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم " اذا رأيتم المَدّاحين فأحثوا فى وجوههم التراب " قال العُتْبيّ هو المدح الباطل والكذب .

وأمّا مدح الرجل بما هو فيه فلا بأس به ، وممّا يعضد هذا أنّ العبّاس بن عبدالمطّلب وكعب بن زهير ، وحسّان بن ثابت ، وغيرهم ، مدحوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلم يَرِد أنه حثا فى وجه أحد منهم ترابا .

وقيل فى حثو التراب مَعْنَيان : أحدهما التغليظ فى الردّ عليه ، والثانى يقال له : بفيك التراب .

وللشعراء عادة فى تجاوز قدر الممدوح فوق ما يستحقّه حتى إنّ ذلك أفضى بكثير منهم الى الكفر والخروج عن الحدّ أعاذنا الله من ذلك ، وقال أنو شروان : من أثنى عليك بما لم تولِه فغير بعيد أن يذمّك بما لم تجنه . وقال وهب بن منبّه : من مدحك بما ليس فيك ، فلا تأمَن أن يذمّك بما ليس فيك . (٥١)

وأنشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه قول زُهير بن أبى سُلْمى فى هَرِم بن سِنَان

دع ذا ! وعُدَّ القولَ فى هَرِمٍ خير الكهول وسيّد الحَضَرِ
لو كنتَ من شىء سوى بشر كنتَ المنوّر ليلةَ القَدْرِ
ولأنتَ أوصل من سمعتُ به لشوائل الأرحام والصِّهْرِ
ولنعم حشو الدّرع أنت اذا دُعيتْ نَزَالِ ولُجّ فى الذُّعْرِ

فقال عمر رضى الله عنه : ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

ولما حضر أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه الوفاةُ ، قالت عائشة رضى الله عنها وهو يغمَّض

وأبيض يُستسقَى الغَمام بوجهه ثِمال اليتامى عصمة للأرامِلِ

فنظر اليها وقال : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

وقال آخر

ولو كنتِ أرضًا كنتِ مِيثاءَ سهلةً ولو كنتِ ليلًا كنتِ صاحبة البدرِ
ولو كنتِ ماءً كنتِ ماء غَمامة ولو كنتِ يوما كنتِ تَعريسة الفجرِ

وقال محمّد بن هانئ

أغَيرُ الذى قد خطّ فى اللوح أبتغى مديحا له ؟ إنّى إذًا لعنودُ
وما يستوى وحىٌ من الله منزلٌ وقافيةٌ فى الغابرين شرودُ

وقال عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه لمُتَمّم بن نُوَيرة صِف لى أخاك فإنى أراك تمدحه . فقال : كان أخى يحبس المزاد بين الصوحَيْن فى الليلة القَرَّة معتقلا الرمحَ الخَطِل . عليه الشَّمْلَة الفَلوت . يقود الفرس الحَرون فيصبح ضاحكا مستبشرًا : الخَطِل : الطويل المضطرب . والفلوت : التى لا تنضمّ على الرَّجل لقصرها .

وسأل عبد الله بن عباس صَعْصَعةَ بن صُوحان العَبْدىّ عن إخوته فقال : أما زيد فكما قال أخو عبس

فتى لا يبالى أن يكون بوجهه إذا نال خلّات الكرام شحوب

ثم قال : كان والله يابن عباس . عظيم المروءة . شريف الأُخوّة . جليل الخطر . بعيد الأثر . كميش العُروة . أليف البَدْوة . سليم جوانح الصدر . قليل وساوس الفكر .

ذاكراً لله تعالى فى طَرَفى النّهار وزلفًا من الليل، الجوع والشّبع عنده سيّان، لا منافس فى الدنيـا، ولا غافل عن الآخرة، يطيل السكوت، ويديم الفكر، ويكثر الاعتبار، ويقول الحق، ويلهج الصدق، ليس فى قلبه غير ربه، ولا يهمه غير نفسه ، فقال ابن عبّاس : ما ظنّك برجل سبقه عضو منه الى الجنّة ؟ رحم الله زيدا ! فأين كان عبد الله منه؟ فقال : كان عبد الله سيّدا شجاعاً، شيخًا مُطاعاً ، خيره وِسَاع، وشره دِفَاع . ليّن النحيزة، أحوذىّ الغريزة ، لايَنْهنهه مُنهنه عمّا أراد، ولا يركـب إلّا ما اعتاد، سِمَام العدى، فيّاض النّدى، صعب المَقادة، جزل الرِّفادة. أخو إخوان، وفتى فتيان، ثم أنشد شعر حسّان بن ثابت

اذا قال لم يترك مقالًا لقـائل * بمُلتقطاتٍ لا يرى بينها فصـــلا
قضى فشفى ما فى النّفوس فلم يدع * لذى إربة فى القوم جدّا ولا هزلا

ودخل ضِرَار بن ضَمْرة الكِنَانىّ على معاوية بن أبى سُفيان فقال له : صِفْ لى عليّا فقال له : أو تعفينى؟ فقال : لا أعفيك؟ قال : أما إذ لا بدّ، فإنّه كان بعيد المدى، شديد القُوى. يقول فصلا. ويحكم عدلا، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة نواحيـه، يستوحش من الدنيا وزَهْرتها، ويأنس بالليل وظُلْمته، كان والله غزير العَبْرة، طويل الفِكْرة، يقلّب كفّيه، ويخاطب نفسَه، يعجبه من اللّباس ما قَصُر، ومن الطعام ماخَشُن، كان والله كأحدنا يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع تقرّبه إلينا وقُربه منا لا نكلّمه هيبةً له. فان تبسّم فعن مثل لؤلؤ منظوم ، يُعظّم أهـلَ الدين، ويحب المساكين. لا يطمع القوىُّ فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله .

وذكر عمرو بن مَعْدِيكَرِب بني سُلَيْم فقال : بارك الله على حيّ بني سليم ما أصدق في الهيجاء لقاءَها! وأثبت في النوازل بلاءَها! وأجزل في النائبات عطاءَها! والله لقد قابلتهم فما أجبنتهم، وهاجيتهم فما أفحمتهم، وسألتهم فما أبخلتهم .

وقال بعضُ العرب : فلان حتف الأقران غداة النزال، وربيع الضِّيفان عَشيّة النزول .

وقال آخر: فلان لَيْثٌ إذا غدا، وبدر إذا بدا، ونجم إذا هدى، وسمٌّ إذا أردى .

ودخل على النُّعمان بن المُنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي لخمي فحيّاه بتحيّة الملوك ثم قال : أيفاخرك ذو فائش وأنت سائس العرب، وغرّة الحسب والأدب، لأمسُك أيمن من يومه ! ولعبدك أكرم من قومه، ولقفاك أحسن من وجهه، وليسارك أجود من يمينه، ولظنّك أصدق من يقينه ولوعدك أنجح من رفده، ولخالك أشرف من جدّه، ولنفسك أمنع من جنده، وليومك أزهر من دهره، ولفترك أبسط من شبره، ثم قال

أخلاق مجدك جلّت ما لها خطر ... في البأس والجود بين الحلم والخفرِ

متوّج بالمعالي فوق مفرقه ... وفي الوغى ضيغم في صورة القمرِ

إذا دجا الخطب جلّاه بصارمه ... كما يجلّي زمان المحل بالمطرِ

فتهلّل وجه النعمان سرورًا، ثم أمر أن يُحشى فوه درًّا وكُسي أثواب الرضى وكانت جبابًا أطواقها بالذهب بقصب الزمرد، ثم قال النعمان : هكذا فليُمدح الملوك .

وذو فائش : هو سلامة بن يزيد بن سلمة ... من ولد حضرموت ...

...

مُتّصلا به قبــل اتصاله بالنّعان ، وله فيه مدائح كثيرة فاقتص الله تعــالى من النّعان ابن المنذر بعــد ذلك لمــا حُكِيَ أنه دخل حسان بن ثابت على الجفنىّ فقال : أنعم صباحا أيها الملك ! السماء غِطَاؤك ، والأرض وِطَاؤك ، ووالدى ووالدتى فِداؤك ، أنّى ينافسك ابن المنذر؟ فوالله لَقذالُك أحسن من وجهه ، ولأمّك خير من أبيه ، ولظلك خير من شخصه ، ولصَمْتك أبلغ من كلامه ، ولشمالك خير من يمينه ، ثم قال

قذالك أحسن من وجهه وأمّك خيرٌ من المنذر

ويُسرى يديك إذا أعسرتْ كيُمنى يديه فلا تمترى

أخذ المعنى الحسنُ بن هانئ فقال

أنت من عزٍّ عزيز بذّ حسنَ الوجوه حسنُ قفاكا

ونظر بعض الشعراء فى هذا المعنى فقال يمدح زُبيدة ابنة جعفر بن أبى جعفر المنصور أم الأمين

أزبيــدة ابنــة جعفر طــوبَى لزائرك المثــابِ

تعطين من رجليــك مــا تعطى الأكفُّ من الرِّغابِ

فلما أنشد ذلك تبادر العبيد يوقعون به فقالت زبيدة : كفّوا عنه فلم يرد إلّا خيرًا ، ومن أراد خيرًا فأخطأ خير ممّن أراد شرًّا فأصاب . إنّه سمع الناس يقولون : قفاك أحسن من وجه غيرك ، ويسارك أندى من يمين سواك . فقدّر أن هذا مثل ذلك ، أعطوه ما أمّل ، وعرّفوه ما جهل ، ومنه : مدح شاعر أميرا فقال

أنت همّه ابن سمه وسع ابن وسعه

[illegible] : من أين عرفته ؟ قال . فاحرمه قال : أسوأ من شعرك ، [illegible] أبيت

[illegible] من شعرك :

قال دخل خالدُ بن عبد الله العنبرىّ على عمر بن عبد العزيز لمّا ولى الخلافة فقال : يا أمير المؤمنين من تكن الخلافة قد زانته فأنت قد زيّنتها، ومن يكن شرّفته فقد شرّفتها، وأنت كما قال الشاعر

وإذا الدّر زان حسنَ وجوه . كان للدّر حسنُ وجهك زَيْنَا

فقال عمر بن عبد العزيز: أُعْطِىَ صاحبكم مقُولا، ولم يُعْطَ معقولا . ولمّا دخل عبد الله المأمون بغدادَ تلقّاه وجوه أهلها فقال له رجل منهم : يا أمير المؤمنين! بارك الله لنا فى مَقْدمك، وزادك فى نعمتك، وشكرك على رعيّتك. تقدّمتَ من قبلك، وأتعبت من بعدك، وآيَسْتَ أن نُعاين مثلك، أمّا فيمن مضى فلا نعرفه، وأمّا فيمن بقى فلا نرجوه، فنحن جميعا ندعو لك، ونُثنى عليك . خَصِبَ لنا جنابك، وعذُب شرابك، وحَسُنتْ نظرتك، وكَرُمتْ مقدرتك . جبرتَ الفقيرَ، وفككتَ الأسيرَ، فأنت يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر

مازلت فى بذل النوال وإطلاق لعانٍ بجرمه عَلِقِ
حتى تمنّى البُرءاءُ أنّهم عندك أسرى فى القِدّ والحَلَقِ

وقال رجل للحسن بن سهل : لقد صرت لا أستكثر كثيرك، وإن قلت أكثر من كثير غيرك . وقال الرشيد لبعض الشعراء : هل أحدثت فينا شيئا؟ قال : يا أمير المؤمنين! المديح كلّه دون قدرك، والشعر فيك فوق قدرى . ولكنّى أستحسن قول العتّابى

ماذا عسى مادح يثنى عليك وقد ناداك فى الوحى تقديس وتطهير
فتّ الممادح إلا أنّ ألسننا مستنطقات بما تخفى الضمائير

وقال رجل فى خالد بن صفوان : قريع المنطق، جزل الألفاظ، عربىّ اللسان، قليل الحركات، حسن الإشارات، حلو الشمائل، كثير الطلاوة، صموتا قؤولا، يهنأ الجرب، ويداوى الدبر، ويفت المحزّ، ويطبق المِفْصل، لم يكن بالزَّمر فى مروءته، ولا بالهذِر فى منطقه، متبوع غير تابع، كأنّه علَم فى رأسه نار .

وقيل لبعض الخلفاء: إن شَبيب بن شَيبة يستعمل الكلام ويستعدّ به، فلو أمرتَه أن يصعد المنبر فُجَاءَة لافتضح . قال : فأمر من أخذ بيده فصعِد المنبَر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبىّ صلى الله عليه وسلّم ثم قال : إن لأمير المؤمنين أشباها أربعة، منها : الأسد الخادر، والبحر الزاخر، والقمر الباهر، والربيع الناضر . فأما الأسد الخادر، فأشبه منه صولته ومضاءه . وأما البحر الزاخر، فأشبه منه جُوده وعطاءه . وأما القمر الباهر، فأشبه منه نوره وضياءه . وأما الربيع الناضر، فأشبه منه حسنه وبهاءه . ثم نزل .

وقيل دخل رجل على المنصور فقال له تكلّم بحاجتك ، فقال : يبقيك الله تعالى يا أمير المؤمنين ! قال : تكلّم بحاجتك ، فإنك لا تقدر على مثل هـذا المقام فى كلّ حين . قال : والله يا أمير المؤمنين ما أستقصر أجلك ، ولا أخاف بخلَك ، ولا أغتنم مالك ، وإن عطاءك لشرف ، وإن سؤالك لزين ، وما بامرئٍ بذَلَ إليك وجهه نقص ولا شَين . فأحسن جائزته وأكرمه .

وقال [illegible] ما رأيت وجها أسمح ، ولا حِلما أرجح ، ولا حجّة أنجح ، ولا شعرا [illegible] ، ولا كفّا [illegible] ، ولا غرّة أجمل ، ولا قضية أكمل ،

ولا خُلُقًا أصفى، ولا وعدا أوفى، ولا ثوبًا أطهر، ولا سَمْتًا أوفر، ولا أصلا أطيب، ولا رأيا أصوب، ولا لفظًا أعذب، ولا عِرْضا أنقى، ولا بناء أبقى، مما خصّ الله به ثالث القمرين، وسراج الخافقين، وعماد الثقلين المُعْتَصِم بالله .

وقال بعض الكتّاب : إنّ من النعمة على المُثني عليك أن لا يخاف الإفراط ، ولا يأمن التقصير ، ولا يحذر أن يلحقه نقيصة الكذب ، ولا ينتهى به المدح فى غاية ، إلا وجد فى فضلك عَونا على تجوزها . ومن سعدة جَدّك أنّ المدعى لك لا يعدم كثرةَ المشايعين له ، والمؤمّنين معه .

وقال آخر : إنى فيما تعاطَى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر الزاهر الذى لا يخفى على كلّ ناظر ، وأيقنت أنى حيث انتهى بى القول غير عاجز مقصرٌ عن الغاية فصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ، ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك .

وقال أبو عبد الله محمد بن الخياط من رقعة طويلة فى المعتضد فى أولها : حجب الله عن حاجب المعتضد أعين الحادثات ، وقبض دونه أيدى الحادثات ، فإنه ممن كان أنور من الشمس ضياء ، وأكمل من البدر بهاء ، وأندى من الغيث كفّا ، وأحيى من الغيث ، وأسخى من البحر ، وأمضى من النصل لسانا ، وأحمد المشهور يجرى على سَنَنه ، وأثبت ... وكانت ... موقوفة ، و ... مصروفة ، قصرت الأوهام عن كنه فضله ، وعجزت الألفاظ عن وصف مثله ، غير أنّ ... لابدّ من نشرها ، ومكارمه لا عذر فى ترك شكرها .

فهذه نبذة كافية مما ورد فى المنثور فلنذكر ما ورد من المنظوم فى ذلك .

قال أبو هلال العسكرى : سمعتُ أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد يقول : امدح بيت قالته العرب قول النابغة الذبيانى يمدح النّعمان بن المنذر

ألم تر أن الله أعطاك سُورة؟ * ترى كلّ ملْك دونها يتذبذَب
بأنك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبدُ منهنّ كوكبُ

وهو مأخوذ من قول بعض شعراء كِندةَ مدح عمرو بن هند

تكاد تميد الأرض بالناس أن رأو * لعمرو بن هند غضبةً وهو عاتبُ
هو الشمس وافت يوم سعدٍ فأفضلتْ * على كلّ ضوء والملوكُ كواكبُ

وقول نُصَيب

هو البدر والناس الكواكبُ حوله * وهل يشبه البدرَ المضيءَ كواكبُ

وقالوا : أبدع بيت قيل فى المديح قول النابغة

فإنك كالليـل الذى هو مدركِى * وإن خِلْتُ أن المنتأى عنك واسعُ

وقوله : "حلاق مجدث" — البيت وقد تقدمت — وقد تداول الناس قول النابغة

فإنك كالليل الذى هو مُدركى .

قال الفرزدق

فلو حملتنى الريح ثم طلبتنى * لكنتُ كشىءٍ أدركته مقادرُهْ

وقول النابغة أبلغ ، لأنه ليس أعمّ من الريح ، والريح يُمتنع منها بأشياء ، والليل لا يمتنع منه بشىء ، وأخذه سلم الخاسر قول الفرزدق فقال

فأنت كالدهر مبثوثاً حبائله * والدهر لا ملجأ منه ولا هربُ
ولو ملكتَ عِنانَ الريح أصرفه * فى كلّ ناحيةٍ ما فاتك الطلبُ

وقالوا : أجود شيء قيل فى الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدّمين والمحدَثين قول أبى العتاهية يمدح الرشيد بن المهدىّ وولده

بنو المصطفى ! هارونَ حولَ سريره * فخيرُ قيامٍ حولَه وقعودِ
تُقلِّب ألحاظَ المهابةِ بينهم * عيونُ ظباءٍ فى قلوبِ أُسودِ

وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول أبى الطَّمَحان القَينىّ

أضاءت لهم أحسابهم ووجوهُهم ... دجى الليل حتى نظَّم الجَزْعَ ثاقبُهْ
نجومُ سماءٍ كلّما انقضّ كوكبٌ ... بدا كوكبٌ تأوى إليه كواكبُهْ
وما زال منهم حيث كان مسوَّدٌ ... تسير المنايا حيث سارت كتائبُهْ

وهذه الأبيات من قصيدة مدح بها بُجَيرَ بنَ أَوسِ بنِ حارثةَ بنِ لأمٍ الطائى .
١ وكان أسيرا فى يده، فلما مدحه بها أطلقه بعد أن جزّ ناصيته ، وأوّل القصيدة

إذا قيل : أىّ الناس خيرُ قبيلةً ... وأصبرُ يوماً لا توارى كواكبُهْ
فإنّ بنى لأمِ بنِ عمرٍو أرومةٌ ... علت فوق صعبٍ لا تُنالُ مراتبُهْ!

أضاءت لهم أحسابهم ... البيت .

ومثله قول ابن أبى السِّمْط

١ فتى لا يبالى المدلجون بنوره ... إلى بابه ألّا تضىء الكواكب
له حاجبٌ من كلّ أمرٍ يَشينه ... وليس له عن طالب العُرف حاجب

ومثله قول حصينة

نمشى على ضوء أحسابٍ أضأن لنا ... كما أضاءت نجوم الليل للسارى

ومثله قول الآخر

٢ وجوهٌ لو انّ المدلجين اعتشوا بها ... صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلى

وقال عيسى بن أوس يمدح الجنيد بن عبد الرحمن

فتى مستنير الوجه طال بسؤددٍ تقاصَرَ عنـه الشاهقُ المتطاولُ
مدحتك بالحق الذى أنت أهله ومن مِدَحِ الأقوام حَقٌّ وباطلُ
يعيش الندى ما دمت حيًّا فإن تمت فليس لحىٍّ بعـد موتك طائلُ
وما لامرئٍ عنـدى مَخِيلةُ نعمةٍ سواك وقـد جادت علىَّ مَخائلُ

وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى

فتًى لو يُنادى الشمسَ ألقت قناعَها أو القمرَ السارى لألقَى المَقالدَا

وهذا من الغلو وهو مذموم عند بعضهم .

ومثاله فى الغلو قول طُرَيْح بن إسمعيل

لو قلتَ للسيل : دع طريقك والـ ـموج عليه كالهَضْبِ يعتلجُ
لارتدّ أو ساخ أو لكان له فى جانب الأرض عنك منعرَجُ

ومن الغلو قول أبى تمام فى المعتصم بالله

نمى فى تحقيق ضمت يد العلى وقامت قناة الدين واشتدّ كاهلُهْ
هو البحر من أىّ النواحى أتيته فلجَّته المعروفُ والجود ساحلُهْ
تعوَّد بسطَ الكفّ حتى لو انّه أراد انقباضًا لم تُطِعْه أناملُهْ
ولو لم يكن فى كفّه غير نفسه لجاد بها فليتّقِ اللهَ سائلُهْ

وقال العسكرىّ

فكيف يَبيت بحر من صدًى وكفُّك بحر لجّته جود ساحلُهْ

وقال أبو هلال العسكرى يرفعه الى الأصمعى قال : سمعت أعرابيا يقول : إنكم معاشر أهل الحضر لتخطئون المعنى ، إن أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول : كأنه الأسد ، ويصف المرأة بالحسن فيقول : كأنها الشمس . ولم لا تجعلون هذه الأشياء بهم أشبه؟ ثم قال : والله لأنشدنّك شعرا يكون لك إماما . ثم أنشدنى

اذا سألتَ الورى عن كلّ مكرُمةٍ ... لم تُلفِ نسبتها إلا الى [illegible]

فتى جوادٌ أعار النيلَ نائلَه ... فالنيل يشكر منه كثرةَ النيلِ

والموت يرهبُ أن يلقى منيّته ... فى شدّة عند لقيا خيله بخيلِ

لو عارض الشمسَ ألقى الشمسَ مظلمةً ... أو زاحم الصمّ ألجاها الى الميلِ

أو بارز النيلَ غطّته قوادمُه ... دون الخيول كمثل الميل فى النيلِ

أمضى من النجم إن نابته نائبة ... وعند أعدائه أجرى من [illegible]

ومثله قول الآخر

عمّ الغيث الندى حتى إذ ... ما حكاه عمّ الناس الأسد

[illegible] الغيث مقرّ [illegible] ... [illegible]

وقال [illegible] بن أبى [illegible] فى [illegible]

[illegible] ... [illegible]

كريم لا [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

ونحوه قوله

[illegible] ... [illegible] كلّ [illegible]

وقال ابن الرومي

قوم يحلّون من مجد ومن شرف ومن غناء محلّ البَيْض واليلَبِ
حلّوا محلّهما من كلّ جمجمة نفعا ودفعا وإطلالا على الرتبِ
قوم هم الرأس والحسّادهم ذنَبٌ ومن يمثّل بين الرأس والذنبِ

وقال أبو هلال العسكري

وبسر [illegible] رأس وأعلى جسدٌ * ونجد وجهٌ وأنت السمع والبصرُ
ولولا [illegible] منقبةٌ نسمو بها ولا للدهر مفتخرُ

وقال علي بن جبلة

ولا أبو دلف [illegible] [illegible] بآمالِ
[illegible] من عدل [illegible] [illegible] والحالِ
وقد [illegible] وصرف الدهر من حال الى حالِ
[illegible] وميت الأرض عن خسف وزلزلِ
[illegible] [illegible] قصيت [illegible] وآجال
[illegible] وتنسى [illegible] وجه [illegible]

وقال [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] وليس هذا

[illegible] محمد [illegible]

[illegible] [illegible] من [illegible]
[illegible] عقبى [illegible]

ومثله قول أبى تمّام

أسائلَ نَصرٍ لا تَسَلْه فإنّه * أحنّ الى الإرفاد منك فى نُرّفد

وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول الحُطَيئة

متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجِدْ خيرَ نار عندها خيرُ موقد

وقال القاسم بن حنبل

من البِيض الوجوهِ بنى سِنانٍ * لو انّك تستضىء بهم أضاءوا
لهم شمس النهار اذا استقلّتْ * ونورٌ لا يغيّبه العَماءُ
هم حلُّوا من الشرف المعلّى * ومن حسب العشيرة حيث شاءوا
فلو أنّ السماء دنت لمجدٍ * ومكرمةٍ دنتْ لهم السماءُ

وقالوا أيضا : أمدح بيتٍ قيل قول الأوّل أيضا

قومٌ سِنانٌ أبوهم حين تنسبهم * طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يَقعُدُ فوق الشمس من كرمٍ * قومٌ بأوّلهم أو مجدِهم قَعَدوا
مُحسَّدون على ما كان من نِعَمٍ * لا ينزع الله عنهم ما له حسدوا

وقالوا : أمدح بيتٍ قاله المحدَثون قول مروان بن أبى حفصة فى معن بن زائدة

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنّهم * أسودٌ لها فى غيل خفّان أشبُلُ
هم يمنعون الجارَ حتى كأنّما * لجارهم بين السِّماكين منزل
بهاليلُ فى الإسلام سادوا ولم يكن * كأوّلهم فى الجاهليّة أوّلُ
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا * أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

وقال العسكريّ: وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر وقال: لو استعمل الإنصاف لكان هذا أحسن مدح قاله متقدّم ومتأخّر وهو

إذا أبو أحمـــدٍ جادت لنا يده لم يُحمَدِ الأجودان: البحرُ والمطرُ
وإن أضاءت لنا أنوار غرّتِه تضاءل النيّران: الشمسُ والقمر
وإن مضى رأيه أو حدّ عزمتَه تأخّر الماضيان: السيفُ والقدَرُ
من لم يكن حَذِرًا من حدّ صولته لم يدرِ ما المزعجان: الخوفُ والحذَرُ
حلوٌ إذا أنت لم تبعث مرارتَه فإن أمرّ فحلوٌ عنــده الصَّـــبِرُ
سهل الخـلائق إلا أنه خشِنٌ لَيْنُ المهزّة إلا أنه حجــر
لا جنّةٌ ذَكَرٍ في مثل صولتــــه يوصل يوما ولا الصَّمصامةُ الذَّكَرُ
قد رحتُ ضمنتَ [illegible] وعَمرو * والأمر [illegible] ليســه الرأيُ والنظر
[illegible] عينٌ لا رتيبَ به قد جود كلّ جوادٍ عنــــده خبر

وقال: ومن المديح نفيس مطبوع قول عليّ بن محمد الأفوه

أولو [illegible] مجدٍ و[illegible] في قبلٍ [illegible] الناس والجودْ
[illegible] لا صيد صناديدُ
محسودون [illegible] من مرّةٍ يصبح وهو محسودُ

وقال: [illegible] قول [illegible] في [illegible]

[illegible] من [illegible] ومختصرِهْ
[illegible] على [illegible]

[illegible]

[illegible] من وطره

جاء منها فى مدحه

يا دواء الأرض إن فسدتْ ... ومُجيرَ اليسر من عُسُرِهْ
كلّ من فى الأرض من عَرَبٍ ... بين باديه الى حَضَرِهْ
مستعيرٌ منه مكرمةً ... يكتسيها يومَ مفتخرِهْ
إنما الدنيا أبو دلف ... ...

قال العسكرى : ومن المديح البارع قول بشار

ألا أيها الطالب المبتغى ... [illegible]
سمعت بمكرمة ابن العلاء ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] أمور ... [illegible]
فتى لا يبيت على دمنة ... ولا يشرب [illegible]
[illegible] ... [illegible]

[illegible]

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

وأضربُهم بالسيف من دون جاره * وأطعنُهم من دونه بسنانِ

كأنّ العطايا والمنايا بكفه سحابانِ مقرونانِ مؤتلفانِ

ومن المديح البارع قول أبي تمّام

رأيت العيّاش خلائقَ لم تكن لتكمُلَ إلّا في اللُّباب المهذّبِ

له كرمٌ لو كان في الماء لم يَغِضْ وفي البرق ما شام امرؤٌ برقَ خُلّبِ

أخو عزماتٍ بذلُه بذلُ محسنٍ إلينا ولكن عذره عذر مذنبِ

يهولُك أن تلقاه في صدر محفلٍ وفي نحرِ أعداءٍ وفي قلب موكبِ

وما ضيقُ أقطارِ البلاد أضافني إليك ولكن مذهبي فيك مذهبي

وهذي بنات المدح تجري ديونها عليك وهذا مركب الحمد فاركبِ

وقد أحسن التنوخيّ في قوله

وفتيةٍ من جِنّيَّ خيرِ فتًى بيضِ العطايا حين يَسودُّ الأمَلْ

شموسِ مجـــدٍ في سموات علًى وأُسْدِ موتٍ بين غاباتِ أَسَـلْ

وقالت الخنساء في أخيها صخر

طويل النجاد رفيع العماد ساد عشيرتَه أمردا

إذا القوم مدّوا بأيديهم إلى المجد مدّ إليه يدا

فنال الذي فوق أيديهم من المجد ثم مضى مصعدا

يكلّفه القوم ما نابهم وإن كان أصغرهم مولدا

ترى الحمد يهوي إلى بيته يرى أفضل الكسب أن يُحمَدا

وقال آخر

ومُصْعدٍ هضباتِ المجدِ يطلعها | كأنه لسكون الجأش منحدرُ
مازال يسبق حتى قال حاسدُه | له طريق إلى العَلياء مختصَرُ

وقال إبراهيم بن العبّاس

تلج السنون بيوتهم وترى لهم | عن بيت جارهم ازورار منكب
وتراهم بسيوفهم وشفارهم | مستشرفين لراغب أو راهب
حامين أو قارين حيث لقيتهم | نهبَ العفاة ونهبة لمرعب

وقال أيضا

إذا السَّنةُ الشهباء مدّت سماءها | مددت سماء دونها فتجلّت
وعدت بك الريح العقيم لدى القرى | لِقحاً فدرّت عن ندك وضنّت

وقال ابن الرومي

كأن موقده في [illegible] | [illegible]
فلو كان عيش [illegible] | [illegible]
ولو كان [illegible] على قدره | [illegible]

وقال أبو الحسن بن [illegible]

ذكر [illegible]

[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]

ينال بالظنّ ما كان اليقين به … والشاهدان عليه العين والأثرُ

كأنّه وزمام الدهر في يده … يدري عواقبَ ما يأتي وما يَذَرُ

وقال ذو الرمّة

يطيب تُرب الأرض إن نزلو بهِ … ويختال أن تعلو عليها المنابرُ

وما زلت تسمو للمعالي وتجتني … جَنى المجد مذ شُدّتْ عليك المآزرُ

إلى أن بلغتَ الأربعين فأُلقيَت * إليك جماهير الأمور الأكابرُ

فأحكمتها لا أنت في الحكم عاجز … ولا أنت فيها عن هُدى الحقّ جائرُ

وقال الشريف الرضيّ

يا مُخرس الدهر عن مقالته … كلّ زمان عليك متّهمُ

شخصُك في وجه كلّ داجية … ضحًى وفي كلّ مَجْهَلٍ عَلَمُ

وقال أبو الحسن السلامي

إذا زرتَه لم تلق من دون بابه … حجاباً ولم تدخل عليه بشافعِ

[illegible] بحر [illegible] وِرْدُه … لكلّ أناس فهو سهل الشرائعِ

[illegible] جنبه [illegible] … تهلّلُ أبكار الغيوث الهوامعِ

وقال محمد بن حسين الآمدي

[illegible] … من الناس أسمو منه فوق العرائبِ

[illegible] … [illegible] قلوب مواكبِ

[illegible] … كنت دون مَرْمى خطوه لمتقاربِ

[illegible] … [illegible] فعله [illegible]

وقال الأصمعى : كنتُ بالبادية فرأيتُ امرأةً على قبر تبكى وتقول

فمَنْ للسؤال ومن للنوال * ومن للقال ومن للخُطبْ؟
ومن للحماة ومن للكماة اذا ما الكماة جثوا للرُّكبْ ؟
اذا قيل: مات أبو مالك فتى المكرمات قريع العربْ
[فقد مات عزّ بنى آدم وقد ظهر النّكد بعد الطرب](١)

قال : فملتُ إليها، وسألتُها عنه، فقالت : فديتُك! هذا أبو مالك الحجّام، ختن أبى منصور الحائك، فما ظننتُ إلا أنه من سادات العرب .

وقال العماد الأصفهانى:

حبيّون يخفون إحسانهم ويعتذرون كأن قد اساءوا
اذ أظلم الدهر أعدوا عليه وإن أظلم الخطبُ يوماً أضاءوا
بمثلكُمُ قد أقرّ الرجاء فمثلكمُ لم تلده النساءُ
وللناس من حسن أيامكم بدولتكم كلّ يوم هناءُ

وقال أيضاً

فلأطوين عن أغر محجّل عرض الفلاة ب أغرّ محجّب
ليث اوغى غوث الورى غيث الندى بدر ... ... وصدر الموكب
واذ استوى فى دسته ... ... كل منتوج ومعصب
وثنيت ركنه ... ...
... ... فى صلب وحسوده فى صلب

(١) ... ...

يحبــوك معتذرا اليك فيــالَه * من محسن تعروه خجلة مُذنبِ
يُزهى بأصــلٍ فى العَلاء مُنجَّبٍ * شرفا وفرعٍ بالكرام مطنَّبِ

وقال أحمد بن محمد النامى

له سُورة فى البشر تُقرأُ فى العلا * وتثبُتُ فى صُحْفِ العطاءِ وتُكتَبُ
اذا ما علىٌّ أمطرتك سمــاؤه * رأيتَ العــلا أنواؤها تتحلّبُ
وأزهر يَبيَضّ الندى منه فى الرضا * وتحمرُّ أطرافُ القنا حين يغضبُ
أميرٌ لمدى ما للندى عنك مَذهبٌ * ولا عنك يوما للرغائب مَرغَبُ

وقال أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكى

ســـيدٌ شدت علاه له * فى العــلا آباؤه النجبُ
وله بيتٌ يُمــدّ له * فوق مجرى الأنجمِ الطُّنُبُ
حســبه بمصطفى شرفاً * وعلىٌّ حين ينتســبُ
رتبــةٌ فى عــز شامخةٌ * قصرتْ عن مثلها الرتبُ

وقال ابن نباتة السعدى

ترى الشمس [illegible] وكوكبَ إخوةٍ * وينظر من بدر السماءِ الى تِربِ
[illegible] عن [illegible] حين [illegible] * وأصبح من بين الورى كلّهم حسبي
[illegible] معروف من [illegible] كفّه * وهل تطلب الأمطار إلا من السحب؟

وقال أبو حامد أحمد الأنطاكى

[illegible] * [illegible] بمجد [illegible] السموات
[illegible] حظوة برأى [illegible] * [illegible] الرأى من أهل البصيرات
[illegible] * أو وقف فى صدور السمهريات

وقال أبو طالب المأمونيّ

قد وجدنا خُطا الكلامِ فِساحاً * فجعلنا النسيبَ فيك آمتداحا
وأفضنا ما فى الصدور ففاض الـ * ـمدحُ قبلَ النسيب فيك آنفساحا
وعمدنا الى علاك فصغنا * لصدور القريض منها وشاحا
وصدعنا فى أوجه الشِّعرِ من بِيـ * ـضِ مَساعيكَ بالندى أوضاحا
كم كسيرٍ جبرتَه وفقيرٍ * مستميحٍ رددتَه مُستماحا
وأمانٍ خُرسٍ بسطتَ لها فى الـ * ـقول حتى أعدتهنّ فِصاحا
وبلادٍ جوامحٍ رُضتَها بالـ * ـعزم حتى أنسيتهنّ الجماحا
شهَرَتْ منك آلُ سامانَ عضباً * يُنجح السعىَ غربُه إنجاحا
لا يذوق الإغفاء إلا رجاءً * أن يرى طيف مستميحٍ رواحا

وقال أحمد بن محمد السامى

أميرَ العلا إن العوالى كواسبٌ * علاءَك فى الدنيا وفى جنّة الخلد
يمرّ عليك الحولُ سيفُك فى الطُّلى * وطرفُك ما بين الشكيمة واللِّبد
ويمضى عليك الدهرُ فعلُك للعلا * وقولُك للتقوى وكفّك للرِّفد

وقال أيضا

فتى قسم الأيام بين سيوفه * وبين ضيوفٍ من مكارمه وشد
فسوّد يوماً بالعجاج وبالردى * وبيّض يوماً بالفضائل والحمد

وقال الصاحب بن عبّاد

أيها الأمير خطو سريع * ورفيع مجد ورب رفد

فهو إن جاد ذمّ حاتم طيءٍ * وهو إن قال فلّ قسّ إيادِ
واذا ما ربا فأين زيادٌ * من علاه وأين آل زيادِ

وقال أبو طالب المأمونى من قصيدة

فـتى مُلئت بردتاه عُـلًا * ونُبـلا وفضلًا ومجـدًا وخيرا
اذا ضمّـه الدستُ ألفيتَـه * سحابًا مَطـيرًا وبدرًا مُنـيرا
وإن أبرزته وغى خلتَـه حُساما بَتورا وليثا هَصـورا
وطورا مُعيـدا وطورا مُبيـدا وطورا مجـيرا وطورا أمـيرا
ترى فى ذراه لسانَ المنى طويلا وباعَ الليالى قصـيرا
تضمّ لأسرّة منـه ذُكـاءً وتحمل منـه المذاكى ثبـيرا

وقال أبو الطيّب المتنبى

يمشى الكرام على آثار غيرهمُ وأنت تخلُقُ ما تأتى وتبتـدعُ
من كان فوق محلّ الشمس موضعُه فليس يرفعـه شىء ولا يضـع

وقال أبو المعالى محمد بن مسعود الأصفهانى شاعر الخريدة

قد حلّ فى مدرج العلياء مرتبةً مطامحُ الشهبِ عن غاياتها تقِفُ
تعزى بوصف معانيه ذوو شعر لكنه والمعانى فوق ما وصفوا
إن صدقوه فعن وهمٍ معتقدٍ أو أنكروا فضله فالمجد معترِف

وقال السلامى شاعر اليتيمة

يزور عنك لعاقى وصارمك الـ ـعاصى فتحويهما أيدٍ وأعناقُ
فى كلّ يوم لنا منك غنًى وثروةٌ ونبت المال إملاقُ
كم خضتَ من حلقٍ ... المنون بهـا حاشاك ... دقُ

وقال المتنبى

أنت الجوادُ بلا منّ ولا كدرٍ * ولا مطالٍ ولا وعدٍ ولا مَللِ

وقال أبو الفرج الببّغاء

لاغيثُ نعماه فى الورى خلّب الــــبرق ولا وِردُ جوده وشَلُ
جاد الى أن لم يُبقِ نائلُه ما لًا ولم يبــقَ للورى أملُ

وقال محمد بن الحسن الحاتمىّ شاعر اليتيمة

ومَن عوّدته المكرماتُ شمائلا فليس له عنهـا ولو شاء ناقـلُ
وإن راسل الأعداء فالجود رُسْلُه اليهـم وأطراف العـوالى الرسائلُ
عضُمتَ، فهذا الدهرُ دونك همةً، وجُدتَ فهذا القَطرُ عندكْ بخلُ

وقال مؤيّد الدين الطغرائى

لو دبَّ ذرٌّ فى كعوب قنًا ما مسّه [illegible] ولا [illegible]
أو كان ضوءُ الغزالة لم يَحجبْ ضياءَ جبينه [illegible]
أو كان [illegible] فى [illegible] [illegible]
أنت الذى لولا علاه عفت طرق الهدى و[illegible]
فى كلّ شَعبٍ من رويّته شُعَبٌ ومن [illegible] شُعَلُ
يرتدّ عنه [illegible] حسده فكأنه [illegible]
وجه كيوم الصحو مبتسم ويد كيوم [illegible]
[illegible]
[illegible]

وقال ابن الرومى

آراؤكم ووجوهكم وسـيـوفكم ⋆ فى الحادثات ــ اذا دجونَ ــ نجومُ
فيها مَعالم للهـدى ومَصابحٌ ⋆ تجلو الدجى والأخرياتُ رُجومُ

وقال أبو الطيّب المتنبّى

قومٌ بلوغُ الغلام عندهمُ ⋆ طعنُ نحورِ الكماةِ لا الحُلُمُ
كأنما يولَد النـدى معهم ⋆ لا صِغَرٌ عاذرٌ ولا هَرَمُ
اذا تولَّوا عداوةً كشفوا وإن تولَّوا صنيعة كتموا
تظن من كثرة اعتذارهم أنهـمُ أنعموا وما علموا
إن برقوا فالحتوف حاضرة ⋆ أو نطقوا فالصواب والحِكَمُ
أو شهدوا الحربَ لاقحًا أخذوا من مُهَج الدارعين ما احتكموا
أو ركبوا الخيلَ غيرَ مُسرجةٍ فإن أفخاذَهم لها حُزُمُ
تُشرق أعراضُهم وأوجهُهم كأنها فى نفوسهم شِيَمُ
أُعيذكم من صروفِ دهركمُ فإنه فى الكرام متَّهَمُ

وقال أيضا

ودانت له الدنيا فأصبح جالسا وأيامُه فيما يريد قيامُ
وكلّ أناس يتبعون إمامهم وأنت لأهل المكرمات إمامُ

وقال أيضا

هم يحسنون الكرَّ فى حَومة الوغى وأحسنُ منه كرُّهم فى المكارمِ
ولولا احتقار الأسد شبّهتُها بهم ⋆ ولكنها معدودةٌ فى البهائمِ

وقال المشوّق الشامىّ شاعر اليتيمة

يروح الى كسب الثناء ويغتدى ... اذا كان همّ الناس كسبُ الدراهم
وإن جلس الأقوامُ عن واجب الندى ... وحقّ العطايا كان أوّلَ قائم
يزيد ابتهاجا كلّما زار قاصد ... كأنّ به شوقًا إلى كلّ قادم

وقال السلامىّ شاعرها

تُشبّه المُدّاح فى البأس والندى ... بمن لو رآه كان أصغر خادمِ
ففى جيشه خمسون ألفا كعنترٍ ... وأمضى وفى خزّانه ألف حاتم

وقال أبو طالب المأمونىّ من قصيدة

يُعمّم بالهندىّ حين يسلّه ... أسودَ نوعى بالعرب فوق العمائم
فلا ملكَ إلا ما أقمت عروشَه ... ولا غيث إلا ما أفضتَ نشائمِ
ولا تاجَ إلا ما تولّيتَ عقدَه ... على جبهة مَلْكٍ نمتك بقاسمِ
ورأيت نجومًا فى دجى الليل ثاقبٌ ... وعزمات عضبٍ فى ضحى كلّ ناجمِ

وقال المشوّق الشامىّ

ما زال يبنى كعبةً للعلى ... ويجعل الجود لها ركنا
حتى أتى الناس فطافوا بها ... وقبّلوا راحته يمنى

وقال المأمونىّ من قصيدة

همام يكون المشرفيّة سخطه ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

ذكر ما قيل فى الافتخار

قالوا : أفخر بيت قالته العرب قول جرير

إذا غضِبتْ عليك بنو تميم * حسبت الناس كلَّهمُ غضابا

قال : دخل رجل من بنى سعد على عبد الملك بن مروان فقال له : ممن الرجل؟

قال : من الذين قال لهم الشاعر

اذا غضبت عليك بنو تميم ، البيت .

قال : فمن أيّهم أنت ؟ قال : من الذين يقول فيهم القائل

يزيدُ بنُو سعدٍ على عَدَد الحصى * وأثقلُ من وزن الجبال حُلومُها

قال : فمن أيّهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر

بناتُ بنى عوفٍ طَهارَى نقية * وأوجهُهمْ عند المشاهِدِ غُرّانُ

قال : فمن أيّهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر

فلا وأبيكَ ما ظَلَمتْ قُرَيعٌ * بأن يبنوا المكارمَ حيث شاءوا

قال : فمن أيّهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر

قومٌ هم الأنف والأذناب غيرهمُ * ومن يسوّى بأنف الناقة الذنَبا

قال : اجلس ، لا جلست ، والله لقد خفت أن تفخر علىّ !

وقالوا : أفخر بيت قالته العرب قول الفرزدق

ترى الناس ما سِرنا يسيرون خلفنا * وإن نحن أومأنا الى الناس وَقَّفوا !

وقال عمرو بن كلثوم وهو أبلغ ما قاله جاهلىّ فى الافتخار

ونحن الحاكمون إذا أُطِعنا * ونحن العائفون اذا عُصِينا !

ونحن التاركون لمـا سَخِطنا * ونحن الآخذون لمـا رَضِينا !

وقال إبراهيم بن العبّاس

إما ترينى أمامَ القوم متّبعًا، * فقد أُرى من وراء الخيل أتّبعُ
يوماأُبيحُ فلا أرعى على نَشَب * وأستبيح فلا أُبقى ولا أدَعُ
لاتسألى القومَ عن حىٍّ صبّحتُهُمُ * ماذاصنعت؟وماذا أهلُه صنعوا؟

وقالوا : من أحسن ما مَدح به الرجلُ نفسَه قولُ أعشَى ربيعة

وما أنا فى نفسى ولا فى عشيرتى * بمهتَضَمٍ حقّى ولا قارعٍ سنّى
ولا مُسلِم مولاى عند جنايةٍ * ولا خائف مولاى من شرِّ ما أجنى
وأن فؤادى بين جنبىّ عالمٌ * بما أبصرتْ عينى وما سمعتْ أذنى
وفضّلنى فى الشّعر واللُّبِّ أننى * أقول على علمٍ وأعلمُ ما أعنى
فأصبحتُ إذ فضّلتُ مروانَ وآبنَه * على الناس قد فضّلتُ خيرَ أبٍ وآبنِ

وقال أبو هفان

لعمرى لئن بُيِّعت فى دارِ غُربةٍ * بنانَى إذ ضاقت علىّ المنا كلُّ
فما أنا إلا السيف يأكلُ جفنَه * له حليةٌ من نفسه وهو عاطِلُ

قال أبو هلال العسكرىّ : ولا أعرف فى الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام وهو

فقل لزهير إن شتمتَ سَراتنا * فلسنا بشتّامين للمُتشتِّمِ
ولكننا نأبَى الظّلامَ ونعتصى * بكلّ رقيق الشفرتين مصمِّمِ
وتجهل أيدينا ويحلُمُ رأيُنا * ونَشتمُ بالأفعال لا بالتّكلّمِ

ومن الافتخار قول السموءل بن عاديا من كلمته التى أوّلها

إذا المرء لم يَدنَسْ من اللؤم عِرضُه * فكلّ رداء يرتديه جميلُ
وإن هو لم يَحمِل على النفس ضَيمَها * فليس إلى حُسن الثناء سبيلُ

وقائلةٍ ما بالُ أُسرةِ عاديًا * تُنادِى وفيها قِلَّةٌ وخُمولُ
تُعيِّرنا أنّا قليلٌ عَديدُنا * فقلتُ لها إنّ الكرامَ قليلُ
وما قلّ من كانت بقاياه مثلَنا . شبابٌ تَسامَى للعلا وكُهولُ
وما ضرّنا أنّا قليلٌ وجارُنا . عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليلُ
وإنّا أناسٌ لا نرى القتلَ سُبّةً   اذا ما رأته عامرٌ وسَلُولُ
يُقرّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنا لنا   وتكرهُهُ آجالُهم فتطولُ
وما مات منّا سيدٌ حتفَ أنفه   ولا طُلّ منّا حيثُ كان قتيلُ
تَسيلُ على حدِّ الظُّباة نفوسُنا   وليست على غير الظُّباة تسيلُ
صفونا فلم نكدُر وأخلص سِرَّنا   إناثٌ أطابتْ حَمْلَنا وفحولُ
علونا الى خير الظهور وحطّنا   لوقت الى خير البطون نُزولُ
فنحن كماء المزنِ ما في نِصابنا   كَهامٌ ولا فينا يُعدّ بخيلُ
وننكرُ إنْ شئنا على الناس قولَهم . ولا يُنكرون القولَ حين نقولُ
اذا سيّدٌ منّا خلا قام سيّدٌ   قؤولٌ لما قال الكرامُ فعولُ
وما أُخمدت نارٌ لنا دون طارقٍ   ولا ذمّنا في النازلين نزيلُ
وأيّامُنا مشهورةٌ في عدوّنا   لها غُرَرٌ معلومةٌ وحُجولُ
وأسيافُنا في كلّ شرقٍ ومغربٍ   بها من قِراعِ الدارعين فُلُولُ
معوّدةٌ أن لا تُسَلَّ نِصالُها . فتُغمدَ حتى يُستباحَ قبيلُ
سلي إن جهلتِ الناسَ عنّا وعنهم   فليس سَواءٌ عالمٌ وجَهولُ
فإنّ بني الديّانِ قطبٌ لقومهم   تدورُ رحاهم حولهم وتجولُ

وقال أبو هلال العسكرىّ من قصيدة

وما ضاع مثلى حيث حلّت ركابه ... بلى حيث ضاع المجد مثلىَ ضائعُ
ومِثلىَ مخضوعٌ له غيرَ أنه ... اذا كان مجهول الفضائل خاضعُ
ومثلىَ متبوع على كل حالة ... فإنْ ينقلب وجه الزمان فتابعُ

وقال عبد الله بن المعتز

سألتكما بالله هل تعلمانى ... ولا تكتما شيئاً فعندكما خُبْرى
أرقع نسيرنَ تقرى لغاتها ... وأصغر يوم روع [illegible] الشعر
وأسأل نيّة لا يُحاذ بمثله ... فيفتحه بشرى ويختمه عذرى

ومن الفخر قول بعض الشعراء ويروى لحسان بن ثابت من قصيدة أوله

أتنسى ريحيث [illegible] ... [illegible]
قوى لطيف أن يصدّع حسى ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] شخص [illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

ذكر ما قيل فى الجود والكرم وأخبار الكرام

حقيقة الجود بذل المـال . قال الله عزّ وجلّ : (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) وقال تعالى : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله استخلص هـذا الدّين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاءُ وحسنُ الخُلُق ألا فزيّنوا دينكم بهما » . وقال صلى الله عليه وسلم : «تجاوزُوا عن ذنب السّخىّ فإن الله عزّ وجلّ آخذ بيده كلّما عثر وفاتح له كلّما افتقر» . وقال صلى الله عليه وسلم : «الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله عليكم . ألا إن السخاء شجرة فى الجنة أغصانها متدلية فى الأرض فمن تعلّق بغصن منها أدخله الجنة . ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان فى الجنة» . وقال علىّ بن عبد الله بن عبّاس : سادةُ الناس فى الدنيا الأسخياء . وقال بعض الحكماء : الجواد من جاد بمـاله وصان نفسه عن مالِ غيره . وقيل لعمرو بن عبيد : ما الكرم ؟ فقال : أن تكون بمـالك متبرّعا ، وعن مال غيرك متورّعا . وقالوا : مراتب السخاء ثلاثة : سخاء وجودٌ وإيثـارٌ . فالسخاءُ إعطاء الأقل وإمساك الأكثر ، والجود إعطاء الأكثر وإمساك الأقل ، والإيثارُ إعطاء الكل من غير إمساك شىء ، وهو أشرف درجات الكرم ، وبه استحقّوا ثنـاء الله تعالى عليهم فى قوله (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) . ومن كلام [illegible] بن جعفر [illegible] : لا يتم المعروف إلا بثلاثة : تعجيله ، وتصغيره ، وستره . والجود زكاة السعادة ، والإيثار على النفس موجب لاسم الكرم . وقيل : [illegible] . قال بعض الشعراء

[illegible] فهو محمودُ

وقال عليّ بن الحسين: الكريم يبتهج بفضله، واللئيم يفتخر بماله.

وقال الحسين بن علي رضى الله تعالى عنهما: أيها الناس من جاد ساد، ومن بخل رذل، وأن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه. وقيل ليزيد بن معاوية: ما الجود؟ قال: أن تعطى المال من لا تعرف، فإنه لا يصير إليه حتى يتخطّى من تعرف.

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه: لو لم يكن فى الكرم إلا أنه صفة من صفات الله تعالى، تسمّى بها فهو الكريم عزّ وجلّ. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه". وقيل لعبد الله بن جعفر: إنك قد أسرفت فى بذل المال، قال: إن الله عز وجل قد عوّدنى عادة أن يتفضل علىّ، وعوّدته أن أتفضل على عباده، وأخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى. وقال المأمون لمحمد بن عبّاد المهلّبى: إنك متلاف، قال: منع الجود سوء ظنّ بالمعبود، قال الله تعالى: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ). وقال أكثم بن صيفىّ حكيم العرب: ذلّلوا أخلاقكم للمطالب، وقودوها إلى المحامد، وعلّموها المكارم، ولا تقيموها على خلق تذمّونه من غيركم، وصلوا من رغب إليكم، وتحلّوا بالجود يُكسبكم المحبة، ولا تعتقدوا البخل فتتعجلوا الفقر. وأنشد بعض الشعراء:

أمِنْ خوف فقر تعجّلته ... وأخّرت إنفاق ما تجمع

فصرتَ الفقير وأنت الغنىّ ... وما كنت تعدو الذى تصنع

وكان رجل من [illegible]

[illegible]

[illegible]

وكان سعيد بن العاصي يقول على المنبر : من رزقه الله رزقا حسنا ، فلينفق منه سرا وجهرا ، حتى يكون أسعد الناس به ، فإنما يترك ما يترك لأحد رجلين ، إما لمُصْلح ، فلا يقلّ عليه شيء ، وإما لمفسد ، فلا يبقَى له شيء . أخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال :

أسعد بمالك في الحياة فإنما ... يبقى خلافك مصلحٌ أو مفسدُ
فإذا جمعت لمفسد لم يُغنِه ... وأخو الصّلاح قليله يتزيّدُ

وقال أبو ذر رضي الله عنه : لك في مالك شريكان ، الحَدَثان ، والوارث ، فإن استطعتَ أن لا تكون أبخسَ الشركاء حظًّا فافعل . وقال بُزُرْجُمِهر الفارسيّ : إذا أقبلت عليك الدنيا ، فأنفق منها ، فإنها لا تفنى ، وإذا أدبرت عليك ، فأنفق منها ، فإنها لا تبقى ، أخذ الشاعر هذا المعنى فقال :

لا تبخلنّ بدُنْيَا وهي مقبلةٌ ... فليس ينقُصها التبذير والسَّرَفُ
وإن تولّت فأحرى أن تجودَ بها ... فالحمد منها إذا ما أدبرتْ خَلَفُ

وكان كسرى يقول : عليكم بأهل السخاء والشجاعة ، فإنهم أهل حسن ظنّ بالله ، ولو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضرّ بُخلهم ، ومذمّة الناس لهم ، وإطباق القلوب على بغضهم ، إلا سوءُ ظنّهم بربهم في الخلف ، لكان عظيما ؛ أخذه محمود الورّاق فقال :

من ظنّ بالله خيرا جاد مبتدئا ... والبخل من سوء ظنّ المرء بالله

وقيل لأبي عَقيل البليغ العراقي : كيف رأيت مروان بن الحَكَم عند طلب الحاجة إليه ؟ قال : رأيت رغبته في الإنعام ، فوق رغبته في الشكر ، وحاجته إلى قضاء الحاجة ، أشدّ من حاجة صاحبها .

وقال زياد : كفى بالبخيل عارا، أن اسمه لم يقع فى حمد قط .

وقال أسماء بن خارجة : ما أُحِبُّ أن أردّ أحدا عن حاجة طَلَبها. لأنه لا يخلو أن يكون كريما، فأصون له عِرْضَه، أو لئيما، فأصون عِرْضى منه .

وقال إبراهيم بن المهدى : قلت لرجل من أهل الكوفة من وجوه أهلها كان لا يجفّ بيده قلمه، ولا يستريح قلبُه، ولا تسكن حركتُه فى طلب حوائج الرجال، وإدخال المرافق على الضعفاء : أخبِرْنى عن الحالة التى خفّفَتْ عنك التعبَ، وهوّنت عليك النصبَ، فى القيام بحوائج الناس، ما هى؟ قال : قد والله سمعتُ [تغريد الطَّير بالأسحار، فى فروع الأشجار، وسمعتُ خَفْق أوتار العيدان] وترجيع أصوات القيان، فما طرِبْتُ من صوت قط طَرَبى من ثناء حسن، بلسان حسن، على رجل قد أحسن، ومن شُكْر حرّ لمنعم حرّ، ومن شفاعة محتسب، لطالب شاكر. قال إبراهيم : فقلت، لله أبوك! لقد حشيت كرما . وكان طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرىّ من أجود قريش فى زمانه، فقالت له امرأته : ما رأيت قوما ألأم من إخوتك، فقال لها : مه! ولِمَ قلت ذلك؟ فقالت : أراهم إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك، قال : هذا والله من كرمهم، يأتوننا فى حال القوّة بنا عليهم، ويتركوننا فى حال العجز عنهم .

وحكى أن رجلا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

فيقضى عن ذكر حاجته .

(١) [illegible]

ذكر من انتهى اليهم الجود فى الجاهلية
وذكر شىء من أخبارهم

والذى انتهى اليهم الجود فى الجاهلية حاتم بن عبد الله بن سعد الطائىّ، وهَرِم بن سنان المُرّىّ، وكعب بن مَامَة الإيادى؛ وضرب المثل بحاتم وكعب، والمشهور حاتم. وكعب هذا: هو الذى جاد بنفسه، وآثر رفيقه بالماء فى المفازة، ولم يشتهر له خبرٌ غير هذا. وأما حاتم فأخباره مشهورة

منها: أنه كان اذا اشتد البَرْد، أمر غلامه يسارا، فأوقد نارا فى يفاع من الأرض، لينظر اليها مَنْ ضلّ عن الطريق، وفى ذلك يقول

أوقِدْ فإن الليل ليلٌ قَرٌّ * والريحَ يا واقِدُ رِيحٌ صِرُّ
عسى يرى نارَك مَنْ يمرُّ * إن جلبتَ ضيفا فأنتَ حُرُّ

قالوا: ولم يكن حاتم يمسك غير سلاحه وفرسه، ثم جاد بفرسه فى سنة أزْمة.

قالت نوار امرأة حاتم: أصابتنا سنة اقشعرّت لها الأرض، واغبرّ أُفُق السماء، وضنّت المراضع عن أولادها، لا تبضّ بقطرة، وأيقنّا بالهلاك. فوالله إنّى لفى ليلة صِنَّبْرة، بعيدة ما بين الطرفين، إذ تضاغى صبيتنا جوعا، عبد الله، وعدىّ، وسفّانة؛ فقام حاتم الى الصبيين، وقمت الى الصبيّة، فوالله ما سكتوا إلا بعد هَدْأة من الليل، وأقبل يعللنى، فعرفت ما يريد، فتناومت، فلما تهوّرت النجوم، إذا بشىء قد رفع كسر البيت، فقلت: مَنْ هذا؟ فولّى، ثم عاد فى آخر الليل، فقلت: مَنْ هذا؟ فقالت: جارتك فلانة، أتيتُك من عند صبيةٍ يتعاوون عواء الذئاب، فما وجدتُ معوّلا إلا عليك يا أبا عدىّ، فقال: أعجليهم، فقد أشبعك الله وإياهم، فأقبلت المرأة تحمل اثنين،

ويمشي بجانبها أربع كأنها نعامة حولها رئالها ، فقاد الى فرسه، فوجأ لبّته بمُديته ، فخر، ثم كشط عن جلده، ودفع المدية الى المرأة، وقال : شأنك . فاجتمعنا على اللحم نشوي ، ونأكل ، ثم جعل يأتيهم بيتا بيتا ، فيقول : هبّوا عليكم بالنار . والتفع بثوبه ناحية ينظر الينا . لا والله إن ذاق منه مضغة وإنه لأحوج اليه منا . فأصبحنا وما فى الأرض إلا عظم أو حافر .

وقيل : كان مبدأ الأمر لحاتم فى الجود أنه لما ترعرع جعل يخرج طعامه فإن وجد من يأكله معه أكله، وإن لم يجد طرحه، فلما رأى أبوه أنه يهلك طعامه ، قال له : الحق بالإبل، فخرج إليها، فوهب له جارية، وفرسا وفلوها .

وقيل : بل هلك أبو حاتم وهو صغير، وهذه القصة كانت مع جده سعد بن الحشرج . فلما أتى حاتم الإبل، طفق يبتغي الناس، فلا يجدهم، ويأتي الطريق، فلا يجد عليه أحدا ، فبينا هو كذلك، إذ بصر بركب على الطريق، فأتاهم، فقالوا : يا فتى، هل من قِرى؟ فقال : تسألوني عن القِرى؟ وقد ترون الإبل! وكان الذي بصر بهم، عَبيد بن الأبرص، وبشر بن أبي خازم، والنابغة الذبياني، وكانوا يريدون النعمان، فنحر لهم ثلاثة من الإبل، فقال عبيد : إنما أردنا اللبن، وكانت تكفينا بكرة، إذ كنت لا بد متكلفا لنا شيئا . فقال حاتم : قد عرفت، ولكني رأيت وجوها مختلفة، وألوانا متفرقة، فظننت أن البلدان غير واحدة، فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه فقالوا فيه أشعارا امتدحوه بها ، وذكروا فضله، فقال حاتم : أردت أن أحسن إليكم فصار لكم الفضل عليّ، وأنا أعاهد الله أن أضرب عراقيب إبلي عن آخرها، أو تقوموا إليها فتقتسموها ففعلوا! فأصاب كل واحد منهم تسعة وتسعين بعيرا، ومضوا على سفرهم الى النعمان، وإن أبا حاتم سمع بما فعل، فأتاه فقال :

أين الإبل؟ فقال : يا أبت طوقتك بها طوق الحمامة مجدا وكَرما ، لا يزال الرجل يحمل بيت شعر أثنى به علينا عِوَضا من إبلك ، فلما سمع أبوه ذلك ، قال : أبإبلى فعلتَ ذلك؟ قال : نعم ، قال : والله لا أُساكنك أبدا ، فخرج أبوه بأهله ، وترك حاتما ، ومعه جاريته وفرسه وفِلْوه . قال : فبينما حاتم يوما نائم ، إذ انتبه ، وحوله نحو مائتى بعير تجول وتحْطِمُ بعضها بعضا ، فساقها إلى قومه . فقالوا : يا حاتم ، أبقِ على نفسك ، فقد رزقتَ مالا ، ولا تعودَنّ إلى ما كنت فيه من الإسراف . قال : فإنها نهب بينكم ، فانتُهِبت . ثم أقبل ركب من بنى أسد ومن قيس يريدون النعمان ، فلقوا حاتما ، فقالوا له : إنا تركنا قومنا يُثْنُون عليك خيرا ، وقد أرسلوا إليك برسالة ، قال : وما هى ؟ فأنشده الأسديّون شعرا لعبيد ، وأنشده القيسيّون شعرا للنابغة ، ثم قالوا : إنا لنستحيى أن نسألك شيئا وإن لنا لحاجة . قال : وما هى؟ قالوا : صاحب لنا قد أرجل . فقال حاتم : خذوا فرسى هذه ، فاحملوا عليها صاحبكم ، فأخذوها ، ورَبَطتِ الجاريةُ فِلْوه بثوبها . فأفلت فتبعته الجارية لتردّه ، فقال حاتم : ما لحقكم من شيء فهو لكم . فذهبوا بالفرس والفلو والجارية .

وأما هرِم بن سِنان ، فمن أخباره : أنه آلى على نفسه أنه لا يسلّم عليه زُهَير إلا أعطاه ، فقال من هَرِم ، وكان زهير يمر بالنادى وفيه هرِم فيقول : أَنعموا صباحا ما خلا هرما ، وخير القوم تركتُ . قالوا : وكان عبد الله بن جُدعان حين كَبُر أخذت بنو تيم على يده ، ومنعوه أن يعطى شيئا من ماله . فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه ، قال له : ادن منى ، فإذا دنا منه لطمه ، ثم قال : اذهب فاطلب بلطمتك أو ترضى . فترضيه بنو تيم من ماله ، وفيه يقول الشاعر :

والذى إن أشار نحوك لَطْما تبع اللطمَ نائلٌ وعطاءُ

ومن أخبار الكرام : ما حُكي أنّ خالد بن عبد الله القَسْرىّ أميرَ العراق، كان يكثر الجلوس ثم يدعو بالبِدَر ويقول: إنما هذه الأموال ودائع العرب لابدّ من تفرقتها، فقال ذلك مرّة، وقد وفد عليه أخوه أسد بن عبد الله من خُرسان، فقام، فقال : أيها الأمير، إن الودائع تُجمع لا تُفرق. فقال : ويحك! إنها ودائع المكارم، وأيدينا وكلاؤها، فإذا أتانا المُملِق فأغنيناه، والظمآن فأرويناه، فقد أدّينا فيها الأمانة. ومرّ يزيد بن المهلّب بأعرابية فى هروبه من سجن عمر بن عبد العزيز، وهو يريد البصرة، فقدّمت له عنزًا فقبلها، ثم قال لابنه معاوية: ما معك من النفقة؟ قال: ثمانمائة دينار، قال: ادفعها إليها! فقال له ابنه: إنك تريد الرجال، ولا تكون الرجال إلا بالمال، وهذه يرضيها اليسير، وهى بعدُ لا تعرفك. فقال: إن كانت ترضى باليسير فإنى لا أرضى إلا بالكثير، وإن كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفسى، ادفعها إليها، فدفعها إليها. ١

قال الأحنف : كثرت علىّ الديات بالبصرة، لما قُتل مسعود، فلم أجدها فى حاضرة تميم، فخرجت نحو يَبْرِينَ، فسألت: مَن المقصود هنا؟ فأرشدت إلى قُبّة، فإذا شيخ جالس بفِنائها، مؤتزر بشملة، محتَبٍ بحبل، فسلمت عليه، وانتسبت له، فقال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: تُوفّى. قال: فما فعل عمر بن الخطاب الذى كان يحفظ العرب ويحوطها؟ قلت: مات. قال: فأىّ خير فى حاضرتكم بعدهما؟ قال: فذكرت الديات التى لزمتنا للأزد وربيعة، قال: فقم. فإذا راعٍ قد أراح عليه ألف بعير، فقال: خذها، ثم أراح عليه آخر مثلها، فقال: خذها. قلت: لا أحتاج إليها، فانصرفت بالألف، [illegible] ما أدرى من هو إلى الساعة.

ويروى عن معن بن زائدة، قال: لما هربت من المنصور، خرجت من باب حرب، [illegible] ٢

جُبّةَ صوف غليظة، وركبت جملا، وخرجت عليه لأمضي الى البادية، قال : فتبعني أسودُ متقلد سيفا، حتى إذا غبت عن الحرس، قَبَض على خطام الجمل فأناخه، وقبض عليّ. فقلت : ما شأنك؟ فقال : أنت بغية أمير المؤمنين فقلت له : ومن أنا حتّى يطلبني أمير المؤمنين ؟ فقال مَعْن بن زائدة فقلت : يا هــذا ! اتق الله وأين أنا من معن ؟ فقال : دع هذا عنك. فأنا والله أعرف بك، فقلت له : فإن كانت القصة كما تقول، فهذا جوهر حملتُه معي ، بأضعاف ما بذله المنصور ، لمن جاءه بي فخذه ولا تَسْفك دَمي. فقال : هاته . فأخرجتُه اليه. فنظر إليه ساعة ، وقال : صدقتَ في قيمته. لست قابله حتى أسألك عن شيء. فإن صدقتني أطلقتك. فقلت : قل، فقال : إن الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني هل وهبتَ قطّ مالَك كلَّه ! قلت : لا. قال : فنصفه ! قلت : لا. قال : فثلثه ! قلت ، لا حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت : إني أظن قد فعلت هذا. فقال : ما ذاك بعظيم. أنا والله راجل، ورزقي على أبي جعفر عشرون درهما. وهذا الجوهر قيمته ألف دينار. وقد وهبته لك، ووهبتك لنفسك ، ولجودك المأثور بين الناس . ولتعلم أن في الدنيـا من هو أجود منك . ولا تعجبك نفسك . ولتحقّر بعد هــذا كلّ شيء تفعله ولا تتوقف عن مكرمة . ثم رمى بالعقد في حجري . وخلّى خطام الجمل وانصرف. فقلت : يا هذا ! قد والله فضحتني . ولَسَفْكُ دمي أهونُ عليّ مما فعلت . فخذ ما دفعته اليك، فإني عنه في غنًى . فضحك. ثم قال : أردت أن تكذّبني في مقامي هــذا . فوالله لا آخذه ، ولا آخذ لمعروف ثمنا أبدا . ومضى . فوالله لقد طلبته بعد أن أمنتُ . وبذلت لمن جاءني به ما شاء، فما عرفت له خبرا . وكأن الأرض ابتلعته . وكان سبب غضب المنصور على مَعْن بن زائدة : أنه خرج مع عمرو بن يزيد بن عمرو بن هُبَيْرَة وأبلى في حربه بلاء حسنا .

ويقال: إن شاعرا أتى وهب بن وهب، وكان جوادا، فمدحه فهَشّ وبَشّ له وثنى له الوِسادة وأضافه ورفده وحمله، فلما أراد الرجل الرحلة لم يخدمه أحد من غِلمان وهب، فأنكر الرجل ذلك مع جميل فعله، فعاتب بعضهم، فقال له الغلام: إنّا إنما نُعين النازل على الإقامة ولا نُعين الراحل على الفراق.

وكان الحارث بن هشام المخزومى فى وقعة اليرموك، وبها أصيب وأثبتته الجراح، فاستسقى ماء، فأُتِىَ به، فلما تناوله نظر إلى عِكْرِمة بن أبى جهل صريعا فى مثل حاله، فردّ الإناء على الساقى وقال: امض إلى عِكْرِمة بن أبى جهل، فمضى إليه، فأبى أن يشرب قبله، فرجع إلى الحارث، فوجده ميتا، فرجع إلى عِكْرِمة، فوجده قد مات، فلم يشرب واحد منهم.

وقد وصف الناس أهل الجود والكرم بمدائح، سنذكر ما استحسنّاه منها.

فمن ذلك ما حكى عن أبى العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب، قال: كنت ببغداد فى [?] ستة أشهر، فاستقبلنى بعض السُّؤّال ذات يوم، فقال: أتعلم شعرا؟ قلت: نعم، قال: فأنشدنى، فأنشدته

[illegible]

[illegible]

فصاح، ثم سكت ساعة، وقال: [illegible]

[illegible]

[illegible]

ثم رآنى يوما [illegible]، وقال: [illegible] قلت: نعم، قال: [illegible]

فأنشدته

أعار الجَـوْدَ نائلَه * إذا ما مالُهُ نَفِـدَا
وإنْ لَيْثًا شَكَا جُبنا . أعار فؤادَه الأسـدا

فضحك، وقال : ألا قال :

علَّم الجَوْدَ النـدى حتى إذا * ما حكاه علَّم البأسَ الأسدْ
فـله الجَوْدُ مقِرٌّ بالنـدى * وله الليثُ مقِرٌّ بالجَـلَدْ

وقال مسلم بن الوليد وهو مما يجوز إيراده فى الشجاعة والكرم

يجود بالنفس إن ضنّ الجوادُ بهـا والجود بالنفس أقصى غايةِ الجودِ

وأول من أتى بهذا المعنى علقمة بن عَبَدة حيث قال

تجود بنفس لا يجـاد بمثلها وأنت بها يوم اللقاء خَصيبُ

وهذا مثل قول يزيد بن أبى يزيد الشيبانى : من جاد بنفسه عند اللقاء، وبماله عند العطاء، فقد جاد بنفسيه كلتيهما . قالوا : وأجود ماقيل فى ذلك قول أبى العتاهية يمدح العباس بن محمد

لو قيـل للعباس يا ابنَ محمـد قل "لا" وأنت مخلّد ما قالَهَا
إن السماحةَ لم تزل معقولةً حتَّى حللتَ براحتيك عِقالَهَا
وإذا الملوكُ تسايرتْ فى بلدة كانوا كواكبَها وكنتَ هِلالَهَا

فلم يثبه العباس، فقال

هززتُك هِزَّة سيف حقٍّ فما إن صرت بك انثنيتُ
فهب لى مِنْحةً ذهبت ضيـاعا كذلك عشتُ فيها وانقضيتُ

فلم يلتفت العباس إلى ذلك ، وقال : والله لأجهدنّ فى حتفه ، قال : فلم
أبو العتاهية إسحاق بن العباس، وقال له إسحاق : أنشدنى شيئا من شعرك فأنشده

ألا أيها الطالبُ المستغيثُ * بمن لا يُفيدُ ولا يَرفِدُ
ألا تسألُ الله من فضله * فإن عطاياه لا تَنفَدُ
إذا جئتَ أفضلهم للسؤا * ل ردّ وأحشاؤه تُرعَدُ
كأنّك من خشيةٍ للسؤا * ل في عينه الحيّةُ الأسودُ
فصبرٌ من الله من لؤمهم * فإنّي أرى الناس قد أصلدوا
وإنّي أرى الناس قد أبرقوا * بلؤم اليمين وقد أرعدوا

ثم مضى ، فقيل لإسحاق : إن هذا الشعر فيه أبيات [illegible] فقال إسحاق : أولى له ، لم عرّض نفسه وأحوج ابن المهدي إلى العتاب في مثل هذا مع ملكه وقدرته "

وقد أورد أبو الفرج الأصفهاني خبر هذه الأبيات فقال : امتدح رجل من ربيعة العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بقصيدة لم يُسبق إليها حسنًا وهي طويلة يقول فيها

لو قيل للعباس : يا ابن محمّدٍ * قل "لا" وأنت مخلّد ما قالها
ما إن أعدّ من المكارم خصلةً * إلا وجدتك عمّها أو خالها
وإذا الملوك تسايرت في بلدة * كانوا كواكبها وكنت هلالها
إن المكارم لم تزل معقولةً * حتى حللت براحتيك عقالها

قال : فبعث إليه بدينارين ، وكان يقدّر فيه ألفين ، فلما نظر إلى الدينارين كاد أن يخرج عقله ، وقال للرسول : خذ هذين الدينارين لك على أن تردّ الرقعة من حيث لا يدري العباس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها وكتب في ظهرها

مدحتُك مِدْحة السيفِ المحلَّى * لتجْرِيَ فى الكرام كما جريتُ
فهبها مِدْحة ذهبت ضياعا * كذبتُ عليك فيها وآفتريتُ
فأنت المـــرء ليس له وَفَاءٌ * كأنى إذْ مدحتُك قد زَنَيتُ

٦٤ ثم دفعها إلى الرسول وقال : ضعها فى الموضع الذى أخذتَها منه ، ففعل ، فلما كان من الغد ، أخذها العباس فنظر فيها ، فلمــا قرأ الأبيات ، غضب ، وقام من وقته ، فركب إلى الرشيد ، وكان أثيرا عنده يجلّه ويقدّمه ، وكان قد همّ أن يخطب إليه ابنته ، فرأى الرشيد الكراهة فى وجهه ، فقال ما شأنك ؟ قال : هجانى ربيعة الرقّى ، فأحضره الرشيد ، وقال له : يا ماصّ كذا وكذا من أمه أتهجو عمّى ، وآثر خلق الله عندى ؟ لقد هممت أن أضرب عنقك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، والله لقد آمتدحته بقصيدة ما قال أحد مثلها من الشعراء فى أحد من الخلفاء ، ولقد بالغت فى الثناء ، وأكثرت الوصــف ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإحضارها فعل ، فلمــا سمع الرشيد ذلك ، سكن غضبه ، وأحب أن ينظر فى القصيدة ، فأمر العباس بإحضارها فتلكأ عليه ، فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين ، إلا أمرت بإحضارها ؟ فأُحضِرت ، فإذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها وآستجادها وأعجب بها ، وقال : والله ما قال أحد من الشعراء فى أحد من الخلفاء مثلها ، ولقد صــدق ربيعة فبرّ ، ثم قال للعباس : كم أثبته عليها ؟ فسكت العباس ، وتغيّر لونه ، وغُصّ بريقه ، فقال ربيعة : أثابنى عليها يا أمير المؤمنين دينارين ، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدة عليه ، فقال : بحياتى ورأسى كم أثابك ؟ فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابنى إلا بدينارين ، فغضب الرشيد غضبا شديدا ، ونظر فى وجه العباس ، وقال : سوءة لك ! أية حال قعدت بك عن إثابته ؟ أقلة مال ؟ فوالله لقد مولتك جهــدى ، أم

انقطاع المال عنك؟ فوالله ما انقطعت بك، أم أصلك؟ فهو الأصل الذى لا يدانيه شىء، أم نفسك؟ لا ذنب لى، بل نفسك والله فعلت بك ذلك، حتى فضحت أجدادك وفضحتنى، وفضحت نفسك. فنكس عباس رأسه ولم ينطق. فقال الرشيد: يا غلام، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم، وخلعة، واحمله على بغلة، ثم قال له: بحقى لا تذكره فى شىء من شعرك تعريضا ولا تصريحا. وفتر الرشيد عما كان قد هم به من أن يتزوج إليه وظهر له منه بعد ذلك جفاء وطرحه.

وقال محمد بن هانئ:

لو هب [illegible] وطاعن [illegible]

فى عطفيه شتّى غير واحدة   كما تدفع موج بحر يصطفق

وقال الرضى الموسوى:

[illegible]   من [illegible] بالبشر

لا [illegible] ولا [illegible]

وقال أيضا:

[illegible]   [illegible]

وقال [illegible]

[illegible]   [illegible]

[illegible]   [illegible]

[illegible]   [illegible]

[illegible]   [illegible]

وقال الشمّاخ بن ضِرار

تَزورُ امرأً يُعطِى على الحمد مالَه * ومن يُعطِ أثمانَ المحامدِ يُحمَدِ
وأنتَ امرؤٌ، مَن تُعطِه اليوم نائلا * بكفّك، لا يمنعْك من نائل الغدِ
ترى الجودَ لا يُدنى من المرء حتفَه * كما البخل والإمساكُ ليس بمُخلِدِ
مُفيدٌ ومِتلافٌ، اذا ما سألتَه * تهلّل، واهتزّ اهتزازَ المهنّدِ
متى تأتِه تعشو الى ضوءِ نارِه * تجدْ خيرَ نارٍ عندَها خيرُ مُوقِدِ

قال : ولما سمع عمر رضى الله عنه هذا البيت ، قال : كَذبَ ، تلك نار موسى عليه السلام .

وقال السرىّ الرفّاء

كالغيث والليث والهلال اذا * أقمر بأسًا وبهجةً وندى
ليس من الجود ما يجود به * وذاكرٌ منه كلما وعدا

وقال أبو الفرج الوأواء

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين اثنينِ
أنت اذا جدت ضاحكًا أبدًا * وهو اذا جاد باكِىَ العينِ

وقال ابن نباتة السعدىّ من قصيدة

لم يُبقِ جودُك لى شيئًا أؤمّله * تركتَنى أصحبُ الدنيا بلا أمل

ذكر ما قيل فى الإعطاء قبل السؤال

قال سعيد بن العاصى : قبّح الله المعروف اذا لم يكن ابتداءً من غير مسألة ، فأما المعروف عوض من مسألة الرجل اذا بذل وجهه، فقلبُه خائفٌ ، وفرائصه ترعد، وجبينه يرشح، لا يدرى أيرجع بنجح الطلب أم بسوء المنقلب ، قد بات ليله

يتململ على فراشه، يعاقب بين شقّيه، مرّة هكذا، ومرّة هكذا، مَنْ لحاجته؟ فخطرتُ بباله أنا أو غيرى، فمثّل أرجاهم فى نفسه، وأقربَهم من حاجته، ثم عزم علىّ، وترك غيرى، قد انتُقع لونُه، وذهب دمُ وجهه، فلو خرجتُ له مما أملك لما كافأته. وهو علىّ آمنُ منّى عليه، اللهم فإن كانت الدنيا لها عندى حظٌّ فلا تجعل لى حظًّا فى الآخرة. ٦٥

وقال أكثم بن صيفىّ : كلّ سؤال وإن قلّ، أكثر من كلّ نوال وإن جلّ .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لأصحابه : من كانت له إلىّ منكم حاجة، فليرفعها فى كتاب، لأصونَ وجوهكم عن المسألة .

وقال عبد العزيز بن مروان: ما تأمّلنى رجل قطّ إلا سألته عن حاجته، ثم كنت من ورائها .

وقال حبيب

عطاؤك لا يفنى ويستغرق المنى * وتبقى وجوه الراغبين بمائها

وقال أيضا

ما ماء كفّك إن جادت وإن بخلت * من ماء وجهى إذا أفنيته عوض

وقال : مَنْ بذل إليك وجهه، فقد وفّاك حقّ نعمته .

وقال معاوية لصعصعة بن صوحان: ما الجود؟ قال : التبرّع بالمال، والعطاء قبل السؤال .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربّه

كريم على العِلّات جزل عطاؤه * ينيل وإن لم يُلْفَ ما يستنيله

وما الجود مَنْ يعطى إذا ما سألته * ولكنّ من يعطى بغير سؤال

وقال حبيب الطائى:

لئن جحدتك ما أوليتَ من كَرَمٍ * إنى لفى اللؤم أمضَى منك فى الكرمِ
أنسَى ابتسامَك والألوانُ كاسفةٌ * تبسُّمَ الصبح فى داجٍ من الظُّلَمِ
رددتَ رونقَ وجهى فى صفيحته * ردَّ الصِّقالِ صفاءَ الصارم الخَذِمِ
وما أبالى وخيرُ القولِ أصدقُه * حقنتَ لى ماءَ وجهى أم حقنتَ دمى

ذكر ما قيل فى الشجاعة والصبر والإقدام

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الشجاعة غريزة يضعها الله فيمن يشاء من عباده، إن الله يحبّ الشجاع ولو على قتل حيّة».

وقالوا: حدّ الشجاعة سعة الصدر بالإقدام على الأمور المتلفة.

وسئل بعضهم عن الشجاعة فقال: جِبِلّةٌ نفس أبيّة، قيل له: فما النجدة؟ قال: ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت، حتى تحمد بفعلها دون خوف.

وقيل لبعضهم: ما الشجاعة؟ فقال: صبر ساعة، وقال بعض أهل التجارب: الرجال ثلاثة: فارس، وشجاع، وبطل، فالفارس: الذى يشدّ اذا شدّوا، والشجاع: الداعى إلى البراز والمجيب داعيه، والبطل: الحامى لظهور القوم اذا ولّوا.

قال يعقوب بن السكّيت فى كتاب الألفاظ: العرب تجعل الشجاعة فى أربع طبقات، تقول: رجل شجاع، فإذا كان فوق ذلك، قالوا: بطل، فإذا كان فوق ذلك، قالوا: بُهْمة، فإذا كان فوق ذلك، قالوا: ألْيَس.

وقال بعض الحكماء: جسم الحرب: الشجاعة، وقلبها: التدبير، ولسانها: المكيدة، وجناحها: الطاعة، وقائدها: الرفق، وسائقها: النصر.

قالوا : لما ظفر المهلّب بن أبي صُفرة بالخوارج ، وجّه كعبَ بنَ مَعْدانَ الى الحجّاج ، فسأله عن بني المهلّب، فقال : المغيرةُ فارسهم وسيّدهم، وكفى بيزيد فارسا شجاعا، وجوادُهم وشيخُهم : قَبيصةُ ، ولا يستحيي الشجاعُ أن يفرّ من مُدرِك ، وعبدُ الملك : سمٌّ ناقعٌ، وحبيبٌ : موتٌ زُعافٌ، ومحمدٌ : ليثُ غابٍ، وكفاك بالمفضَّل نَجدةً، قال : فكيف خلّفتَ جماعةَ الناس ؟ قال : خلّفتهم بخير، قد أدركوا ما أمّلوا، وأمِنوا ما خافوا، قال : فكيف كان بنو المهلّب فيهم ؟ قال : كانوا حُماةَ السَّرحِ نهارا، فاذا أليلوا ففرسانُ البيات، قال : فأيّهم كان أنجد ؟ قال : كانوا كالحَلْقة المفرَغة ، لا يُدرَى أين طَرَفُها ، قال : فكيف كنتم أنتم وعدوّكم ؟ قال : كنّا اذا أخذنا عفونا، واذا اجتهدوا اجتهدنا فيهم ، فقال الحجّاج : (إنّ العاقبةَ للمتّقين) .

وقالوا : أشجعُ بيت قالته العرب قولُ العباس بن مرداس السلمي

أشدُّ على الكتيبة لا أبالي ... أحتفي كان فيها أم سواها

وقد مدح الشعراءُ الشجاعةَ وأهلَها ، وأوسعوا في ذلك ، فمن ذلك قول المتنبي

شجاعٌ كأنّ الحربَ عاشقةٌ له ... إذا زارها فدّته بالخيل والرَّجْلِ

وقال أيضا

وكم رجلٍ [illegible] ... [illegible]

[illegible] جرى في [illegible] ... [illegible]

وقال [illegible] الأصفهاني

قوم إذا لبسوا [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

وقال أبو الفرج الببغاء

واليومُ من غَسَقِ العَجاجةِ ليــلةٌ * والكرُّ يخــرِّق بجَفْنِها الممــدودا
وعلى الصِّفاحِ من الكِفاحِ وصِدقِه . رَدْعُ أحالَ بياضَــها توريدا
والطعنُ يَغتصبُ الجيادَ شِياتَها * والضربُ يقــدح فى التليل وقودا
وعلى النفوس من الحِمــاه طلائعٌ والخوف يَنشُد صبرَها المفقودا
وأجلّ ما عــد الفوارس حثُّهــا * فى طاعة الحربِ الجيادَ القُــودا
حتى إذا ما فارق الرأىُ الهــوى * وغدا اليقينُ على الظنون شهيــدا

لم يغنِ غيرُ أبى شجاعٍ والعلا عنــه تنــاجى النصرَ والتأييــدا

وقال بعض ورُوى للبحترى

مِن كلِّ متّسعِ الأخلاقِ مبتسمٍ * للخطب إن ضاقت الأخلاقُ والحِيَلُ
يسعى به البرق . إلا أنه فــرَسٌ فى صورة المــوتِ إلا أنه رجلُ
يلقى الرمحَ بصــدرٍ منه ليس له * ظهــرٌ وهادى جوادٍ ما له كَفَلُ

وقال البحترى

معشرٌ أمسكت حلومهمُ الأر ضَ وكادت لولاهمُ أن تميدا
وإذا حاربوا أذلوا عزيزاً وإذا النقع ثار ثاروا أسـودا
وكأنَّ الإله قال لهم فى الـــحرب كونوا حجارةً أو حديدا

وقال المتنبى

وأنت قوم عشقوا منية . من أنفسهم كانوا بها حبيلا
قوم إذا حمي الوطيس لديهم جعلوا الجماجمَ للسيوف مَقيلَا

وقال آخر

عِقبانُ رَوْع والسروجُ وكورها * وليوثُ حرب والقنا آجامُ
وبدور تمّ والشوائث فى الوغى * هالاتها والسابرىُّ غمامُ
جادوا بممنوع التلادِ وجوّدوا * ضربا تُحَدُّ به الطُّلا والهامُ
وتجاورت أسيافهم وجيادهم * فالأرض تمطر والسماء تُغامُ

وقال آخر

قوم شربت سيوفهم ورماحهم * فى كل معترك دم الأشراف
رجعت بهم خيلهم تعثر * كل بكل حسيم أمر كاف
يحنّون إلى لقاء عدوّهم * كتحنّن الألاف للألاف
ويباشرون ضُبّ السيوف بأنفس * مضى وقطع من ضُبَ الأسياف

وقال ابن حيّوس

لا تردّ خبر حتفهم عن قريب * فتيهم يوم سُئل أو يُرى
تتّقى بيض وجوه سود مثار النقع خضر الأكناف حمر النصال

ومما قيل فى الصبر والإقدام

قال الله عزّ وجلّ : يا أيّها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلّكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين . وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم « لا تتمنوا لقاء العدوّ وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاثبتوا واكثروا من ذكر الله عزّ وجلّ فإن أجلبوا وضجّوا فعليكم بالصمت » .

ومن كلام عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه : ربَّ حياةٍ، سببها التعرّض للموت، وربَّ منيّة، سببّها طلبُ الحياة .

وقالوا : أجمع كلمة قيلت فى الصبر قول بعضهم : الصبر مطيّة النصر .

وقال آخر : الصبر مَطِيّةٌ لا تكبو . وإن عَنُفَ عليه الزمان .

وقال آخر : الصبر شَرْيَة[1]، ثمره أرْيَة[2] .

وقيل للمهلّب بن أبى صفرة : إنك لَتلقى نفسك فى المهالك ، فقـال : إن لم آت الموت مسترسلا ، أتانى مستعجلا . إنى لست آتى الموت من حُبّه ، وإنما آتيه من بغضه . وتمثّل بقول الحُصَيْن بن الحمام

تأخّرتُ أستبقى الحياةَ فلم أجدْ . لنفسى حياةً مثـلَ أن أتقدّما

وهى قصيدة مشهورة منها

فلسنا على الأعقابِ تَدمَى كلومُنا ولكن على أقدامنا تقطُرُ الدَّما
نفلّق هاماً من رجالٍ أعزّةٍ علينا ، وهم كانوا أعقّ وأظلما
ولما رأيتُ الصبرَ قد حِيلَ دونه وإن كان يوما ذا كواكبَ مُظلِما
صبرنا ، وكان الصبرُ منا سجيةً بأسيافنا يقطعنَ كفّا ومعصما
ولما رأيتُ الودَّ ليس بنافعى عمدتُ الى الأمرِ الذى كان أحزما
ولستُ بمبتاعِ الحياةِ بسُبّةٍ ولا مرتقٍ من خَشيةِ الموتِ سُلَّما

وقالت العرب : الشجاعة وقاية ، والجُبن مَقتلة . وكذلك : إن مَنْ يُقتل مدبرا ، أكثر ممن يقتل مقبلا .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لخالد بن الوليد : احرِصْ على الموت ، توهَبْ لك الحياة .

وقالت الحكماء : آستقبال الموت، خير من آستدباره .

وقال العلوىّ

محرّمةٌ أكفالُ خيلى على القنا * وداميةٌ لبّاتُها ونحورُها
حرامٌ على أرماحنا طعنُ مدبرٍ * وتندقُّ منها فى الصدور صدورُها

وقال أبو تمّام

قتلوا ولكنهم طابوا فأنجدهم * جيشٌ من الصبر لا يُحصَى له عَدَدُ
إذا رأوا للمنايا عارضًا لبسوا * من اليقين دروعًا ما لها زَرَدُ
نأوا عن المصرَخ الأدنى فليس لهم * إلا السيوفَ على أعدائهم مددُ

وما زالت العرب تتمادحون بالموت قعصًا ، ويتهاجون بالموت على الفراش، ويقولون فيه : مات فلانٌ حتفَ أنفه . وأوّل من قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومدح أعرابىّ قوما فقال

يقتحمون الحربَ كأنما يلقونها بنفوس أعدائهم

وقال عبد الله بن الزبير لما أتاه قتل أخيه مصعب : إن يُقتَلْ فقد قُتِل أخوه وأبوه وعمه . إنا والله لا نموت حتفا ولكن قعصًا بأطراف الرماح وموتًا تحت ظلال السيوف . وقال السموءل بن عاديا

وما مات منّا سيّدٌ فى فراشه * ولا طُلَّ منّا حيث كان قتيلُ
تسيل على حدّ الظُّبات نفوسُنا * وليست على غير الظبات تسيلُ

وقال بعض الشعراء

وإنّا لتستحلى المنايا نفوسُنا * ونترك أخرى مُرّةً ما تذوقها


وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يوم صفّين، وقد قيل له : أتقا لل أهل الشام بالغداة، وتظهر بالعشىّ فى إزار ورداء؟ فقال : أبالموت تخوفوننى ؟ فوالله ما أبالى، أسقطت على الموت، أم سقط الموت علىّ؛ وقال لأبنه الحسن: لاتدعونّ أحدا الى المبارزة ، وإنْ دعيت اليها فأجب ، فانّ الداعىَ اليها باغٍ ، وللباغى مصرعٌ . وقال رضى الله عنه

* بقية السيف أنمى عددا *

يريد أن السيف اذا أسرع فى أهل بيتٍ كثر عددُهم ونمَى .

وقال آبن عباس رضى الله عنه : عقمت النساء أن تأتى بمثل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ؛ لعهدى به يومَ صِفّين، وعلى رأسه عمامة بيضاء ، وهو يقف على شِرذِمةٍ شرذمة من الناس ، يحضُّهم على القتال، حتى آنتهى الىّ، وأنا فى كنف من الناس، وفى أغيلمة من بنى عبد المطّلب؛ فقال: يامعشر المسلمين، تجلببوا السكينةَ، وكمّوا اللأمةَ، وقلقوا السيوف فى الأغماد، وكافحوا بالظُّبا، وصِلوا السيوف بالخُطا، فإنكم بعين الله، ومع آبن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، عاودوا الكرّ، وآستحيوا من الفرّ، فإنه عار فى الأعقاب، ونار فى الحساب، وطيبوا على الحياة أنفسا، وسيروا الى الموت سيرا سُجُحا[1]. ودونكم هذا الرواق الأعظم، فاصبروا؛ فإن الشيطان راكب صَعْدتَه، قدّموا للوثبة رِجلا، وأخّروا للنكوص أخرى ، فصمدًا صمدًا ، حتى يبلغَ الحقّ أجلَه، والله معكم، ولن يتركم أعمالكم، ثم صدَرَ عنا، وهو يقرأ (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) .

وكان معوية بن أبى سفيان يتمثل يوم صِفّين بهذه الأبيات

أبتْ لى شيمتى وأبَى بلائى وأخذى الحمدَ بالثمن الربيح

(١) سجح بضمتين : سهل .

وإقدامى على المكروه نفسى * وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلّما جشأت لنفسى * مكانكِ تُحمَدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثرَ صالحاتٍ * وأحمىَ بعدُ عن عِرضٍ صحيح

وقال قَطَرِىُّ بن الفُجَاءة أمير الخوارج

وقولى كلّما جشأت لنفسى * من الأبطال ويحك لا تُراعى
فإنك لو سألتِ بقاءَ يومٍ * على الأجل الذى لكِ لم تطاعى
فصبرا فى مجال الموت صبرًا * فما نَيْلُ الخلود بمستطاعِ
سبيلُ الموت غايةُ كلِّ حىٍّ * وداعيه لأهل الأرض داعى

وقال عبد الله بن رواحة الأنصارى

١ يانفس إن لم تُقتَلى تموتى * إن تسلمى اليومَ فلا تفوتى
أو تُبتَلِى فطالما عُوفيتِ * هذى حياضُ الموت قد صَليتِ
وما تمنّيتِ فقد لَقيتِ * إن تفعلى فعلَهما هُديتِ
* وإن تولّيت فقد شَقيتِ

يريد بقوله

١ فإن تفعلى فعلهما هُديتِ *

قتلَ زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب رضى الله عنهما، وكانا قُتلا فى ذلك اليوم بمؤتة. وكان علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، يخرج كلّ يوم بصفّين حتى يقف بين الصفّين وينشد

من أىّ يومىّ من الموت أفرّ * يومَ لا يُقدَرُ أم يومَ قُدِرْ
٢ فيومَ لا يُقدَرُ لا أرهبه * ومن المقدور لا ينجو الحذِرْ

ومثله قول جرير من قصيدة أولها

❊ هاجَ الفراق لقلبك المهتاج ❊

منها

قل للجبـان إذا تأخر سَرجُه ❊ ما أنت من شَرك المنية ناجى

وقالت امرأة من عبد القيس

أبوا أن يَفرُّوا والقنـا فى نحورهم ❊ ولم يبتغوا من خشـية الموتِ سُلَّما

ولو أنهـــم فرُّوا لكانوا أعزَّةً ❊ ولكن رأَوا صبرًا على الموت أكرما

وقال حبيب بن أوس الطائىّ

فأَثبَتَ فى مستنقع الموت رِجـلَه ❊ وقال لها من تحت أخمَصك الحشرُ

وقد كان فوتُ الموتِ سهلًا فردَّه ❊ عليـه الحِفاظُ المُـرُّ والخُلُقُ الوعْرُ

غدَا غدوةً والحمـــدُ نسجُ ردائه ❊ فلم ينصرفْ إلا وأكفانُه الأجْرُ

تردَّى ثيابَ الموتِ حُمْرًا فمـا أتى ❊ لها الليلُ إلا وهْىَ من سندس خُضرُ

وقال

قومٌ إذا لبسوا الحديدَ حسبتهم ❊ لم يحسَبوا أنّ المنيَّة تُخلَقُ

أُنظرْ بحيثُ ترى السيوفَ لوامعًا ❊ أبدًا وفوق رءوسهـــم تتألّقُ

وقال البيغاء

يسعى إلى الموت والقنا قِصَدٌ ❊ وخيـله بالرءوس تنتعلُ

كأنه واثق بأنّ له ❊ عُمرًا مُقيمًا وما له أجل

وقال كعب بن مالك

نَصِلُ السيوفَ إذا قصُرن بخطوِنا ❊ قَدَمًا ونلحقُهـا إذا لم تُلحقِ

ومثله لبعض بنى قيس بن ثعلبة

لو كان فى الألف منّا واحد فدعوا * مَنْ فارسٌ ؟ خالهم إياه يعنونا
إذا الكماة تنحّوا أن يُصيبهمُ * حدُّ الظبـاة وصلناهـا بأيدينـا

ومثله قول الآخر

إذا قصُرتْ أسيافُنا كان وصلُها * خُطانا الى أعدائنا فتقاربُ

ومثله قول ودّاك بن ثُميل المـازنىّ

مَقاديمُ وصّالون فى الرَّوْع خَطوَهم * بكلّ رقيـقِ الشَّـفرتين يمـانى
اذا اسْتُنجدوا لم يسألوا مَن دعاهمُ * لأيّةِ حربٍ أم بأىّ مكانِ

وقال أبو تمّـام فى سعة الخطو

خَطْوُه ترى الصارم الهندى مختصرا * به من لم يزل للخطو مقتصدا

وقال آخر

كأنّ سيوفَه صِيغت عقودا * تجول على الترائب والنحورِ
وتثنى رماحه خطت هموما * فما خطرنَ إلا فى الضمير

وأجود ما قيل فى الصبر قول ابن الرومى

أرى الصبر محمودا وعنه مذاهبٌ * فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهبُ
هناك يحقّ الصبر والصبر واجب * وما كان منه كالضرورة أوجبُ
فشدّ امرؤ بالصبر كفًّا فإنه * له عِصمةٌ أسبابها لا تَقضّبُ
هو المهربُ المنجى لمن أحدقتْ به * مكارهُ دهرٍ ليس منهنّ مهربُ
لبوسُ جمالٍ جنّةٌ من شماتةٍ * شفاءُ أسًى يُثنى به ويُثوّبُ

فياعجبا للشيء هـــذى خـلاله * وتارك ما فيه من الحظ أعجبُ
وقد يتظّنى الناس أنّ أساهمُ * وصبرَهمُ فيهـــم طِباعٌ مُركّبُ
فإنهـما ليسـا كشيء مُصرِّف * يصرّفه ذو نكبة حين يُنكَبُ
فإن شاء أن يأسى أطاع له الأسى * وإن شاء صبرا جاءه الصبر يجلبُ
وليسا كما ظنوهمـا بل كلاهمـا * لكلّ لبيب مسـتطاعٌ مسبّبُ
يصـــرّفه المختـارُ منـا فتارةً * يُراد فيأتى ، أو يُراد فيـذهبُ
اذا احتجّ محتجٌّ على النفس لم تكد * على قدرٍ يُمـنَى لهـا تتعتّبُ
وساعَدَها الصـبرُ الجميلُ فأقبلتْ * إليهـا له طوعا جنائبُ تُجنَبُ
وإن هو منّاها الأباطيلَ لم تزل * تقاتل بالعتب القضاءَ وتُغلبُ
فيُضحِى جزوعا إن أصابت مصيبةٌ * ويمسى هلوعا إن تعـذّر مطلَبُ
فلا يعذرنَّ التاركُ الصبرَ نفسَـهُ   بأن قيل : إن الصبرَ لا يُتكسّبُ

ذكر ما قيل فى وفور العقل

قال الله تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) قال المفسرون : عبّر عن العقل بالقلب ، لأنه محلّه وسكنه ، وقال تعالى : (وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) ، وقال تعالى : (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) . وقال تعالى : (هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أوّل ما خلق الله العقل ، قال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له : أدبر ، فأدبر ، ثم قال : وعزتى وجلالى ، ما خلقتُ خلقا أكرم على منك ، بك آخذ ، وبك أعطى ، وبك أثيب ، وبك أعاقب » .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى قسم العقل على ثلاثة أقسام، فمن كنّ فيه كمل عقلُه، ومن لم يكن فيه بجزء منه فلا عقل له». قيل: يا رسول الله، ما أجزاء العقل؟ قال : حسن المعرفة بالله، وحسن الطاعة لله، وحسن الصبر على أمر الله » . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما اكتسب رجل مثلَ فضلِ عقلٍ يَهدى صاحبَه الى هدًى، و يردّه عن ردًى ، وما تمّ إيمـان عبدٍ ولا استقام دينُه ، حتى يكمُلَ عقله» .

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لتميم الداريّ : ما السؤدد فيكم ؟ قال : العقل، قال : صدقتَ، سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كما سألتك، فقال كما قلتَ، ثمّ قال : سألت جبريل ما السؤدد ؟ فقال : العقل .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله، بأي شيء يتفاضل الناس في الدنيا ؟ قال : بالعقل، قلت : وفي الآخرة ؟ قال : بالعقل، قلت : أليس إنما يجزون بأعمالهم ؟ فقال : يا عائشة، وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله تعالى من العقل، فبقدر ما أُعطوا من العقل كانت أعمالهم، وبقدر ما عملوا يُجزَون » .

وعن سعيد بن المسيّب : أن عمر وأُبيّ بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا : يا رسول الله، من أعلم الناس ؟ قال : العاقل، قالوا : فمن أعبد الناس ؟ قال : العاقل، قالوا : فمن أفضل الناس ؟ قال : العاقل، قالوا : أليس العاقل من ظهرت مروءته، وظهرت فصاحته، وجادت كفّه، وعظمت منزلته ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : وإن كلّ ذلك لمّا متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين، إن العاقل هو المتقي وإن كان في الدنيا خسيسا دنيا .

وورد فى الأثر : «أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام العقلَ والدينَ والحياءَ، فاختار العقلَ، فقيل للدين والحياء : ٱرتفعا، قالا : لا، قال : أفعصيتما أمرَ ربكما ؟ قالا : ما عصينا أمرَ ربِّنا ، ولكنّا أُمِرنا أن نتبعَ العقلَ حيث كان» .

وقال لقمان لابنه : إن غاية الشرف والسؤدد فى الدنيا والآخرة، حسـنُ العقل، لأن العبدَ إذا حسُن عقلُهُ ، غطّى ذلك عيوبَه، وأصلح مساوِيَه، ورضى عنه خالقُه، وكفى بالمرء عقلا أن يسلمَ الناس من شرِّه .

وقيـل : مكتوبٌ فى حكمة آل داود عليه السلام : على العاقل أن يكون عالمـا بأهل زمانه، مالكا للسانه، مقبلا على شأنه .

وقال بعض الحكماء : كلّ شيء يعِز اذا قلّ ، والعقل كلّما كان أكثر كان أعز وأغلى ، ولو بيع ، لمـا ٱشتراه إلا العاقلُ لمعرفته بفضـله ، وأوّل شرف العقل أنه لا يُشتَرى بالمـال . (٦٩)

قال أبو عطاء السندىّ

وإن عقـلا ليس له ذا مال * تذكّرتَ الفضائلَ من كفاءِ

وقالوا : العلم قائد، والعقل سائق ، والنفس بينهما حرون، فاذا كان قائدٌ بلا سائقٍ هلكتْ ، وإن كان سائق بلا قائد أخذتْ يمينا وشمـالا ، فاذا ٱجتمعا أجابت طوعا أو كُرْها .

ذكر ما قيل فى حدّ العقل وماهيّته وما وصف به

وقد اختلف الحكماء فى حد العقل، فقيل : حدّه الوقوف عند مقادير الأشياء قولا وفعلا ، وقيل : النظر فى العواقب ، وقال المتكلمون : هو اسم لعلوم اذا حصلت للإنسان صحّ تكليفُه . وقيل : العاقل من له رقيب على شهوته، وقيل : هو من عقل نفسه عن المحارم، وقال عمرو بن العاص : أن يَعرِفَ خيرَ الخيرَيْن، وشرّ الشريْن .

قال أبو هلال : ومن العجب أن العرب تمثّلت فى جميع الخصال بأقوام جعلوهم أعلاما فيها، فضربوا بها المثل اذا أرادوا المبالغة، فقالوا : أحلم من الأحنف، ومن قيس بن عاصم، وأجودُ من حاتم، ومن كعبِ بن مامة، وأشجعُ من بسطام، وأبين من سَحبان، وأرمَى من ابن تِقْن، وأعلمُ من دَغْفَل، ولم يقولوا : أعقل من فلان، فلعلّهم لم يستكملوا عقلَ أحد، على حسب ما قال الأعرابى، وقد قيل له : حدّ لنا العقلَ، فقال : كيف أحدّه ولم أره كاملا فى أحد قطّ .

وقيل لحكيم : ما جماع العقل؟ فقال : ما رأيته مجتمعا فى أحد فأصفه، وما لا يوجد كاملا فلا حدّ له .

وقالوا : لكلّ شىء غاية وحدّ، والعقل لا غاية له ولا حدّ، ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الأزهار فى الرائحة والطيب .

واختلفوا فى ماهيّة العقل، كما اختلفوا فى حدّه، فقال بعضهم : هو نور وضعه الله تعالى طبعا وغريزةً فى النفس، كالنور فى العين وهو البصر، فالعقل نور فى القلب، والبصرُ نورٌ فى العين، وهو ينقص ويزيد، ويذهب ويعود، وكما يدرك بالبصر شواهد

الأمور، كذلك يُدرَكُ بالعقل كثيرٌ من المحجوب والمستور، وعمى القلب كعمى البصر، قال تعالى: (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس الأعمى من عمِيَ بصرُه، ولكن من عَمِيَتْ بصيرتُه» .

وقال عبد الله بن عمرو بن معاوية عن عمرو بن عُتبةَ المعروف بالعتبيّ: العقل عقلان، عقلٌ تفرّدَ الله تعالى بصنعه، وهو الأصل، وعقلٌ يستفيده المرء بأدبه وهو الفرع، فإذا اجتمعا قوّى كلّ واحدٍ منهما صاحبَه تقويةَ النار في الظُّلمة للبصر .

نظم بعض الشعراء هذا اللفظ فقال، ويروى لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

رأيتُ العقلَ عقلانِ ... فمطبوعٌ ومسموعُ
ولا ينفع مسموعٌ ... إذا لم يكُ مطبوعُ
كما لا تنفع الشمسُ ... وضوءُ العين ممنوعُ

وأكثرُ الناس على أنّ العقلَ في القلب. ودليله قوله عز وجلّ: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «العقل في القلب يفرق به بين الحقّ والباطل» .

وقال بعضهم: هو في الدماغ. وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه .

ومما وُصف به العقل: العقلُ وزيرٌ رشيد، وظهيرٌ سعيد، من عصاه أرداه، ومن أطاعه نجّاه .

وقال سَعيد بن جُبَير : لم تر عيناى أجلّ من فضلِ عقلٍ يتردّى به الرجلُ إن انكسر جبَرَه، وإن تصدّع أمسَكه، وإن ذلّ أعزّه، وإن اعوجّ أقامه، وإن عثر أقاله، وإن افتقر أغناه، وإن عرى كساه، وإن غوى أرشده، وإن خاف أمّنه، وإن حزن أفرحه، وإن تكلّم صدقه، وإن أقام بين أظهر قوم اغتبطوا به، وإن غاب عنهم أسفوا عليه، وإن بسط يده قالوا : جوادٌ، وإن قبضها قالوا : مقتصدٌ، وإن أشار قالوا : عالم، وإن صام قالوا : مجتهد، وإن أفطر قالوا : معذور.

قال بعض الشعراء :

يُعَدُّ رفيعَ القوم من كان عاقلا ... وإن لم يكن فى قومه بحسيب
وإن حلّ أرضا عاش فيها بعقله ... وما عاقل فى بلدة بغريب

وقال بعض الحكماء : إذا غلبَ العقلُ الهوى، صرف المساوئ إلى المحاسن، فجعل البلادةَ حلما، والحدّةَ ذكاءً، والمكرَ فطنةً، والهذرَ بلاغةً، والعيَّ صمتا، والعقوبةَ أدبا، والجبنَ حذَرا، والإسرافَ جودا.

وقيل : لو صُوِّر العقل لأضاء معه الليل، ولو صُوِّر الجهل لأظلم معه النهار.

قال المتنبى :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم ... أدنى إلى شرف من الإنسان

وقد [illegible] فى صحة العقل.

قال الزهرى : إذا أنكرت عقلك [illegible] [illegible] [illegible]

قال بعض الشعراء :

عدوّك ذو العقل [illegible] ... [illegible] الأحمق

وقال آخر

لله دَرُّ العقل من رائـــدٍ * وصاحب فى اليسر والعسرِ
وحاكمٍ يقضى على غائبٍ * قضيّةَ الشاهـد للأمرِ
وإنّ شيئًا بعضُ أحواله * أن يفصلَ الخيرَ من الشرّ
له قُوًى ، قد خصّه ربُّه * بخالص التقديس والطُّهْرِ

وقال آخر

إذا لم يكن للمــرء عقلٌ فإنه * وإن كان ذا قدر على الناس هيّنُ
وإن كان ذا عقل أُجِلَّ لعقلــه ، وأفضــلُ عقلٍ عقلُ من يتبيّنُ

وقال آخر

العقلُ حُلّةُ فخــرٍ مَنْ تسربلَها كانت له نَسَبًا يغنى عن النَّسَبِ
وأفضل العقل ما فى الناس كلّهمِ . بالعقل ينجو الفتى من حومة العطبِ

وقال ابن دُرَيد

وأفضلُ قِسمِ الله للمــرء عقلُه * فليس من الخيرات شىءٌ يقاربُهْ
يَزِينُ الفتى فى الناس صحّةُ عقله . وإن كان محظورا عليه مكاسبُهْ
ويُزرى به فى الناس قِلّةُ عقله وإن كَرُمتْ أعراقُه ومناسبُهْ
إذا أكمل الرحمنُ للمرء عقلَه . فقــد كَمُلتْ أخلاقُــه ومآربُهْ

وقال آخر

ما وهبَ اللهُ لامرئٍ هِبــةً * أشرفَ من عقله ومن أدبِهْ
هما حياة الفتى ، فإن عدما - فإنّ فقــدَ الحيــاة أنفعُ به

وقال آخر

ولم أرَ مثلَ الفقر أوضعَ للفتى * ولم أرَ مثل المال أرفعَ للنّذلِ
ولم أرَ من عُدْمٍ أضرَّ على الفتى * اذا عاش بين الناس من عَدَمِ العقلِ

ذكر ما قيل فى الصدق

قال الله عزّ وجلّ مبشّراً للصادقين : ﴿هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تحرّوا الصدق، فإن الصدقَ يَهدى الى البِرّ، والبِرُّ يَهدى الى الجنة، وإن المرء ليتحرّى الصدق، حتى يُكتَبَ صدّيقا» .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، أنه قال: جاء رجل الى النبىّ صلى الله عليه وسلم وقال : يارسولَ الله، ما عَمَلُ أهلِ الجنّة؟ قال : الصدق، اذا صدق العبد بَرَّ، واذا برّ آمنَ، واذا آمنَ دخل الجنّة . قال : يارسولَ الله، ما عمل أهل النار؟ قال : الكذب، اذا كذب العبد فجر، واذا فجر كفر، واذا كفر دخل النار .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: سألت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: بمَ يُعرف المؤمنُ؟ قال: بوقاره، ولين كلامه، وصدق حديثه. ومن كلام عمر رضى الله عنه: الإيمان أن تؤثر الصدقَ حيث يضرّك، على الكذب حيث ينفعك .

وقال بعض الحكماء : الصدق أزين حلية، والمعروف أربح تجارة، والشكر أدوم نعمة . وقال بعضهم : رأيت بعض الصالحين فى منامه فقلت : أىّ الكلام أحسن .

فقال : ما صدق قائله ، قلتُ : ثمّ ماذا؟ قال : ما استحسنه سامعه ، قلت : ثمّ ماذا؟ قال : كل كلام جاوز هذا فهو نهيقُ الحمار بمنزلةٍ .

وقال الأحنف لابنه : يا بنيّ ، يكفيك من شرف الصدق ، أن الصادق يُقبَل قولُه في عدوّه ، ومن دناءة الكذب ، أن الكاذب لا يُقبل قولُه في صديقه ولا عدوّه ، لكلّ شيء حليةٌ ، وحليةُ المنطق الصدقُ يدل على اعتدال وزن العقل .

قال عامر بن الظَّرِب العَدْوانيّ في وصيّته : إني وجدتُ صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا ، من لزم الصدق وعوّده لسانه ، فلا يكاد يتكلّم بشيء يظنّه ، إلا جاء على ظنّه .

وقالوا : ما السيف الصارم في كفّ الشجاع ، بأعزّ من الصدق .

وقيل : مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بعجوز تبيع اللبن ، فقال لها : يا عجوز ، لا تغشّي المسلمين ، ولا تشوبي لبنَك بالماء . قالت : نعم يا أمير المؤمنين ، ثم مرّ بها بعد ذلك ، فقال : يا عجوز ، ألم أعهد إليك أن لا تشوبي لبنَك بالماء ؟ فقالت : والله ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ، فتكلّمتْ بنتٌ لها من داخل الخباء ، فقالت : يا أمّاه ، أغِشًّا وحِنْثًا جمعتِ على نفسك؟ فسمعها عمر فأعجبته ، فقال لولده : أيّكم يتزوّجها؟ فلعلّ الله أن يُخرِج منها نَسَمةً طيّبةً ، فقال ابنه عاصم : أنا أتزوّجها يا أمير المؤمنين ، فزوّجها منه ، فولدت له أمّ عاصم ، تزوّجها عبد العزيز بن مروان ، فولدتْ عمرَ بن عبد العزيز .

ويُروى أن بلالا لم يكذب منذ أسلم ، فبلغ ذلك بعض من يحسده ، فقال : اليوم أكذّبه فسايره ، فقال له : يا بلال ، ما سنُّ فرسك؟ قال : عَظْمٌ ، قال : فما جريه؟ قال :

يحضر ما استطاع. قال: فأين تنزل؟ قال: حيث أضع قدمى. قال: ابن من أنت؟ قال ابن أبى وأمى. قال: فكم أتى عليك؟ قال: ليال وأيام. الله أعلم بعددها. (٦١)
قال: هيهات، أعيت فيك حيلتى. ما اتعب بعد اليوم أبدا.

ذكر ما قيل فى الوفاء والمحافظة والأمانة

قال الله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾. وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.

وروى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر الصديق رضى الله عنه: عليك بصدق الحديث، ووفاء العهد، وحفظ الأمانة، فإنها وصية الأنبياء.

كان أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنته زينب، تاجرا تضاربه قريش بأموالهم، فخرج فى أول سنة الهجرة، فلما قدم، عرض له المسلمون، فأسروه، وأخذوا ما معه، وقدموا به المدينة ليلا، فلما وصلوا الفجر، قامت زينب على باب المسجد، فقالت: يا رسول الله، قد أجرت أبا العاص وما معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد أجرنا من أجرت، ودفع إليه ما أخذوه منه، وعرض عليه الإسلام فأبى، وخرج إلى مكة، وأدى إلى قريش، وأعطاهم، ثم دفع إليهم أموالهم، ثم قال: هل وفيت؟ قالوا: نعم، قد أديت الأمانة ووفيت. قال: فإنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وما منعنى أن أسلم إلا أن يقولوا: أخذ أموالنا. ثم هاجر، فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم على نكاحه، وتوفى فى سنة اثنتى عشرة.

---

(١) [illegible]

وقيل لمّا قوى أمرُ بنى العباس وظهر، قال مروان بن محمد لعبد الحميد بن يحيى كاتبه : إنّا نجد فى الكتب، أن هـذا الأمرَ زائل عنا لا محالةَ ، وسيظهر اليك هؤلاء القوم ، يعنى ولد العباس . فصر اليهم ، فإنى لأرجو أن تتمكن منهم ، فتنفعنى فى مخلفى ، وفى كثير من أمورى ، فقال : وكيف لى بعلم الناس جميعا أن هـذا عن رأيك ، وكلّهم يقول : إنى غدرت بك ، وصرت الى عدوّك ؟ وأنشد

أُسرّ وفاءً ثم أُظهرُ غـــدرةً * فمن لى بعُذرٍ يوسع الناسَ ظاهِرُهْ

ثم قال

ولؤمٌ ظاهرٌ لا شكّ فيه * للائمةٍ وعذرى بالمعيب

فلما سمع مروان ذلك ، علم أنه لا يفعل ، ثم قال له عبد الحميد : إن الذى أمرتنى به ، لأنفعُ الأمرين لك ، وأقبحهما بى ، ولك علىّ الصـبر معك ، الى أن يفتح الله عليك ، أو أقتلَ معك .

والعرب تضرب المثل فى الوفاء بالسموءل بن عادياء الأزدىّ ، وقيل : إنه من ولد الكاهن بن هرون بن عمران . وكان من خبره ، أن آمرأ القيس بن حُجْر ، أودعه أدرعا مائة ، فأتاه الحرث بن ظالم ، ويقال الحرث بن أبى شمر الغسّانىّ ، ليأخذها منه ، فتحصّن منه السموءل ، فأخذ ابنا له غلاما وناداه : إما أن أسلمتَ إلىّ الأدرع ، وإما أن قتلت ابنك . فأبى أن يسلمَها ، فقتل آبنه بالسيف ، ففى ذلك يقول

وفَيتُ بأدْرُعِ الكِنْدِىِّ إنى ... إذا ما القومُ قد غَدَروا وفَيتُ

وأَوصَى عاديا يوما بأن لا ... تُهَـــدّمَ يا سموءلُ ما بَنَيتُ

وفيه يقول الأعشى

كن كالسموءل إذ طاف الهمامُ به ... فى جحفلٍ كسواد الليل جرّارِ
الأبلق الفرد من تيماء منزلُه ... حصن حصين وجارٌ غير غدّارِ
قد سامه خطّتَىْ خسف فقال له: ... قل ما بدا لك إنى سامعٌ حارِ
فقال: ثكل وغدر أنت بينهما ... فاختر وما فيهما حظٌّ لمختارِ
فشكّ غير طويل ثم قال له: ... اقتل أسيرك إنى مانع جارى

ومن وفاء العرب، مافعله هانئ بن مسعود الشيبانى، حتى جرّ ذلك يوم ذى قار، وكان من خبره: أن النعمان بن المنذر لما خاف كسرى، وعلم أنه لا منجا منه ولا ملجأ، رأى أن يضع يده فى يده، فأودع ماله وأهله عند هانئ، ثم أتى كسرى فقتله، وأرسل الى هانئ يطلبه بوديعة النعمان، وقال له: إن النعمان كان عاملى، فابعث الىّ بوديعته، وإلا بعثت اليك بجنود تقتل المقاتلة وتسبى الذرية. فبعث اليه هانئ: أن الذى بلغك باطل، وإن يكن الأمر كما قيل، فأحد رجلين، إما رجل استودع أمانة، فهو حقيق أن يردها على من استودعه إياها، وإن يسلم حر أمانته، أو رجل مكذوب عليه، وليس ينبغى للملك أن يأخذ بقول عدو. فبعث كسرى اليه بالجنود، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب، وبعث معه الكتيبة الشهباء والأسورة، فلما التقوا، قام هانئ بن مسعود، وحرض قومه على القتال، وجرى بينهم حروب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها، [illegible] فانتصر هانئ، وانهزمت الفرس، وكانت وقعة مشهورة [illegible] عبيد الله بن زياد [illegible] قال: [illegible]

[illegible]

فلما كان ذات يوم، قتل بعضُ الخوارج صاحبَ شرطة ابن زياد، فأمر أن يقتل من فى السجن من الخوارج، وكان مرداس إذ ذاك خارجا، فقال له أهله: اتّق الله فى نفسك، فإنك مقتول إن رجعت، فقال: ما كنت لألقى الله غادرا، وهذا جبّار، ولا آمن أن يقتلَ السجّانَ. فرجع وقال للسجّان: قد بلغنى ما عزم صاحبك عليه من قتل أصحابنا، فبادرت لئلا يلحقك منه مكروه. فقال له السجّان: خذ أىّ طريق شئت، فانج بنفسك.

خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المُهلَّب الى بعض جبابين الشام[١]، وإذا بامرأة جالسة عند قبر تبكى. فجاء سليمان ينظر إليها. فقال لها يزيد، وقد عجب سليمان من حسنها: يا أَمَةَ الله، هل لك فى أمير المؤمنين؟ فنظرت إليهما، ثم نظرت فى القبر، وقالت:

فإن تسألانى عن هواىَ فإنه * بحوماء هـذا القبرِ يافتيانِ
وإنى لأستحييه والتُّربُ بيننا * كما كنتُ أستحييه وهو يرانِي

ومن أحسن الوفاء، ما حكى عن نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان بن عفّان رضى الله عنه: أن معاوية خطبها فردّته، وقالت: ما يعجب الرجال منّى؟ قالوا: ثناياك، فكسرتْ ثناياها، وبعثت بها الى معاوية. فكان ذلك مما رغّب قريشا فى نكاح نساء كلب. وامرأة هُدْبة لما قُتل زوجها، قطَعت أنفها وشفتيها، وكانت جميلة الوجه، لئلا يرغب فيها.

ومن أحسن ما ذكر فى الوفاء والمحافظة، بيعة حبيبة ويمين، ذكرها بعض أهل الأدب فى تصنيفه، وهى: تبايع عبد الله فلان أمير المؤمنين، بيعة طوع وإيثار ورضا واختيار واعتقاد وإضمار وإعلان وإسرار وإخلاص من طويتك وصدق من نيتك،

---

(١) [illegible]

وانشراح من صدرك، وصحة من عزيمتك، طائعا غير مكره، ومنقادا غير مجبر، مقرا بفضلها، مذعنا بحقها، ومعترفا ببركتها، ومعتدا بحسن عائدتها، وعالما بما فيها، وفى توكيدها من صلاح الكافة، واجتماع كلمة الخاصة والعامة، ولم الشعث، وأمن العواقب، وسكون الدهماء، وعز الأولياء، وقمع الأعداء، على أن فلانا عبد الله وخليفته المفترض عليك طاعته، الواجب على الأمة إمامته وولايته، اللازم لهم القيام بحقه، والوفاء بعهده، لا تشك فيه، ولا ترتاب به، ولا تداهن فى أمره، ولا تميل، ولكنك ولى أوليائه، وعدو أعدائه، من خاص وعام، وقريب وبعيد، وحاضر وغائب، متمسك فى بيعته بوفاء عهد، وذمة عقد، سريرتك مثل علانيتك، وضميرك فيه وفق ظاهرك، على أن إعطاءك هذه البيعة من نفسك، وتوكيدك إياها فى عنقك، لفلان أمير المؤمنين، عن سلامة من قلبك، واستقامة من عزمك، واستمرار من هواك ورأيك، على أن لا تتأول عليه فيها، ولا تسعى فى نقض شىء منها، ولا تقعد عن نصرة له فى الرخاء والشدة، ولا تدع النصح له فى كل حال راهنة وحادثة، حتى تلقى الله موفيا بها، مؤديا للأمانة فيها، إذ كان الذين يبايعون ولاة الأمر وخلفاء الله فى أرضه إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه [illegible] عليك بهذه البيعة التى طوقتها عنقك، وبسطت لها يدك، وأعطيت فيها صفقتك، وما شرطت عليك فيها من وفاء، ونصح، وموالاة، ومشايعة، وطاعة، وموافقة، واجتهاد، ومبالغة، عهد الله إن عهده كان مسئولا، وما أخذ الله على أنبيائه ورسله عليهم السلام، وعلى من أخذ من عباده، من وكيد مواثيقه، ومحكمات عهوده، وعلى أن تتمسك بها، فلا تبدل، وتستقيم، فلا تميل، وإن نكثت هذه البيعة، أو بدلت شرطا من شروطها، أو عفيت رسما من رسومها، أو غيرت

حكما من أحكامها، معلنا أو مسرّا، محتالا أو متأولا، أو زُغْتَ عن السبيل التى يسلكها من لا يحتقر الأمانة، ولا يستحلّ الغدر والخيانة، ولا يستجيز حلّ العقود والعهـود. فكلّ ما تملكه من عين أو وَرِق، أو آنيـة أو عقَار أو سائمة أو زرع أو ضرع أو غير ذلك من صنوف الأملاك المعتقدة، والأموال المدّخرة، صدقة على المساكين، يحرّم عليك أن ترجع شيئا من ذلك الى مالكَ، بحيلة من الحيل، على وجه من الوجوه، أو سبب من الأسباب، أو مخرج من مخارج الإيمان، فكلّ ما تفيده عمرك من مال يقلّ خطره أو يجلّ فتلك سبيله الى أن تتوفاك [منيتك، أو يأتيك[(١)] أجلك. وكل مملوك لك اليوم من ذكر وأنثى أو تملكه الى آخر أيامك أحرار سائبون لوجه الله تعالى. ونساؤك يوم يلزمك الحنْث وما تتزوج بعدهن مدة بقائك طوالق ثلاثا. طلاق الحَرَج والسنّة لا مثنويّة فيها ولا رجعة. وعليك المشى الى بيت الله الحرام، ثلاثين حجّة حافيا راجلا، لا يرضى الله منك إلا بالوفاء بها، ولا يقبل الله صرفا ولا عدلا. وخذلك يوم تحتاج اليه، وبرّأك من حوله وقوّته، وألجأك الى حولك وقوّتك والله عز وجلّ بذلك شهيد (وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا) والله على ما نقول وكيل.

ذكر ما قيل فى التواضع

قال الله تبارك وتعالى: (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ). وقال الله تعـالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ). وقال قتادة فى تفسـير قوله تعالى: (وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) قال: هم المتواضعون. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض متواضعا.

---

(١) كذا فى الأصل. والذى بين مربعين يأتى فى صفحة ٢٥٠ بمربع مثله وهو ساقط بالأصل ويقع فى صفحتى [٣ و ٤] ورقة سقطت من نسخة [illegible].

وقال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار، ولقد رأيته يوم خُنَين على حمار خطامه ليف . وقال صلى الله عليه وسلم : « إن العفو لا يزيد العبد إلا عزّاً فاعفُوا يُعزّكم الله، وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رِفعة فتواضعوا يرفعكم الله، وإن الصدقة لا تزيد المال إلا نماء فتصدّقوا يزدكم الله » . وقال عروة ابن الزبير: التواضع أحد مصايد الشرف . وفي لفظ « سلّم الشرف » . وقال جعفر بن محمد : رأس الخير التواضع . فقيل له : وما التواضع ؟ فقال : أن ترضى من المجلس بدون شرفك وأن تُسلّم على من لقيت . وأن تترك المِرَاء وإن كنت مُحِقّاً .

وعن علي رضي الله تعالى عنه ولم يذكر المِرَاء فيه وزاد فيه : وتكره الرياء والسمعة . وقيل : ثمرة القناعة الراحة، وثمرة التواضع المحبة . وقيل: التواضع نعمة لا يفطن لها الحاسد . وقيل : التواضع كالوَهْدة يجتمع فيها قطرها وقطر غيرها .

وقال عبد الله بن المعتز : المتواضع من العلماء أكثرهم علماً، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء .

وكان يحيى بن خالد يقول : لست ترى أحداً تواضع في إمارة إلا وهو في نفسه أكبر مما نال من سلطانه .

ومن التواضع المأثور ما روي : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه [illegible]
[illegible]
له : [illegible]
[illegible]

البعيد ، ومن خاف الموت، خشى الفوت، فقال لها المعلّى، إيهاً، إليك يا أَمَةَ الله لقد أبكيتِ أمير المؤمنين ، فقال له عمر أتدرى مَنْ هذه ؟ ويحك! هذه خَوْلة بنت حكيم التى سمع الله قولها من سمائه، فعمرُ أحرى أن يسمع قولها ويقتدىَ به . وقال عدىّ بن أَرْطاة لإياس بن معاوية : إنك لسريع المشية، قال : ذلك أبعد من الكِبْر وأسرع الى الحاجة . وقال عمر رضى الله عنه وقد قيل له مثل هذا : أنجح للحاجة وأبعد من الكِبْر . أما سمعت قوله عز وجل ؟ (وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) .

وقد مدح الشعراء أهل التواضع . فمن ذلك قول أبى تمّـام حبيب

مُتَبَذِّلٌ فى القوم وهو مُبَجَّلٌ ✱ متواضع فى الحَىّ وهو مُعَظَّمُ

وقال آخر

متواضع ونُبْلُ يَحْرُسُ قدرَه   وأخو النباهة بالنباهة يَنْبُـلُ

وقال البحترى

دَنَوْتَ تواضعا وعَلَوْتَ مجدا   فشأناكَ ٱنحـدارٌ وٱرتفـاعُ
كذاك الشمسُ تبعد أن تُسامَى   ويدنو الضوء منها والشُّعاعُ

وقال أبو محمد التيمى

تواضَعَ لمّا زادَه ٱللهُ رفعةً   وكلُّ رفيعٍ قدرُه متواضِـعُ

وقال آخر

دَنوتَ تواضعاً وعلوتَ قدراً   فشيمتك تواضـعٌ وعُلُوُّ شأنِ

ذكر ما قيل فى القناعة والنزاهة

جاء فى تفسير قوله تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) أن المراد بالحياة الطيبة : القناعة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "القناعة مال لا يَنْفَدُ". وقال عليه السلام : "ما عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ" . ومن كلام على رضى الله عنه : كفى بالقناعة مُلْكًا، وبحسن الخُلُق نعيما .

وقال جعفر بن محمد : ثمرة القناعة الراحة .

وقال علىّ بن موسى : القناعة تجمع إلى صيانة النفس وعزّ القدرة طَرْحَ مؤونة الاستكثار والتعبّد لأهل الدنيا . ولا يسلك طريقَ القناعة إلا رجلان : إما متقلّل يريد أجرَ الآخرة ، أو كريم يتنزّه عن لئام الدنيا .

وقال [illegible] : القنع يعيش آمنا مطمئنا مستريحا مريحا ، والشَّرِهُ لا يعيش إلا تَعِبًا نَصِبًا فى خوف وأذًى .

وقال بعض الحكماء : عزّ النزاهة أشرف من [illegible] [illegible] على [illegible] أحسن من [illegible] منّة . وقال أبو ذؤيب الهذلى :

والنفس راغبة إذا رغّبتها ... وإذا تُرَدّ إلى قليل تقنع

وقال سالم بن وابصة :

غنى النفس يكفيك ما سدّ فاقة ... فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

وقال أبو هلال العسكرى :

[illegible]

وإن يصبرْ فإن الصبر أولى * بمَنْ عثرت به نُوَبُ الليـالى
تجمّـلْ إن بُليتَ بسوء حالٍ * فإن من التجملِ حسن حالِ

ذكر ما قيل فى الشكر والثناء

قال الله تبارك وتعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) فالشكر مما يوجب الزيادة .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنـه : لا يُزَهِّدك فى المعروف من لا يشكرك عليه، فقد يشكرك عليـه من لا يستمتـع بشىء منه ، وقد يُدرك من شكر الشاكر، أكثر مما أضاع الكافر، (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .

ومن تعزيه الفرس إلى إسفنديار: الشكر أفضل من النعمة لأنه يبقى وتلك تفنى .

وقال موسى بن جعفر : المعروف لا يكمّله إلا المكافأة أو الشكر، وقال : قلّة الشكر تُزهّد فى اصطناع المعروف .

وقيل : إذا قصرت يدك عن المكافأة، فليطلْ لسانك بالشكر . وقيل : للشـكر ثلاث منازل : ضمير القلب، ونشر اللسان، ومكافأة اليد . قال الشاعر

أفادتكم النعمـاء منّى ثلاثة يدى ولسانى والضميرَ المُحَجَّبا

وقال يحيى بن زياد الحارثىّ بن كعب

حلفتُ بربّ العيس تَهْوِى بركبها إلى حَرَمٍ ما عنه للنـاس معـدِلُ
لئن بعثَ النعماء فى مثلها عيبةً على المرء إلا مبلغ الشـكر أفضـلُ
ولا بلغتْ أيدى المُنيلينَ بَسْطةً من الطُّول إلا بسطةُ الشكر أطولُ

ولا ثَقُلَت فى الوزن أعباءُ مِنَّةٍ * على المرء إلا مِنَّـةُ الشـكر أثقـلُ
فمن شـكر المعروفَ يوما فقد أتى * أخا العرف من حُسن المكافاة من عَلُ

وقال رجل من غطفان

الشكر أفضلُ ما حاولتَ ملتمِسًا * به الزيادةَ عنـد الله والنـاسِ

وقال أبو بَجِيلةَ

شكرتُك إنّ الشكرَ حَبلٌ من التُّقى * وما كلُّ من أوليتَـه نِعمةً يقضى
ونبّهتَ لى ذِكرى وما كان خامِلًا * ولكنّ بعضَ الذِّكرِ أنبهُ من بعضِ

وقال آخر

سأشـكرُ عَمرًا ما تراختْ مَنِيّتى * أيادِىَ لم تُمْنَن وإن هِى جَلَّتِ
فتى غيرُ محجوبِ الغِنى عن صديقه * ولا مُظهِرُ الشكوى إذا النعلُ زَلَّتِ
رأى خَلّتى من حيث يَخفَى مكانُها * فكانتْ قَذَى عينيـه حتّى تَجَلَّتِ

وقال أبو تمـام

كَمْ نِعمةٍ منـك تَسَرْبَلْتُهـا * كأنّهـا طُـرّةُ بُرْدٍ قَشِيبْ
من نسـوتى إن وَفَى شـكرُه * قدمتْ نشـبيهى مقدمَ حصيب

وقال أبو عُيَيْنَةَ بن محمد بن أبى عُتْبةَ المُهَلَّبى

إذا تيـقّنتُ قد أوليتَنى مِنَنًا * تترى هى الـ … المغدوى من … …
ونستُ أُصنِعُ من شكرٍ أجوزُ به * … سـعـة … جسم … بدنى
لو كنتُ أعرِف فوقَ الشكرِ منزلةً * أوفى من الشكرِ … … فى ثمنِ
أخصصتُها … من قبَلى مُهـذَّبةً * … على … وزِنتَ من حسنِ

قالوا وأجود ما قيــل فى عِظم النعمة وقصور الشكر من قديم الشّـعر قول طُرَيح ابن إسماعيل

سعيتُ ٱبتغاء الشكر فيما صنعتَ لى * فقصّرتُ مغـلوبا وإنّى لشـاكرُ
لأنك تُولِيــنى الجميــلَ بَدَاهــةً   وأنت لمـا ٱستكثرتُ من ذاك حاقرُ
فأُرجِــع مَغْبوطا وترجِــعُ بالّتِى   لهـــا أوّلٌ فى المَكرماتِ وآخرُ

وقال دعبل

هجَرْتك لا عن جَفْـوةٍ ومَلَالَةٍ   ولا لِقِلًى أبطأتُ عنك أبا بَكرِ
ولكنّنى لمـا رأيتُــك راغبًا   فأفرطتَ فى بِرّى عَجَزتُ عن الشكرِ
فمـالآن لا آتيــك إلا تعـــذّرا   أزورُكَ فى الشهرينِ يوما وفى الشهرِ

وقال البحترى

هاتيك أخلاقُ إسماعيل فى تَعَبٍ   من العُلَا والعُلَا منهنّ فى تعبِ
[illegible]شكرى فأمسى منك فى نَصَبٍ   أقْصِر فمالىَ فى جَدواك من أرَبِ
لا أقبلُ الدهرَ نَيْلا لا يقوم له   شكرى ولو كان يُسديه إلىّ أبى
[illegible] [illegible] [illegible] عنى   أضعافِ شكرى فلم أظْفَر ولم أخِبِ

وقال أيضا

[illegible] هجرتك إذ هجرتك وحشة   لا العَـودُ يذهبها ولا الإبداءُ
[illegible] سمائى يديك فسوّدت   ما بيننا تلك اليـــدُ البيضاءُ
وقطعتنى بالجود حتّى إنّنى   متخوّفٌ أن لا يكون لِقـاءُ
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]   عجبٌ وبِرٌّ راح وهو جَفَـاءُ
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]   يرويهِ فيك لحسنهِ الاعداءُ

[illegible]

حتى يتمّ لك الثناءُ مخلّدا * أبدا كما تمّتْ لك النعماءُ
فتظلّ تحسدُك الملوكُ الصِّيدُ بى * وتظلّ تحسدُنى بك الشعراءُ

وقال الحسن بن هانئ

قـد قلتُ للعباس معتذرًا   من ضعفِ شكريه ومعترفا
أنت امرؤ جلّلتنى نِعَمًا   أوهتْ قُوى شكرى فقد ضعفا
لا تُسدِيَنَّ إلىّ عارفةً   حتّى أقومَ بشكر ما سلفا

وقال الحسين بن الضحّاك للواثق من أبيات

إذا كنتُ من جدواك فى كلّ نعمةٍ   فلا كنتُ إن لم أُفْنِ عُمْرِى بشكركا

وقال البحترى

إذا أنا لم أشكر لنعماك جاهدًا   فلا نلتُ نُعمى بعدها توجب الشكرا

وقال عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر

[illegible] لك شكرٌ [illegible] * فى [illegible] عنه [illegible]

وقال آخر

وكيف [illegible] وحده   [illegible]

وقال عبد [illegible] [illegible]
فقد [illegible]
قال : [illegible]

[illegible] معروف [illegible]   [illegible] معروف
[illegible]   [illegible] معروف

وقال ابن الرومى:

كم من يدٍ بيضاءَ قد أسـديتَها * تَثْنِي إليـك عِنانَ كلِّ وِدادِ
شَكَرَ الإلهُ صـنائعًا أوليتَها * سَلَكَتْ مع الأرواح فى الأجسادِ

وقال آخر

وأحسنُ ما قال امرؤ فيك مِدْحة * تلاقَتْ عليها مِنّـةٌ وقَبُولُ
وشكرٌ كأنّ الشمسَ تعنى بنشره * ففى كلّ أرض مُخْـبِرٌ ورسولُ

ومن كلام الحسن بن وهب: من شكرك على درجة رفعتَه اليها، أو ثروة أفدتَه إيّاها، فإن شكرى لك على مهجة أحييتَها، وحُشاشة أبقيتَها، ورَمَق أمسكته، وقمتَ بين التلف وبينه. ولكل نعمة من نعم الدنيا حدٌّ يُنتهَى إليه، ومدًى توقف عليه، وغاية من الشكر يسمو اليها الطرف. خلا هـذه النعمة التى فاتَتِ الوصفَ، وطالتِ الشكرَ، وتجاوزتْ كلَّ قَدْر، وأتت من وراء كلّ غاية، وردت عنّا كَيْد العدو، وأرغمتْ أنفَ الحسود، نلجأ منها الى ظِلٍّ ظليل، وكَنَفٍ كريم، فكيف يشكر الشاكر، وأين يبلغُ جهد المجهود.

وقال الشريف الرضىّ

ألبستنى نِعَـما عـلى نِعَـمِ * ورفعتَ لى عَلَمًـا على عَلَمِ
وعلوتَ بى حتّى مشيتُ على * بُسُـطٍ من الأعناق والقِمَمِ
فلأشكرنّ يديك ما شكرت * خُضْرُ الرّياض مَصانـعَ الدِّيَمِ
فالحمـدُ يبْقِى ذِكْرَ كلِّ فتًى * ويُبِينُ قَدْرَ مواقـعِ الكَرَمِ
والشكر مَهْـرٌ لصنيعة إنْ * طُلِبَتْ مُهُـورُ عقائِلِ النِّعَمِ

وقال أبو الحسن الكاتب المغربى:

سأشكر نُعماك التى بسطتْ بها * يَدى ولسانى فهو بالحمد ينطِقُ
وأُثنى بما أوليتنى من صنيعةٍ * ومن مِنّةٍ تَغدو علىَّ وتطرُقُ
وكلُّ امرئٍ يرجو نداك مُوفَّقٌ * وكلُّ امرئٍ يُثنى عليك مُصدَّقُ

وقال ابن رشيق القيروانى:

خُذْ ثناءً عليك غِبَّ الأيادى * كثناءِ الرُّبَى على الأمطارِ
سَقَطَ الشكرُ وهو موجبُ نعمـ * ـه سقوطَ الأنواءِ بالأثمارِ

ومن المُنعِمين من رأى أن الشكر بإظهار النعمة أبلغ منه بالنطق باللسان، وعاقب على ذلك بالحرمان.

فمن ذلك ما رواه أبو هلال العسكرى بسنده إلى العُتْبىّ قال: أراد جعفر بن يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعىّ، فدفع إلى خادم له كيسا فيه ألف دينار وقال: إنى سأنزل فى رجعتى إلى الأصمعىّ، ثم سيحدثنى ويُضحكنى، فإذا ضحكت، فضع الكيس بين يديه. فلما رجع ودخل إليه، رأى حُبًّا مكسور الرأس، وجرّة مكسورة العنق، وقصعة مشعبة، وجفنة أعشارا، ورآه على مصلى بال، وعليه بَرَنْكان أجرد، فغمز غلامه ألّا يضع الكيس بين يديه، فما بدع الأصمعىّ شيئا مما يُضحك الثكلان والغضبان إلا أورده عليه فما تبسم، ثم خرج، فقال لمن حوله من أصحابه: من استرعى الذئب ظلم، ومن زرع سبخة حصد الفقر، إنى والله لو علمت أن هذا يكتم معروف بالفعل، لما حفلت بنشره له باللسان، وأين يقع مديح اللسان

[illegible]

من آثار العيان؟ إن اللسان قد يكذب ، والحال لا تكذب، ولله در نُصَيب حيث يقول

فعاجُوا فأثْنَوْا بالذى أنت أهلُه ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

ثم قال : أعلمت أن ناووس أبرويز، أمدح لأبرويز من زُهَيْر لآل سِنَان ؟

وقالت الحكماء : لسان الحال، أصدق من لسان الشكوى .

وقد أجاد ابن الرومىّ فى هذا المعنى فقال

حتى تَبُوح بما أَوْليتَ من حسَنٍ فكلُّ ما تدعيـــه غـيرُ مردودِ

كلّى هجاء، وقتـلى لا يحـلُّ لكم فـا يداويكُمُ منّى سوى الجـودِ

وقالوا : شهادات الأحوال، أعدل من شهادات الرجال .

ذكر ما قيل فى الوَعْد والإنجاز

رُوِى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « وعد المؤمن كأخذٍ باليد » .

وقال حسن بن على رضى الله عنهما : الوعد مرض فى الجود، والإنجاز دواءه .

ومن كلامه : المسئول حُرٌّ حتى يَعِدَ، ومسترَقٌّ بالوعد حتى يُنْجِزَ .

وقال الزُّهْرىّ : حقيق على من أزهر بالوعد، أن يُثمِرَ بالفعل .

وقال مسلم بن الوليد عن أبيه قال : سألت الفضل بن سَهْل حاجة، فقال : أشرِّفك اليوم بالوعد، وأحبوك غدا بالإنجاز . وإنى سمعت يحيى بن خالد يقول : المواعيد شَبَكةٌ من شباك الكرام، يَصيدون بها محامد الأحرار، ولو كان المُعْطِى لا يعد، لارتفعت مفاخر المنجز وعده، ونقص فضل صدقِ المقال .

وقال الأبرش الكلبىّ لهشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين، لا تصنع إلىّ معروفا حتى تَعِدَنى، فإنه لم يأتنى منك سَيْب عن غير وعد . إلا هان علىّ قَدْرُه ، وقلّ منى

شكره، فقال له هشام: لئن قلتَ ذلك، لقد قال سيّدُ أهلك أبو مسلم الخَوْلانيّ: أنجعُ المعروف فى القلوب، وأبردُه على الأكباد، معروف منتظَر من وعد لا يُكدَّر بالمطل.

وكان يحيى بن خالد لا يقضى حاجةً إلا بوعد.

وقالت أعرابية لرجل: مالك تعطى ولا تَعِد؟ فقال: مالك وللوعد؟ قالت: ينفسح به البصر، وينشرح فيه الأمل، وتطيب بذكره النفس، ويرخى به العيش، وتربح به المدحَ بالوفاء.

قيل: كلّم منصور بن زياد يحيى بن خالد فى حاجة رجل فقال: عِدْه عنّى قضاءها. قال: وما يدعوك أعزّك الله إلى العِدَة مع وجود القُدْرة؟ فقال يحيى: هذا قول من لا يعرف موضعَ الصنائع من القلوب؛ إن الحاجة إذا لم تتقدمها وعد ينتظر به نُجْحها، لم تتجاذب الأنفس بسرورها، وإنما الوعد تطعّم، والإنجاز طعام، وليس من فاجأه طعام، كمن وجد رائحته، وتطعّم له وتطعّمه، ثم طَعِمه. فدع الحاجة تختمر بالوعد، ليكون لها عند المصطنع به حسن موقع، ولطف محلّ.

وقال موسى بن [illegible]: إن خشيت أن [illegible] الوعد، وخفت أن [illegible]، فأخرج من [illegible]، ولا تحل فى عقد [illegible]، فإن [illegible] كرم [illegible]، [illegible] من سبق فعله وعده، وصف كرمه [illegible]، وسقط عنه جميع ما ذكرت.

قال [illegible] معروفه [illegible]، [illegible]، [illegible]، [illegible] به.

[illegible]

وشكا رجلٌ جعفرَ بن يحيى لأبيه: أنه وعده وعدا ومَطَله به، فوقّع: يا بُنيَّ، أنتم معـاقل الأحرار ومَظانّ المطالب ومعادِنُ الشـكوى . فكونوا سَواءً فى الأقوال والأفعال، فإن الحُرّ يدّخر وعدَ الحر ويعتقده وينفقه قبل ملْكته، فإن أخفق أمله، كان سببا لذمّه واتّهامه وسوءِ ظنّه، حتّى يوارِيَ قُبْحُ ذلك حُسنَ يقينه، فأَنجِز الوعد، وإلا فأَقْصِرِ القول، فإنه أعذر والسلام .

قال: كُلِّم المأمون فى الحسين بن الضحّاك الخليع أن يردّ عليه رزقَه، فقال: أليس هو القائل فى الأمين

فلا فَرِح المأمونُ بالمُلْك بعـدَه ... ولا زال فى الدُّنيا طَرِيدًا مشردا

فما زالوا يتلطفون معه فى القول، إلى أن أَذِن له أن يُنْشِده، فأنشده

أَبِنْ لى فإنى قد ظَمِئتُ الى الوعدِ ... متى تُنجِز الوعدَ المؤكَّد بالعهدِ؟
أُعيذُكَ من صَدِّ الملوكِ وقد ترى ... تقطُّعَ أنفاسى عليك من الوَجْدِ
فما لى شَفيعٌ عند حسنك غيره ... ولا سببٌ إلا التمسـك بالوُدِّ
أيَخْلُ فَرْدُ الحُسنِ فرد صـفاتِه ... علىّ وقد أفردتُه بِهوًى وحدى
رأى اللهُ عبـدَ الله خيرَ عبادِه ... فملّكـهُ والله أعلم بالعبـد

فقال له المأمون: هذه بتلك، وقد عفونا عنك فقال: يا أمير المؤمنين، فأتبع عفوَك إحسانك. فأمر بردّ رزقه عليه، وكانت فى كلّ شهر خمسمائةِ دينارٍ، فقال المأمون: ولأنى نويتُ العفو عنه، وجعلت ذلك وعدا له من قبل، ما فعلته، وإنمـا ذكر الوعد فى تشبيبه يذكّرنيه .

وقال بعض ملوك العجم: البخل بعد الوعد، يضعُف قبحه على البخل قبلَه، ثم قويت فى أمرٍ ابحث أحسن منه؟

وقال بعض الشعراء

وَلِي منك مَوْعودٌ طابتْ نجاحه ... وأنت آمرؤٌ لا تُخلف الدهرَ مَوْعِدَا
وعوّدتَني أن لا تزالَ تُظلّني ... يدٌ منك قد قدّمتَ من قبلها يَدَا
فلو أن مجداً أو ندًى أو فضيلةً ... تُخَلِّدُ شيئاً كنتَ أنت المُخلَّدَا

وقال بشّار

وعدُ الكريم يَحُثُّ نائلَه ... كالغَيث يَسْبِقُ رَعْدُه مَطَرَهْ

وقال ابن الرومي

يَتَخطّى لِعِدَةٍ عُمَدَ الرَّعْـ ... ـدِ كَسَحِّ الحَيَا بِلا إيمَاضِ

ذكر ما قيل في الشفاعة

قال الله عز وجل: «مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا».

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى ليسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره، فيقول له: جعلت لك جاهاً، فهل نصرت به مظلوماً، أو قمعت به ظالماً، أو أغثت به مكروباً. وقال صلى الله عليه وسلم: أفضل الصدقة أن تعين بجاهك من لا جاه له. وقال: [illegible]

وقال: الشفيع جناح الطالب.

وقيل: قصد [illegible]

[illegible]

قال أبو تمـام

وإذا آمرؤ أسدى اليك صنيعة * من جاهه فكأنها من ماله

وقال رجل لبعض الملوك : إن الناس يتوسّلون اليك بغيرك، يسألون معروفك، ويشكرون غيرك، وأنا أتوسّل اليك بك، ليكون شكرى لك لا لغيرك .

قال بعض الشعراء

إذا أنتَ لم تَعطفْك إلا شفاعةٌ * فلا خيرَ فى ودّ يكون بشـافع

ذكر ما قيل فى الآعتذار والآستعطاف

رأيت جماعةً من أهل الأدب قد ألحقوا الاعتذار والاستعطاف بالمدح، كالحمدونىّ فى تذكرته، وغيره، فأثبت ما ألفيته إليه، وجعلته من فصوله . قال الله عزّ وجلّ : (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ) .

ورُوِىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من آعتذر اليه أخوه فلم يقبل، لم يَرِدْ علىّ الحوض » .

وقال علىّ رضى الله عنه : أَوْلَى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة . وقال : العفو زكاة الظَّفَر . وقال : إذا قدرت على عدوّك، فاجعل عفوك عنه شكرا للقدرة عليه .

وقال الحسن بن علىّ رضى الله عنهما : لا تعاجل الذنبَ بالعقوبة، وآجعل بينهما للاعتذار طريقا . وقال أيضا : [illegible] يكون شكره بمغفرة، إذ صفقت بالذنب المعذرة .

وقال جعفر بن محمد : شفيع المذنب إقراره، وتوبة المجرم الاعتذار .

وقالوا : ما أذنب من اعتذر، ولا أساء من استعذر .

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال : يا بنىّ لا يعتمد ليث أحد من [illegible] كائنا من كان، في أي حال كان، صديقا كان أو كائنا، فإن قلّت عدده، فكفك بأعداد بِرٌّ من صديقك، وذلًّا من عدوّك .

قال بعض الشعراء :

وإن كنت ترجو في عقوبته رحمة ... ولا تجدنْ عند تحوري في الأخرى

وقال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : [illegible] صديقك فرقه، [illegible] وعند [illegible] ووقعت [illegible] وورات [illegible] ولا تستكف من [illegible] وتدبّث [illegible] تحت [illegible] وتحى شرف من [illegible] في مكروه [illegible] عنى من حصن .

[illegible]

[illegible]

أعطت أعطت يسيرا، وإن آرتجعتْ آرتجعتْ كثيرا، ولم أشــكُها الى أحد قبلك، ولا أعددت الآنتصاف منها إلا الى فضلك، ولى مع ذمام المسألة لك، وحقّ الظُّلام اليك، ذمامُ تأميلك، وقدمُ صدقٍ فى طاعتك، والذى يملأ من النَّصَفَة يدى، ويُفرغ الحقَّ علىّ، حتى تكونَ لى محسِنا، وأكونَ بك الى الأيام مقتربا، أن تخلطنى بخواصّ خدمك الذين نقلتهم من حدّ الفراغ الى الشغل، ومن الخمول الى النباهة والذّكْر، فإن رأيتَ أنْ تعــذّبنى فقد آستعديتُ اليك، وتنصُرَنى فقد عذت بك، وتوسعَ لى كنفَك فقد أويتُ اليه، وتسمَنى بإحسانك فقد عوّلت عليه، وتستعمل يدى ولسانى فيما يصلحان له من خدمتك، فقد درستُ كتبَ أسلافك وهم القدوة فى البيــان، واستضأتُ بآرائهم، واقتفوتُ آثارَهم آقتفاءً جعلنى بين وحشىّ الكلام وأنيســه، ووقفنى منه على جادةٍ متوسطةٍ، يرجع اليها العالى، ويلحق بها المقصّر التالى، فعل إن شاء الله. قال: فعل إن شاء الله! قال: فجعل عبيد الله يرددها ويستحسنها، ثم قال: هذا أحقّ بديوان الرسائل.

ومن الآستعطاف: ما حكى أن محمد بن الحنفيّة، جرى بينه وبين أخيه الحسين، كلامٌ فافترقا متغاضبين، فلما وصل محمد الى منزله، كتب الى الحسين رقعة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن لك شرفا لا أبلغه، وفضلا لا أدركه، أبونا علىٌّ، لا أفضلك فيه ولا تفضلنى، وأمى امرأة من بنى حنيفــة، وأمّك فاطمةُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان ملء الأرض نساءً مثلَ أمى ما وفين بأمّك، فإذا قرأت رقعتى هــذه فالبس رداءك ونعليك وتعــال لترضانى، وإياك أن أسبقك الى هذا الفضل الذى أنت أولى به منى والسلام. فلبس الحسين رداءه ونعليه وجاء الى محمد وترضّاه.

وقيل : وقّع جعفر بن يحيى فى رقعة معتذرا : قد تقدمتْ طاعتُك ونصيحتُك ، فإن ثبت منك هفوة فلن تغلبَ سيئةٌ حسنتين .

وقال شاعر

إرضَ للسائل الخضوعَ وللقا ... رف ذنبًا مَذَمّةَ الإعتذار

قال أبو هلال العسكرىّ : لم يُروَ عن أحد قبل النابغة الذبيانىّ فى الاعتذار شعر ، فمن أجود ما روى له فيه ، قوله حين سعى به المنخّل اليشكُرىُّ إلى النعمان ، وزعم أنه غشى المتجرّدةَ حظيّةَ النعمان ، ووجد حين وصفها النابغة فى شعره فقال

وإذا لمستَ لمستَ أجثمَ جاثمًا ... متحيّزًا بمكانه ملءَ اليد

وإذا طعنتَ طعنتَ فى مستهدف ... رابى المجسّة بالعبير مقرمد

وإذا نزعتَ نزعتَ عن مستحصف ... نزعَ الحزوّر بالرشاء المحصد

فقال المنخّل للنعمان : هذا وصفُ من ذاقه ، فوقر ذلك فى نفس النعمان ، ثم وفد عليه رهط من بنى سعد بن زيد مناة من بنى قريع ، [illegible]

[illegible]

وهو [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فى [illegible]

[illegible]

لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنى جنايةً * لَمُبلغُك الواشى أغشُّ وأكذبُ
ولستَ بمستبقٍ أخا لا تَلُمُّــه * على شعثٍ! أىّ الرجال المهذبُ؟
فإن أكُ مظلوما، فعبدٌ ظلمتَه * وإن تكُ ذا عُتبى، فمثلك يعتبُ

يقول: مثلك يعفو ويُحسنُ وإن كان عاتبا، وفى كرمك ما يفعل ذلك، ولك العتبى والرجوع إلى ما تحب. ومنه قوله أيضا للنعمان

أتانى أبيتَ اللعنَ! أنك لمتنى * وتلك التى تستكُّ منها المسامعُ
مقالةُ أن قد قلتَ سوف أنالُه * وذلك من تلقاء مثلك رائعُ
فبتُّ كأنى ساورتنى ضئيلةٌ * من الرُّقش فى أنيابها السمُّ ناقعُ
تكلّفنى ذنبَ امرئٍ وتركتَه * كذى العُرّ يُكوى غيرُه وهو راتعُ

إلى أن قال

فإن كنتُ لا ذو الضِّغن عنى مُكذَّبٌ * ولا حَلِفى على البراءة نافعُ
ولا أنا مأمونٌ بشىء أقولُه * وأنت بأمرٍ لا محالة واقعُ
فإنك كالليل الذى هو مُدركى * وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ

وقال أيضا

نُبئتُ أن أبا قابوس أوعدنى * ولا قرار على زأرٍ من الأسدِ
مهلًا فداءٌ لك الأقوام كلُّهم * وما أُثمّر من مالٍ ومن ولدِ
لا تقذفنّى بركنٍ لا كفاءَ به (١) * وإن تأثّفك الأعداءُ بالرِّفَدِ
ما قلتُ من سيّئٍ مما أُتيتَ به * إذًا فلا رفعتْ سوطى إلىّ يدى

قال: [illegible] شبيه [illegible] وكل حبرتٍ خُضرا مطرّقةً بالجوهر.

(١) [illegible] تعريش.

قال العسكري : ولم يسلك أحد طريقته فأحسن فيها كإحسان البحتري، فمن اعتذاراته قوله فى قصيدته التى أولها

لوت بالسلام بنانا خضيبا *

قال منها

فديناك من أيّ خطب عرى ... ونائبة أوشكت أن تنوبا ١٩
وإن كان رأيك قد حال فيّ ... فلقّيتني بعد بشر قطوبا
يريبني الشيء تأتي به ... وأكبر قدرك أن أستريبا
وأكره أن يتمادى على ... سبيل اغترار فألقى شعوبا
أكذّب نفسي بأن قد سخطت ... وما كنت أعهد ظني كذوبا
ولو لم تكن ساخطا لم أكن ... أذمّ الزمان وأشكو الخطوبا
أيصبح وردي في ساحتيك طرقا ومرعاي محلا جديبا
وما كان سخطك إلا الفراق ... أفاض الدموع وأشجى القلوبا
ولو كنت أعرف ذنبا لما ... تخالجني الشك في أن أتوبا
سأصبر حتى ألاقي رضاك ... إما بعيدا وإما قريبا
أراقب رأيك حتى يصحّ ... وأصبر عنك حتى يثوبا

وقوله

عذيري من الأيام رنّقن مشربي ... ولقّينني نحسا من الطير أشأما
وأكسبنني سخط امرئ بتّ موهنا ... أرى سخطه ليلا مع الليل مظلما
تبلّج عن بعض الرضا وانطوى على ... بقية عتب شارف أن يتمّما
إذا قلت يوما: قد تجاوز حدّه ... تلبّث في أعقابه وتلوّما
وأصيد إن نازعته اللحظ ردّه ... كليلا وإن راجعته القول جمجما

[illegible]

شاه العدا عنى، فأصبح مُعرِضا * ووهّمــه الواشون حتى توهّمــا
وقد كان سهلا واضحا فتوعّرت ربابه، وطلّقــا ضاحكا فتجهّما
أمتخذٌ عندى الإســاءة محسنٌ * ومنتقم منى آمرؤ كان مُنعما
ومكتسِبٌ فىَّ الملامــةَ ماجــد * يرى الحمــد غُنماً والملامــةَ مَغْرما
يخوّفنى من ســوء رأيك معشرٌ * ولا خوف إلا أن تجور وتظلما
أعيذك أن أخشاك من غير حادثٍ تبيّن، أو جُرمٍ إليك تقــدما
ألستُ الموالى فيك نظمَ قصائدٍ هى الأنجم اقتادت مع الليل أنجما؟
أعِذْ نظرا فيما تسخطْتَ، هل ترى * مقالا دنيئــا أو فعالا مذمّما؟
وكان رجائى أن أؤوب مملّكا * فصار رجائى أن أؤوب مسلّما
حياء فلم يذهب بى الغىُّ مذهبًا * بعيدا، ولم أركب من الأمر مُعظَما
ولم أعرف الذنب الذى سؤتنى له فأقتــلَ نفسى حسرةً وتنــدّما
ولو كان ما خبّرتَه أو ظننته لمــا كان غروا أن ألوم وتكرما
أذكّرك العهدَ الذى ليس سؤددا تناسيه، والودَّ الصحيح المسلّما
وما حمل الركبان شرق ومغــربا وأنجد فى أعلى البــلاد وأتهــما
أقرّ بما لم أجنه متنصّــلا إليــك، على أنى إخالك ألوما
لى الذنب معروف، فإن كنتُ جاهلا به، فلك العتبى علىّ وأنعــما
ومثلك إن أبدى لفعلٍ إعاده وإن صنع المعروف زاد وتمّــما

وقال سعيد بن حُميد

أقللت ذنبا، وإن زعمت بأن أتيت ذنبا، فغــير معتمدِ
قد تطرِف الكفُّ عينَ صاحبها * فلا يرى قطعهَا من الرشد

وقال آخر

وكنتُ اذا ما جئتُ أدنيتَ مجلسى * ووجهك من ماء البشاشة يقطُر
فمن لى بالعين التى كنتَ مرّةً * الىّ بها فى سالف الدهر تنظرُ

وقال آخر

اغتفر زلّتى لتحرز فضل ال * عفو عنى ولا يفوتك أجرى
لاتكلنى الى التوسّل بالعذ * ر لعلّى أن لا أقوم بعذرى

وقال بعض فضلاء الأندلس

إنى جنيتُ ولم يزل أهل النهى * يهبون للجانين ما يجنونه
ولقد جمعتُ من الذنوب فنونها * وجمعت من صفح الجميل فنونه
من كان يرجو عفوَ مَن هو فوقه * فليعف عن ذنب الذى هو دونه

الباب الثانى

من القسم الثالث من الفن الثانى

فى الهجاء، وفيه أربعة عشر فصلا

١. ما قيل فى الهجاء ومن يستحقه .
٢. ما قيل فى الحسد .
٣. ما قيل فى السعاية والسعى .
٤. ما قيل فى الغيبة والنميمة .
٥. ما قيل فى الحمق والبله والجهل ومن اشتهر بحمقه .

ما قيل فى التطفيل ويتّصل به أخبار الأُكَلَة والمؤاكلة .

ما قيل فى الجبن والفرار .

ما قيل فى الحمق والجهل .

ما قيل فى الكذب .

ما قيل فى الغدر والخيانة .

ما قيل فى الكبر والعجب .

ما قيل فى الحرص والطمع .

ما قيل فى الوعد والمطل .

ما قيل فى العىّ والحَصَر .

ذكر ما قيل فى الهجاء ومن يستحقه

قال الله تعالى : (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) فهذه رخصة لمن ظلم فى الانتصار .

وقال حسّان بن ثابت الأنصارىّ يردّ على أبى سفيان بن الحارث

أَلا أبلغ أبا سفيان عنى * مغلغلةً[1] فقد برح الخفاءُ

هجوتَ محمّدا فأجبتُ عنه * وعندَ الله فى ذاك الجزاءُ

أتهجوه ولستَ له بكفءٍ * فشرّكما لخيركما الفداءُ

---

(١) يقال رسالة مغلغلة : أى محمولة من بلد إلى بلد .

لنا فى كلّ يومٍ من معــدّ * سبابٌ أو قتــالٌ أو هجاءُ
لسانى صارمٌ لا عيب فيه * وبحـرى لا تكدّره الدّلاءُ
فإنّ أبى ووالدتى وعِرضى * لعـرض محمّدٍ منكـم وِقاءُ

ويستحقّ الهجاءَ من آتصف بسوء الخصال، واتسم بأخلاق الأرذال والأنذال، وجعل اللؤم جلبابه وشعاره، والبخل وِطاءه ودثاره. وسأذكر جماع ما آتصفوا به من سوء الفعال، وأسّسوا بنيانهم عليه من قبح الخلال .

قال بعض الحكماء : أربعة من علامات اللؤم : إفشاء السرّ، وآعتقـاد الغدر، وغِيبة الأحرار، وإساءة الجوار .

وسأل عبـد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف عن خلقه، فتلكأ عليه وأبى أن يخبره فأقسم عليـه فقال : حسود، كنود، حقود، فقال عبد الملك : ما فى إبليس شرٌّ من هذه الخلال ؛ فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال : لقد انتحل الشرّ بحذافيره، ومرق من جميع خلال الخير، وذلّق فى ذمّ نفسه، وتجرّد فى الدلالة على لؤم طبعه، وأفرط فى إقامة الحجّة على كفره، وخرج من الخلال الموجبة رضى ربّه . ١

قال أبو تمــام

تأنَّستْ بذميم الفعلِ طلعتُه * تأنُّسَ المقلة الرمداء بالظُّلَمِ ١

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أربعة، من كنّ فيه فهو منافق، مَن إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا اؤتمن خان » .

وقالوا : اللئيم كذوب الوعد، خؤون العهد، قليل الرفد . وقالوا : اللئيم إذا آستغنى بطر، وإذا آفتقر قنط، وإذا قال أفحش، وإذا سئل بخل، وإن سأل ألحّ، وإن

أُسدِىَ اليه صنيعٌ أخفاه، وإن آستُكتِمَ سرًّا أفشاه، فصديقه منه على حذر، وعدوّه منه على غَرَرٍ(١) .

وإنّ للشعراء والبلغاء فى الذّم والهجاء نظما ونثرا سنورد منه طُرَفا، ونشرح ما يجعل ضوء النهار على المقول فيه سَدَفا(٢) .

فمن ذلك ما قاله أحمد بن يوسف الكاتب فى بنى سعيد بن مسلم بن قتيبة: محاسنهم مساوئُ السِّفَل، ومساوئهم فضائحُ الأمم. وألسنتهم معقودة بالعِىّ، وأيديهم معقولة بالبخل. وأعراضهم أعراض الذمّ؛ فهم كما قيل

لا يَكثُرون وإن طالتْ حياتُهمُ . ولا تَبِيــد مخازيهم وإن بادوا

وذمّ أعرابىّ قوما فقال

هم أقلّ الناس ذنوبا إلى أعدائهــم. وأكثرهم تجرؤا على أصدقائهم، يصومون عن المعروف، ويُفطِرون على الفحشاء .

وذمّ أعرابىّ قوما فقال: قوم سُلِخت أقفاؤُهم بالهجاء، ودُبغت جلودُهم باللؤم، فلباسهم فى الدنيا الملامة، وفى الآخرة الندامة .

وكان عيسى بن فرخان شاه يتيــه على أبى العَيْناء حال وزارته، فلمــا صرف عن الوزارة لقيه أبو العيناء فى بعض السكك فسلّم عليــه سلاما خفيفا، فقال أبو العيناء لغلامه: من هــذا؟ قال: أبو موسى. فدنا منه حتّى أخذ بعنَان بغلته وقال: لقد كنت أقنع بإيمائك دون بيانك. وبلحظك دون لفظك، الحمد لله على ما آلت اليه حالك. فلئن كانت أخطأت فيك النعمة. لقد أصابت فيك النِّقمة؛ ولئن كانت الدنيا أبدت صفحتها بالإقبال عليك. لقد أظهرت محاســنَها بالإدبار عنك، ولله المِنّةُ

(١) غرر: تعرض بهلكة . (٢) سدف: صبح .

إذ أغنانا عن الكذب عليك، ونزّهنا عن قول الزور فيك. وقد والله أسأتَ حمل النعمة، وما شكرتَ حقّ المنعم؛ ثم أطلق يده من عِنانه، ورجع الى مكانه فقيل له: يا أبا عبد الله! لقد بالغتَ فى السَّبّ، فما كان الذنب؟ قال: سألته فى حاجة أقلّ من قيمته، فردّنى عنها بأقبح من خلقته.

قال بعض الأعراب: نزلت بذلك الوادى فإذا ثياب أحرار على أجساد عبيد، إقبال حظهم، إدبار حظ الكرام، [illegible] شعر فقال:

أرى حُلَلًا تُصان على رجالٍ ... وأعراضًا تُذال ولا تُصان
يقولون الزمان به فسادٌ ... وهم فسدوا وما فسد الزمان

وسئل بعض البلغاء عن رجل فقال: هو صغير القَدْر، قصير الشِّبْر، ضيّق الصدر، لئيم النَّجْر[1]، عظيم الكِبْر، كثير الفخر.

وذمّ أعرابىّ رجلا فقال: هو عبد البَدَن، حُرّ الثياب، عظيم الرُّواق، صغير الأخلاق، الدهر يرفعه، ونفسه تضعه.

وقال آخر: [illegible] فى دينه، قَذِر فى [illegible]، رَثّ فى مروءته، [illegible] فى هيئته، منقطع [illegible] نفسه، [illegible] عن عقله، [illegible] فضله، [illegible] ولا يعرف حقّ الأكابر.

وترجم [illegible]

[illegible]

[illegible]

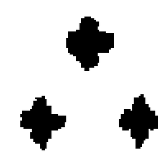
(1) [illegible]

يشرع ، ناهيك به من رجل ما تَطَهّر من جنابه ، ولا أظهر مَخِيلةَ إنابه ، ولا آستنجى من حَدَث ، ولا آستحيى فؤاده مُوارًى فى جَدَث ، ولا أقرّ ببارئه ومُصوِّره ، ولا فرّعن تباريه فى ميدان تهوّره ، الإساءة اليــه أجدَى من الإحسان ، والبهيمة أهدَى عنده من الإنسان ، نظر فى تلك التعاليم ، وفكّر فى أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم ، ورفَض كتاب الله الحكيم العليم ، ونبذه وراء ظهره ، ثانِيَ عِطْفه ، وأراد إبطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وآقتصر على الهيئة ، وأنكر أن يكون له عنــد الله تبارك وتعالى فيئة ، وحكم للكواكب بالتدبير ، وآجترم على الله اللطيف الخبير ، وآجترأ عند سماع النهى والإيعاد ، وآستهزأ بقوله تعالى : (إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) فهو يعتقــد أن الزمان دَوْر ، وأن الإنسان نبات له نَوْر ، حِمامُه تَمَــامُه ، وآختلافه فطامه ، قد محِى الإيمــان من قلبه فما له فيه رسم ، ونَسِيَ الرحمنَ لسانُه فما يمرّ له عليه آسم ، وآنتمت نفسه لمضلات وتاسبات ، ونفت يوماً تُجزَى فيه كُلُّ نَفْسٍ بما كسبتْ ، فقصر عمرَه على طَرَب ولهو ، وآستشعر كل كِبر وزهو ، وهو يعكِفُ على سماع التلاحين ، ويقف عليها كلّ حيــن ، يعنى بذلك الاعتقاد ، ولا يؤمن بشىء قادنا الى الله فى أسلس مَقَاد ، مع منشإ وخيم ، ولؤم أصل وخيم[1] ، وصورةٍ شوّهها الله وقبحها ، وضعةٍ نورها كاسِف لبيحها ، وقدارة يؤذى البلادَ نفَسُها ، ووضارةٍ يحكى الحداد دنَسَها وفَنَدٍ لا يَعمر بلا كنفه ، ونَدىً لا يُقوِّم إلا الصِّفَادُ جَنَفه[2] .

وكتب أحمد بن يوسف : أما بعــد فإنى لا أعرف للمعروف طريقا أوعر من طريقه إليك ، لأنه يحصل منك بين حسب دنىء ، ولسان بَذِىء ، وجهل قد ملك عليك طبعَك ، والمعروف لديك ضائعُ ، والشكر عندك مهجورٌ ، وإنما غايتك فى المعروف أن تحقِّره ، وفى وليّه أن تكفُره .

---

(1) حيم . سحية . (2) جنف : ميل .



ومما قيل فى الهجاء من النظم

فمن ذلك قول جرير وهو أهجى بيت قالته العرب

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيْرٍ ❊ فلا كَعْبًا بلغت ولا كِلَابَا

ولو وُضِعَتْ فِقَاحُ بنى نُمَيْرٍ ❊ على خَبَثِ الحَدِيدِ إِذًا لذابا

وقال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعر وَدُّوا أنهم افتدَوْا منه بأموالهم، وشعر [illegible] يسرّهم به حُمْرُ النَّعَم؟ فقال أسماء بن خارجة : نحن يا أمير المؤمنين! قال : وما قيل فيكم؟ قال : قول الحارث بن ظالم

وما قومى بثعلبة بن سعد ❊ ولا بفزارة الشُّعْرِ الرِّقَابا

فوالله يا أمير المؤمنين! إنى لألبس العمامة الصفيقة فيخيّل إلىّ أن شعر قفاى قد بدا منها. وقول قيس بن الخطيم

[illegible] لإقامة يوم بدر ❊ [illegible]

[illegible] يسرّه أن له به حُمْرَ النَّعَم. فقال هانئ بن قبيصة [illegible] . [illegible]

يا أمير المؤمنين! قال : وما قيل فيكم؟ قال : قول جرير

فغض الطرف [illegible] من نمير

[illegible] وقول [illegible]

[illegible]

[illegible] حُمْرَ النَّعَم

قال العسكرى : [illegible]

[illegible]

قال : قلت فيهم بيتا لو طُعِنَ أحدُهم فى آسته لم يحكّها ! وقالوا : مرت آمرأة بنى نُمَير فتغامزوا إليها فقالت : يا بنى نمير ! لم تعملوا بقول الله ولا بقول الشاعر، يقول الله تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ويقول الشاعر

* فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيرٍ *

فخجلوا ؛ وكان النُّمَيرىّ إذا قيل له : ممن أنت؟ قال : من نُمَير، فصار يقول : من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ .

قال العسكرىّ : ولو قيل إنّ أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو

ولو تُرْمَى بِلُؤْمِ بَنِي كُلَيْبٍ * نُجومُ الليلِ ما وضَحَتْ لِسَارِي
ولو يُرْمَى بِلُؤْمِهِمُ نهار * لدنّس لؤمهم وَضَحَ النَّهارِ
وما يَغْدُو عَزِيزُ بنى كُلَيْبٍ * ليطلبَ حاجةً إلا بِجَار

ومثله قول الآخر

ولَوْ أَنَّ عَبْدَ القَيْسِ ترمى بلؤمها   على الليل لم تَبْدُ النجومُ لِمَنْ يَسْرِى

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى

تَبِيتون فى المَشتى مِلاءً بطونكم   وجاراتُكم غَرْثَى يَبِتْنَ خَمائِصا

وهذا البيت من أبيات وله سبب نذكره الآن فى هـذا الموضع وإن كان خارجا عن مكانه وذلك : أن عامر بن الطُّفَيل بن مالك وعلقمة بن عُلاثَةَ تنازعا الزعامة فقال عامر : أنا أفضل منك ! وهى لعمّى ولم يمت، وعمّه عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب وكان قد أُهتر وسقط . وقال علقمة : أنا أفضل منك ! أنا عفيف، وأنت

عاهر، وأنا وفيٌّ وأنت غادر، وأنا وَلُود وأنت عاقر، وأنا أدنى إلى ربيعة. فتداعيا إلى هَرِم بن قُطْبة ليحكم بينهما فرحلا إليه ومع كل واحد منهما ثلثمائة من الإبل، مائة يُطعمها مَنْ تبعه، ومائة يُعطيها للحاكم، ومائة تُعقر إذا حكم. فأبى هرم بن قطبة أن يحكم بينهما مخافة الشرّ وأبيا أن يرتحلا، فخلا هَرِم بعلقمة وقال له: أترجو أن ينفّرك رجل من العرب على عامر فارس مُضَر، أندى الناس كفًّا، وأشجعهم لقاءً، لسنانه رمح عامر أذكر في العرب من الأحوص، وعمّه ملاعب الأسنة، وأمّه كبشة بنت عروة الرحّال، وجدّته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضحياء، وأمها من النَّخَع، وكانت أمّه مَهِيرة. وأمّ علاثة أخيذة من النخع. ثم خلا بعامر فقال له: أعلى علقمة تفخر؟ أنت تناوئه، أعلى بن عوف بن الأحوص أعفّ بني عامر وأنجبهم تقيّة، وأحلمهم وأسودهم وأنت أعور عاقر مشئوم! [illegible] أكنت تظن أن أحدا من العرب ينفّرك عليه؟ فلما [illegible] قال: أتى كركيّ [illegible] رضيين.

قال العسكري: [illegible] كركيّ [illegible] كل واحد منهما [illegible]

[illegible]

[illegible] أمير المؤمنين [illegible]

قال [illegible]

وكان [illegible]

لا يخفى على [illegible]

[illegible]

وَدِيَتُــه ، فقال الأعشى لعامر : أظهر أنكما حَكَّمْتُمانِى ففعل ؛ فقام الأعشى فرفع عَقِيرتَه (أى صوته) فى الناس فقال

حَكَّمْتُموه فَقَضَى بينكم أبلج مثل القَمَرِ الزاهِرِ
لا يأخذ الرِّشوة فى حُكمِهِ ولا يبـالى خُسُرَ الخاسِرِ
علقم لا لستَ الى عامرِ الـــــناقض الأوتار والواترِ
واللابس الخيل بخيلٍ اذا ثار عَجَاجُ الكَبَّةِ الثائرِ
ىَنسد لحوص فلم تعذهم وعَامِرٌ سادَ بَنِي عَامِرِ
سد ولَّى رهطَه سادةً وكابِراً سادُوك عن كابِرِ

قل وشدّ قوم فى أعراض الإبل لمــائة فعقروها وقالوا: نُفِّرَ عامر، وذهبت بها عوعاء، وجهد علقمة أن يردّها فلم يقدر على ذلك. فجعل يتهدّد الأعشى فقال

أتانى وعيد الحوص من آل عمر فيا عبد عمرو لو نهيتَ الأحاوِصَا
فـ دد ـ ن حس ىحر ـن عَمِّكم و حـرك ساجٍ لا يوارى الدَّعامِصَا
كلا أبويكم كان فرع دعامة ولكنَّهم زادوا وأصبحتَ ناقِصَا
تبيتون فى المشتى ملاءً بطونكم وجاراتكم غَرْثَى يَبِتْنَ خمائِصا
يراقبن من جوع خِلالَ مخافة نجوم السماء العاتمات الغوامِصَا
رمى بك فى أُخراهمُ تركُك الندى وفضّل أقواما عليك مراهِصَا
فعضّ حديدَ الأرض إن كنت ساخطا بفيك وأحجارَ الكلاب الرَّواهِصَا

قل فبكى علقمة لما بلغه هذا الشعر، وكان بكاؤه زيادة عليه فى العار، والعرب تعيّر بالبكاء. قال مهلهل

نبكّى علينا ولا نبكى على أحد ونحن أغلظ أكبادا من الإبل

وقال جرير

بكى دَوْبَلٌ لا يُرقِئُ اللهُ دَمعَهُ ٭ ألا إنّما يبكي من الذُّل دَوْبَلُ

قال عبد الملك بن مروان لأمية : مالك وللشاعر إذ يقول

إذ هتف العصفورُ طار فؤادهُ ٭ وليثُ حديدُ الناب عند الثرائد

فقال : أصابه حدّ من حدود الله فأقمته عليه قال : فهلّا درأته عنه بالشبهات ؟ قال : كان أهون عليّ من أن أعطّل حدّا من حدود الله فقال : يا بني أمية أحسابكم أحسابكم أنسابكم أنسابكم لا تعرضوها لمقصدات الشعر فإنه لا يذهبها الليل والنهار إلا جدّة . ولله ميسرتي أن هجيت بيت الأعشى حيث يقول : [illegible] في [illegible] وفي الدنيا [illegible] ولو أن رجلا خرج من عرض الدنيا كان قد أخذ بحظه [illegible] [illegible]

على مكثريهم حق من يعتريهم ٭ وعند المقلّين السماحة والبذل

وهذا بيت زهير .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل لجرير

ما زال فينا رِباطُ الخيل مُعْلمةً * وفي كليبٍ رِباطُ اللُّؤمِ والعَـارِ
قومٌ إذا آستنبح الأضيافُ كَلْبَهُمُ قالوا لأمهم : بُولِي على النَّـارِ

قالت بنو تميم : ما هجينا بشيء هو أشدّ علينا من هـذا البيت، وهو يتضمن وجوها شتَّى من الذم : جعلهم بخلاء بالقِرَى، وجعل أمّهم خادمهم، يأمرونها بكشف فَرْجها، وجعلهم يبخلون بالماء أن يطفئوا به النار، وجعل نارهم من قلّتها تطفى ببوله، وأغرى بينهم وبين المجوس، لتعظيم المجوس للنار، وإهانتهم لهـا إلى غير ذلك .

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح

تميمٌ بطُرْقِ اللؤمِ أهـدى من القَطَا ولو سلكتْ طُرْقَ المكارم ضَلَّتِ

وقال أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق

لَلُؤمُ أكرمُ من وَبْرٍ ووالده وللؤم أكرم من وَبْر وما وَلَد
قومٌ إذا ما جَنَى جانيهمُ أمِنوا من لُؤمِ أحسابهم أنْ يقتَلوا قَوَدَا

وقال مسلم بن الوليد يهجو دِعْبِل الخزاعيّ

أمّا الهِجَاءُ فدقّ عِرْضُك دونَه والمدح عنك كما علمتَ جَليلُ
فاذهبْ فأنت طَليقُ عِرْضِك إنّه عِرضٌ عززتَ به وأنت ذليلُ

وكان السبب في ذلك أنه كان خرج من عند الفضل بن سهل، فسمع دعبل ما هو فيه من حَظْوَة عنده، فصار إلى مرو، وكتب إلى الفضل بن سهل

لا تَعْبأنّ ابنَ الوليد فإنّه يرميك بعـد ثلاثة بمَلالِ
إن المَلُولَ وإن تقادم عهده كانت مودّته كفَيْءِ ظِلالِ

فدفع الفضل الرقعة إلى مسلم، فلما قرأها قال : هل عرفت لقب دعبل وهو غلام أمرد يفسق به ؟ فقال : لا، قال : كان يلقب بمياس، وكتب إليه

مياسُ قل لى : أين أنتَ من الورى ؟ لا أنت معلوم ولا مجهولُ

أما الهجاء الح[illegible] ومنه [illegible] إبرهيم بن العباس فقال

فكن كيف شئتَ وقل ما [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

وأنشد الجاحظ

[illegible]

وقال لآخر

[illegible]

وقال آخر

[illegible]

[illegible]

وقال [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وقال أبو هلال العسكري:

أهنتُ هجائى يابن عُروةَ، فانتحى * علىَّ ملامُ الناس فى البعد والقربِ

وقالوا: أتهجو مثله فى سقوطه؟ * فقلت لهم: جرَّبتُ سيفى فى كلبِ

وقال ابن لنكك

وعصـــبةٍ لمـّا توسّــــطتهمْ * صارت علىَّ الأرضُ كالخاتَمِ

كأنّهـــم من سوء أفهامهـــم * لم يخرجوا بعدُ إلى العـالَمِ

يَضحكُ إبليسُ سرورًا بهـــم * لأنهـــم عارٌ عـــلى آدمِ

وقالوا أهجى بيت قاله محدث قول الآخر

قَبُحتْ مَناظرُهم، فحين خبرتُهم * حسُنتْ مناظرُهم لقبح المَخْـبرِ

وقال العسكرى: ولست أعرف فى الهجاء أبلغ من قول الأول

إن يفجُروا أو يغدروا * أو يبخَلوا لم يحفِلوا

وغدوا عليـــك مُرجَّلين كأنّهـــم لم يفعلوا!

ومن البليغ قول حسان

أبناء [illegible] فلن تلقى لهم سببا * [illegible] على أكتافها الشَّـعَرُ

إن فاخروا [illegible] أو كاثروا كثروا * أو [illegible] عن أحسابهم قُمِروا

كأنّ ريحهمُ فى الناس إن خرجوا * ريحُ الكلاب إذا ما مسّها المطرُ

وقال [illegible]

[illegible] * ولستَ بخيرٍ من أبيك وخالكا

وإنّ أحقّ الناس ألا تلومه * على اللؤم من ألفى أباه كذلكا

وقال الآخر

سل الله ذا المن من فضله ... ولا تسألن أخا نائله
فمن سأل الله غير الخاب ... ولو كان من ناهيه

وقال آخر

ولو قيل للكلب: يا باهلي ... لعوى من قبح هذا النسب

وقال زياد: ما هجيت ببيت قط أشد علي من قول الشاعر

فكر ففي ذاك إن فكرت معتبر ... هل نلت مكرمة إلا بتأمير
عاشت سمية ما عاشت وما علمت ... أن ابنها من قريش في الجماهير

وقال إبراهيم بن العباس

ولما رأيت لا [illegible] ... تهيب ولا [illegible] ١
وليس عدوك المتقي ... وليس صديقك [illegible]
أتيت بك الشوق شوق هواك ... فقديت: هل [illegible]
على رجل عادل بالتصديق ... [illegible]
فما جاءني رجل واحد ... يرد على درهم واحد
سوى رجل [illegible] ... وحاشا [illegible]
فبعثت [illegible] ... [illegible]
وأنت [illegible] ... [illegible]

وقال العسكري

[illegible]
[illegible] ٢

من عصبةٍ شتَّى اذا اجتمعوا   شبَّهتُ داركم بهم عرقَهْ
فورثتَ من ذا قُبْحَ مَنْظَرِهِ   وورثتَ ذاك خناه أو صلقَهْ (٨٤)

وقال الحسن بن مطران شاعر اليتيمة

كم غصتُ في مدحك فكرا على   درٍّ نفيس غـــيرِ مثقـــوبِ
ولم يغض رأيك يوما عـــلى * برٍّ، ولا رأيٌ لمكـذوبِ
إن كان موعودك في الجود لي   أكذب من موعودِ عُرقوبِ
فإنّ أخبـارك في مدحتي * أكذبُ من ذئب ابن يعقوبِ

وقال أحمد بن محمد بن حامد شاعر الخريدة

أبيت بقومٍ ما لهم في العلا يدٌ * ولا قدمٌ تسعى لبذل الصنائع
إذا نظرتْ عيني إليهم تنجّستْ * برؤيتهم طهّرتُها بالمدامع

وقال المتنبّي

إن أوحشتك المعالي   فإنها دار غُربَهْ
أو آنستك المخازي   فإنها بك أشبَهْ

وقال أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحجّاج

ولقـد عهدتك تشتهي   قربي، وتستدعي حضوري
وأرى بخف عند وقف   مثل لمسا بعد الخورِ
بخرية عدس صحيح النِّيء وخبزِ الفطيرِ
في جوف محق ضيعة وثَوى سيخ كبيرِ
يجري فحرج سره   يبرن من وجع الزحيرِ
فسوة عنه عسى   نيّص وأبن الكثيرِ

وفطائرٍ عُجنتْ بلا الـــملح الجريش ولا الخمير
يا نَتْنَ رائحة الطبيـــخ إذ تغيّر في قدور
يا عُشّ بيض القمل فـــرّخ في السولف والشعور
يا بولَ صبيان الفضا [illegible] في [illegible]
يا بعض تدخين [illegible] في [illegible] من [illegible]
يا حرّ [illegible] [illegible]
يا دِيَة المظلوم أصبح [illegible]
يا [illegible]
يا كلّ شيء [illegible]
يا [illegible]
[illegible]

يا شؤمَ إقبالِ الشتا ءِ أضرَّ بالشيخ الفقيرِ
يا دولةَ الحُسْنِ التى خُسِفَتْ بأيّام السّرورِ
يا ضجّةَ الضَّجِرِ المصدَّع بالتنازُع والشّرورِ
يا عثرةَ القلمِ المرشّش بين أثناءِ السطور
يا ليلةَ العُريانِ غِبَّ عشيّةِ اليومِ المَطيرِ
يا نومةً فى شمس آ بَ على الترابِ بلا حَصيرِ
يا لذّةَ المكروه فى اليوم العبوس القَمطريرِ
يا نهمةَ الكَلْبِ الرضيعِ ونَكهةَ الليثِ الهصورِ
يا عيشَ عانٍ موثَقٍ فى القَيْدِ مغلولٍ أسيرِ
يا حِدّةَ الرَّمَدِ الذى لا يستفيقُ من القُطورِ
يا عِيشةَ الكنّاس من شمِّ الذرائرِ والعبيرِ
يا حَيْرةَ العطشانِ وقتَ الظُّهر فى وسَط الهجيرِ
من ذى يأمن تلقّفَ خيلِ بنى كلاب بلا خفيرِ
وأرى بعينى خمّت المطبوخَ فى حَرِّ الهجيرِ
فى الأرض ما بين لسع وفى السما بين النُّسورِ

وقال المتنبى

يمشى بأربعة على أعقابه تحت العجاج ومن وراء يُلجمُ
وجفونه ما تستقرّ كأنها مطروفةٌ أو فُتَّ فيها حِصرمُ
وتراه أصغر ما تراه ناطقاً ويكون أكذبَ ما يكونُ ويُقسمُ

واذا أشار مكلّما فكأنه * قردٌ يُقهقهُ أو عجوزٌ تلطمُ

يقلي مُفارقةَ الأكفّ قذالُه * حتى يكادَ على يدٍ يتعمّمُ

* * *

ومما يذمّ به الرجل أن يكون ثقيلاً. وأبلغ ما قيل في ذلك قول بعضهم

وثقيل أشدّ من غصص المو * ت ومن زفرة العذاب الأليم

لو عصت ربّها الجحيمُ لـ[illegible] كا * ن [illegible] عقوبة [illegible]

وأبلغ ما قيل في هذا المعنى قول بشار

ولقد قلتُ حين وتّد في الأر * ض [illegible]

كيف لا تحمل الأمانة أرض * حملت [illegible]

* * *

ومما هجي به [illegible] الإخلاق. [illegible]

العسكري

[illegible]

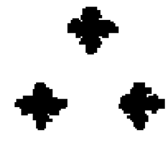
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]



ومما قيل فى هجاء بعض العشيرة ومدح بعضهم ، فمن ذلك قول أبى عُيينة ليهجوَ خالدَ بنَ يزيد المهلّبىّ ويمدحُ أباه

أبوك لنا غَيْثٌ نعيشُ بفضلِه ... وأنت جَرادٌ ليس يُبْقِى ولا يَذَرْ
له أثَرٌ فى المَكرُمات يَسُرّنا ... وأنت تُعَفّى دائبًا ذلك الأثَرْ
لقد قَنِعتْ قحطانُ خِزْيًا بخالدٍ ... فهل لك فيه يُخْزِك اللهُ يا مُضَرْ؟

وله فى قَبِيصة بن رَوح ، فُضّل عليه ابنَ عمّه داودَ بنَ يزيد بن حاتم

قَبِيصُ لستَ وإن جهدتَ ببالغٍ ... سَعْىَ ابنِ عمّكَ ذى النّدى داودِ
شتّان بينك يا قبيصُ وبينَه ... إن المذمَّمَ ليس كالمحمودِ
داودُ محمودٌ وأنت مُذمَّمٌ ... عجبًا لذاك وأنتما من عُودِ
ولرُبّ عودٍ قد يُشَقّ لمسجدٍ ... نصفًا وسائرُه لحشِّ يهُودِى

وقال حسّان فى أبى سُفيان بن حرب

أبوكَ أبٌ حُرٌّ وأُمّك حُرّةٌ ... وقد يَلِدُ الحُرّانِ غيرَ نجيبِ
فلا تعجبنّ الناس منك ومنهما ... فما خَبَثٌ من فِضّةٍ بعجيبِ

ذكر ما قيل فى الحسد

ومما يذمّ به الرجل أن يكون حسودا ، وقد أمر الله تعالى نبيّه عليه الصلاة والسلام أن يتعوّذ من شرّ حاسد إذا حَسَد

قال ابن سيرين

وقال الببغاء

ومن البلية أن تُداوىَ حِقْدَ مَنْ * نِعَمُ الالٰهِ عليـك من أحقادهِ

وقال علىّ رضى الله عنه

لا راحةَ لحسُود، ولا أخ لِملُول، ولا مُحِبَّ لسيئ الخُلُق .

وقال الحسن

ما رأيت ظالمـا أشبهَ بمظلوم من حاسد؛ نَفَس دائم، وحزن لازم، وغَيْرة لا تنفد، ثم قال : لله دَرُّ الحسد ما أعدله ! يقتل الحاسـد قبل أن يَصلَ الى المحسود .

وقال الجاحظ : من العدل المَحْض، والإنصاف الصحيح، أن تَحُطَّ عن الحاسد نِصفَ عِقابه، لأن أَلَم جسمه، قد كفاك مَئُونَةَ شطر غيظك عليه .

وقيل : الحسد أن تمنى زوال نعمةِ غيرك، والغبطة أن تمنى مثلَ حالِ صاحِبك. وفى الحديث : « المُؤمِنُ يَغبِطُ ، والمنافق يَحْسُدُ » .

وقال أرسطاطاليس : الحســد حسدان : محمود، ومذموم، فالمحمود أن ترى عالمـا فتشتهى أن تكون مثله، وزاهدا فتشتهى مثل فعله ؛ والمذموم أن ترى عالمـا وفاضلا فتشتهى أن يموتا . وقيــل : الحسود غضبان على القَدَر، والقدر لا يعْتبه .

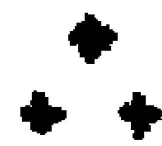
قال منصور الفقيه

ألا قُلْ لمن كان لى حاســدا * أتدرى على من أسأتَ الأدبْ؟
أسأتَ على الله فى فضــله * إذا أنتَ لم تَرْضَ ما قــدْ وَهَبْ

وقال المتنبّى

وأظلم أهلِ الأرض من بات حاسدا * لمن بات فى نَعْمائِه يتقلَّبُ

ومن أخبار الحَسَدة : ما حكى ، أنه آجتمع ثلاثة نفر منهم ، فقال أحدهم لصاحبه : ما بلغ من حسدك ؟ قال : ما آشتهيتُ أن أفعل بأحد خيرا قطُّ ، فقال الثاني : أنت رجل صالح ، أنا ما آشتهيت أن يفعل أحد بأحد خيرا قطّ ، فقال الثالث : ما فى الأرض أفضل منكما ، أنا ما آشتهيت أن يفعل بى أحد خيرا قط .



ومما قيل من الشعر فى تفضيل المحسود ومدحه ، وهجاء الحاسد وذمّه .

قال بعض الشعراء

إنْ يحسُدونى فإنى غيرُ لائمهم ... قبلى من الناس أهلَ الفضل قد حَسدوا
فدام لى ولهم ما بى وما بهمُ ... ومات أكثرنا غيظًا بما يَجِدُ

وقال آخر

إن الغرابَ وكان يمشى مِشْيةً ... فيما مضى من سالف الأحوالِ
حَسَد القَطاةَ ورامَ يمشى مشيَها ... فأصابه ضَرْب من العُقّالِ

وقال آخر

حَسَدوا الفَتَى إذ لم ينالوا سَعْيَه ... فالقومُ أعداءٌ له وخُصُومُ
كضرائرِ الحَسْناءِ قُلْن لوجهها ... حَسَدًا وبَغْيًا إنه لَدَمِيمُ

وقال البُحترىّ

لا تحسُدوه فَضْلَ رُتْبته التى ... أَعْيَتْ عليكم وافعلوا كفعلهِ

وقال السَّرىّ الرفّاء

نالتْ يداه أقصى المجدِ الذى ... قَصَّر حسودٌ له باعٌ ضَيِّقَهْ

أَعَدُوُّهُ هــل للسِّماكِ جَرِيرةٌ * فى أنْ دَنَوتَ من الحَضِيضِ وحلَّقا؟
أم هل لِمَنْ مَلأَ اليدَيْنِ من العُلا * ذَنْبٌ إذا ما كنتَ منها مُمْلِقا؟

وقال أبو تمام الطائى

وإذا أراد الله نَشْرَ فضيلةٍ * يوما أتاح لها لِسانَ حَسودِ
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتْ * ما كان يُعرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ

وقال البحترى

ولن يَسْتَبِينَ الدهرَ موضعُ نعمةٍ * إذا أنتَ لم تُدْلَلْ عليها بحاسدِ

وقال محمد بن مناذر

[illegible] * [illegible] عَتْبٍ ألا تَرْعوِى وتَزْدَجِرْ!
[illegible] * [illegible] أَبَتَ مُعْتَذِرْ»
[illegible] * وأنت صَلْدٌ ما فيك مُعْتَصَرُ
[illegible] * [illegible] التُّرابُ والحَجَرْ
[illegible] * يبدو له [illegible] حين يُخْتَبَرِ
[illegible] * [illegible] المواعِظِ السُّوَرُ
[illegible] * [illegible] لأُنثَى أو الذَّكَرُ
[illegible] * [illegible] بيننا الأَثَرْ
[illegible] * [illegible] حِكْمَةٌ [illegible]
[illegible] * [illegible] لنا عِبَرْ
[illegible] * [illegible] قد أتيتَ مُغْتَفَرْ
[illegible] * [illegible] مُعْتَبَرُ

ذكر ما قيل في السّعاية والبَغْي والغِيبة والنّميمة

قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يرفعنّ إليّ عورة أخيه المؤمن » . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يَرِيح القتّات رائحة الجنّة » . وفي لفظ « لا يدخل الجنّة قتّات » . والقتّات : النمّام .

قال بعض الشعراء

فلا تَسْعَ على أحد ببَغْيٍ ... فإن السَّعْيَ مصرعه وخيمْ

وقال العتّابي

بَغَيت فلم تقع إلا صريعًا ... كذلك البغي يصرع كلّ باغي

وسأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوة ، فقال لأصحابه : إذا شئتم فقوموا . فلما تهيّأ الرجل للكلام قال له : إيّاك أن تمدحني فأنا أعلم بنفسي منك ، أو تكذبني فإنه لا رأي لكذوب ، أو تسعى بأحد إليّ ، وإن شئت أقلتك . قال : أقلني .

قال : ووقف [illegible] دمشق [illegible]

أثبّ منه في حداثة سنّه ، [illegible] أهل دمشق : [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أميرك ، ولا [illegible] [illegible]

لم ينفعك ذلك عندنا ، وإن كنتَ كاذبا ، عاقبناك ، وإن شئتَ ، أقلناك ، قال : أقلنى ، قال : اذهب حيث شئتَ ، لا صحبك الله ، ثم قال : يا أهلَ دِمَشْق ، ما أعظمتم ما جاء به الفاسقُ . إن السِّعاية أحْسَبُ منه سجيّةً ، ولولا أنه لا ينبغى للوالى أن يعاقِبَ ، قبل أن يُعاتِبَ ، كان لى فيه رأىٌ ، فلا يأتنى أحد منكم بِسِعاية على أحد ، فإن الصادق فيها فاسق ، والكاذبَ بَهَّاتٌ . وسَعَى رجل برجل إلى عُمَرَ بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فقال : إن شئتَ نظرنا فى أمرك ، فإن كنتَ كاذبا ، فأنت من هذه الآية : (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ) وإن كنتَ صادقا ، فأنت من هذه الآية : (هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) وإن شئت عفونا عنك ، قال : العفو يا أمير المؤمنين ، قال : على أن لا تعودَ .

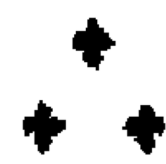
وكتب محمد بن حامد إلى ابن الزيّات : إن قوما صاروا إلىّ مُتَنَصِّحِين ، فذكروا أن رُسُوما للسلطان قد عَفَتْ ودَرَستْ ، وأنه توقَّف عن كشفها إلى أن يعرف مَوقِعَ رأيه فيها ، فوقَّع على رُقْعته : قرأت هــذه الرُّقعةَ المذمومة ، وسُوق السُّعاة مُكْسِدة عنــدنا ، وألسنتُهم تَكِلُّ فى أيامنا ، فاحمل الناس على قانونك ، وخذهم بما فى ديوانك ، فلم تَرِد للسعاية بكشف الرسـوم العافية ، ولا لِتُحْيِيَ الأعلام الداثرة ، وجنّبنى وتجنّب قول جرير

وكنت إذا حَلَلْتَ بدار قوم رَحَلْتَ بِخِزْية وتركتَ عَارَا

قال : وكان الفضل بن يحيى يكره السُّعاة ، وإذا أتاه ساع ، قال له : إن صَدَقْتنا ، أبغضناك ، وإن كَذَبْتَنا ، عاقبناك ، وإن استقلتنا ، أَقَلْناك .

وحكى صاحب العقد قال : قال العُتْبِيّ ، حدّثنى أبى عن سـعيد القصرىّ ، قال : نظر إلىّ عمرو بن عتبة ورجل يشتم بين يدىّ رجلا ، فقال لى : وَيْلَك ،

وما قال في ذلك قبله : [illegible] عن [illegible] [illegible] [illegible] عن الكلام به ، فإن السامع شريك القائل ، وإنه عمد إلى شر [illegible] في وعائه ، فأفرغه في وعائك ، ولو رُدَّتْ كلمةُ جاهلٍ في فيه ، لَسَعَد رادُّها ، كما شَقِيَ قائلها ، وقد جعله الله تعالى شريك القائل ، فقال : (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) .



ومما قيل في الغيبة والنميمة . [illegible] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : [illegible] في رجل [illegible] [illegible] [illegible] فيه [illegible] .

اغتاب رجل رجلا عند قتيبة بن مسلم ، فقال له [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام .

وذكر في مجلسه رجل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] على عورات .

وعاب رجل عند بعض الأشراف ، فقال له [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] سمعت قول الشاعر :

لا [illegible] [illegible]

وذكر [illegible] [illegible]

[illegible] عباس رضي الله عنه [illegible]

[illegible]

[illegible]

وقال بعض الملوك لولده وهو ولىّ عهده : يا بُنَىّ ليكنْ أبغضُ رعيتك إليك ،
٩٠ أشدّهم كشفاً لمعايب النـاس عندك ، فإنّ فى الناس معايبَ وأنت أحق بِسَتْرِها ، وإنمـا تحكم فيما ظهر لك ، والله يحكُم فيما غاب عنـك ، وآكره للنـاس ما تكرهُه لنفسك ، وآستُرِ العَورةَ ، يَسْتُرِ الله عليك ، ما تُحبّ سترَه ، ولا تعجّل الى تصديق ساعٍ ، فإن الساعِىَ غاشٌ ، وإن قال قَوْلَ نَصْحٍ .

وَوَشَى واشٍ برجل الى الإسكندر فقال له : أتُحبّ أن تقبلَ منك ما قلتَ فيه ، على أن نقبلَ منه ما يقول فيك؟ قال : لا ، قال : فَكُفَّ عن الشر، نكفّ عنك .

وقال ذو الرِّياستين : قَبولُ النميمة ، شرٌّ من النميمة ، لأنّ النميمةَ دَلالة ، والقبولُ إجازة ، وليس من دلَّ على شىء ، كمن قَبِلَه وأجازه .

قال أبو الأسود الدُّؤَلِىّ

لا تقبلنّ نميمةً بُلِّغتَهـا ... وتحفظَنّ من الذى أنباكها
إن الذى أهدى إليك نميمةً ... سَيَنِمّ عنك بمثلها قد حاكها

وقال رجل لعمرو بن عُبَيد : إن الأسوارِىّ لم يزل يذكرك ، ويقول : الضالّ ، فقال عمرو : يا هذا ! والله ما رعيتَ حقّ مجالستِه ، حتّى نقلتَ إلينا حديثَه ، ولا رعيتَ حقِّى ، حين بلغتَنى عن أخى ما أكرههُ ، اعلم أن الموت يعمّنا ، والبعثَ يحشرنا ، والقيامةَ تجمعنا ، والله يحكم بيننا .

وقال معاوية للأحنف فى شىء بلغه عنه ، فأنكره الأحنف : بلغنى عنك الثقة ، فقال الأحنف : إن الثقة لا يبلّغ .

قال بعض الشعراء

لعمرُك ما سبَّ الأميرَ عدوُّه ... ولكنما سبَّ الأميرَ المبلِّغُ

وقال ابن المعتزّ : الساعى كاذب لمن سعى إليه، خائن لمن سعى عليه .

وقالوا : النمّام شرٌّ من الساحر، لأن النمّام يفسد فى ساعة ما لا يفسده الساحر فى المدة الطويلة .

وقالوا : النميمة من خلائق الذميمة، تدلّ على نفس سقيمة، وطبيعة لئيمة، مشغوفة بهتك الأستار، وإفشاء الأسرار .

وقال بعض الحكماء : الأشرار يتتبعون مساوئ الناس، ويتركون محاسنهم، كما يتتبع الذباب المواضع الألمة من الجسد، ويترك صحيحه .

١ وقالوا : لم يمشِ ماشٍ شرٌّ من واشٍ ، والساعى بالنميمة كشاهد الزور، يهلك نفسه، ومن سعى به، ومن سعى إليه .

وقالوا : حسبك من [illegible]

[illegible] .

قال بعض الشعراء

١ [illegible] ... [illegible]

كأنّهم [illegible] ... [illegible]

وقال [illegible]

[illegible] ... [illegible]

وقال محمد بن شَرَف

وناصبٍ نحوَ أفواه الورى أُذُنًا ... كالقَعْب يلقُط فيها كلّ ما سَقَطا
يَظَلُّ يلتقِـط الأخبارَ مجتهِـدًا ... حتى إذا ما وعاها زَقَّ ما لقطا

وقال ابن وكيع

ينمُّ بسرِّ مسترعيـه لُؤْمًا ... كما نَمَّ الظلامُ بسرِّ نارِ
أنمّ من النصوح على مَشيب ... ومن صافي الزُّجاج على عُقارِ

وقال الحسن البصريّ: لا غيبة في ثلاثة: فاسقٍ مجاهِر، وإمامٍ جائر، وصاحبِ بدعة.

وكتب الكسائيّ في رقاشيّ

تركت المسجد الجامـــع والتَّرك له رِيبـهْ
وأخبـارك تأتينـا ... على الأعلام منصوبهْ
فإن زدت من الغيبـــة زدناك من الغيبـهْ

ذكر ما قيل في البخل واللؤم

والبخل منع الحقوق وفيه الإنذار بقوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ). وقال تعالى: (وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ).

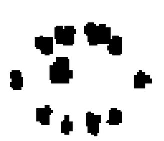
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن : البخلُ وسوءُ الخُلُقِ» .

وقال بعض السلف : منع الجود سوء ظن بالمعبود ، وتلا (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) .

وروى أبو بكر الخطيب في كتاب البخلاء بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لما خلق الله جنة عدن [illegible] ثم قال لها : أظهري أنهارك ، فأظهرت عين السلسبيل ، وعين الكافور ، وعين التسنيم ، ونهر الخمر ، ونهر العسل ، ونهر اللبن ، ثم قال لها : أظهري حورك وحليك ، وسررك وحجالك ، ثم قال لها : تكلمي ، فقالت : طوبى لمن دخلني ، فقال الله عز وجل : أنت حرام على كل بخيل" .

وقال سقراط : [illegible] وتعتلف التبن والشعير .

وقالوا : [illegible] وأرهد في خبزك .



وقال الحسن بن علي [illegible] بمواهب من ذنوب .

وقالوا : [illegible] .

وكان [illegible]
[illegible] .

وقال بشر بن الحارث الحافى : لا غيبة لبخيــل ، ولَشُرَطِىٌّ سخىٌّ أحبّ إلىّ من عابد بخيل .

وقالوا : البخيل لا يستحق آسمَ الحُرّية، فإن ماله يملكه .

ويقال : لا مال للبخيل ، وإنما هو لمــاله .

وقال الحسن البصرىّ : لم أر أشقى بماله من البخيل؛ لأنّه فى الدنيا يَهْتَمّ بجمعه، وفى الآخرة يحاسَبُ على منعه ، غيرَ آمن فى الدنيا من همه، ولا ناج فى الآخرة من إثمه، عيشه فى الدنيا عيشُ الفقراء ، وحسابه فى الآخرة حساب الأغنياء . ودخل رحمه الله على عبــد الله بن الأهتم يعوده فى مرضه ، فرآه يُصَعِّد بصَرَه ويُصَوِّبه إلى صندوق فى بيته ، ثم آلتفت اليــه، فقال : ياأبا سعيد، ما تقول فى مائة ألف دينار فى هــذا الصندوق لم أؤدّ منه زكاةً ولم أَصِــلْ بها رَحِمًا ؟ فقال له : ثكلتْك أمك! ولِمَ كنتَ تجمعها؟ قال لِرَوْعة الزمان، وجَفْوَة السلطان ، وتكاثر العشــيرة ، ثمّ مات، فشَهِده الحسن ، فلما فَرَغ من دفنه ، ضرب بيده على القَبْر، ثم قال : انظروا إلى هذا ، أتاه شيطانه فخوَّفه رَوْعَةَ زمانه، وجفوة سلطانه ، بما آستودعه الله إيّاه، وعمّره فيه . انظروا إليه كيف خرج مذموما مَدْحُورا ! ثم آلتفت إلى وارثه، فقال: أيها الوارث لا تُخْدَعَنّ كما خُدِع صُوَيْحِبُكَ بالأمس، أتاك هذا المــال حلالا ، فلا يكونن عليك وَبَالا ، أتاك عفوا صفوا ، ممن كان له جَمُوعا مَنُوعا ، من باطل جمعه ، ومن حقّ منعه ، قطع فيه لُجَجَ البحار ، ومفاوزَ القِفَار ، ولم تَكْدَحْ لك فيه يَمِينٌ ، ولم يَعْرَقْ لك فيه جَبِين ، إن يوم القيامة يوم ذو حَسَرات ، وإن من أعظم الحسرات غدا أن ترى مالك فى ميزان غيرك . فيالها حسرة لا تُقَال ، وتَوْبة لا تُنَال .

ومن أخبار البخلاء: قيل: بخلاء العرب أربعة: الحطيئة، وحميد الأرقط، وأبو الأسود الدؤلي، وخالد بن صفوان. ونقلت عنهم أمور دلت على بخلهم.

أما الحطيئة: فقد حكي عنه: أنه مرّ به ابن حمامة، وهو جالس بفناء بيته، فقال له: السلام عليكم. فقال: قلت ما لا يُنكر. فقال: إني خرجت من أهلي بغير زاد. قال: ما ضمنت لأهلك قِراك. قال: أفتأذن لي أن آتي ظل بيتك فأتفيأ به؟ قال: دونك الجبل يفيء عليك. قال: أنا ابن حمامة. قال: انصرف وكن ابن أي طائر شئت. قال: واعترضه رجل وهو يرعى غنمًا، فقال له: يا راعي الغنم، وكان بيد الحطيئة عصًا فرفعها، وقال: عجراء من سَلَم. فقال الرجل: إني ضيف. فقال: للضيفان أعددتها. وكانت الحطيئة أحد الحمقى. [illegible] عند موته [illegible] وقال: لعلي [illegible] [illegible] قط. وقال: [illegible] [illegible] كذلك [illegible] لشيخ شعر [illegible].

ومن أخباره [illegible]

لامرأة الزِّبرِقان : إن الزِّبرِقان إنمـا قدّم هـذا الشيخ ليتزوّج بنته ، فقـدَح ذلك في نفسها ، فلما أراد القوم النُّجْعَة ، تخلّف الحطيئة ، فتغافلت عنه امرأة الزِّبرِقان ، فاحتمله القُرَيعيُّون ووفَّوا له بمـا قالوا ، فمدَحَهم ، وهجا الزِّبْرِقان ، فقال

أزمعتُ يأسًا مُبِينًا من نوالِكُمُ * ولا يُرَى طاردا للحُـرِّ كاليـاسِ
دعِ المكارمَ لا ترحـلْ لبُغْيتِها * واقعُدْ فإنك أنتَ الطاعِمُ الكاسِي
مَنْ يفعلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جَوازِيَه * لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والنـاسِ

فاستعدى الزِّبرِقانُ عليه عمرَ بن الخطاب رضي الله عنـه ، فحكَّم عمرُ حسانَ ابنَ ثابت ، فقال حسان : ما هجاه ولكن سَلَح عليه ، فحبس عمرُ الحطيئةَ ، فقال يستعطفه

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ * حُمْرِ الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ؟
ألقيتَ كاسبهم في قَعْرِ مُظلِمَة * فاغفِر عليك سـلامُ الله يا عمرُ
ما آثروكَ بها إذْ قدَّموكَ لهـا * لكن لأنفسهم كانت بك الأَثَرُ

فأخرجه عمرُ ، وأجلسه على كرسيّ ، وأخذ بيده شَفْرة ، وأوهم أنه يريد قطعَ لسانه ، فضجّ ، وقال : إني والله يا أمير المؤمنين ! قد هجوتُ أبي وأمّي وامرأتي ونفسي ، فتبسّم عمرُ ، ثم قال : وما الذي قلتَ ؟ قال : قلتُ لأبي وأمّي

ولقد رأيتُك في النساء فسؤتني * وأبا بَنِيكِ فساءني في المجلس

وقلتُ لأبي حصنة

فبئس الشيخُ أنتَ لدى تميم * وبئس الشيخُ أنت لدى المَعالي

تُدَبِّرُ كفاه ويَحْـــدِرُ حَلْقُــهُ ، الى الصدر ما حازتْ عليه الأَنامِلُ
أتانا ولم يَعْـــدِلْه سَحْبانُ وائلٍ .. بيانا وعِلْمًـا بالذى هـــو قائلُ
فما زال عنـــه اللَّقْمُ حتّى كأنه من العِىِّ لمَّا أَنْ تكلّم باقِلُ

ونزل به أضياف، فأطعمهم تمرا وهجاهم، وادّعى عليهم أنهم يأكلونه بنواه، فقال

باتوا وجُلَّتُنا(١) الصَّهْباءُ حَوْلَهُـمُ كأن أظفارَهم فيهـا السكاكِينُ
فأصبحوا والنَّوى مُلقًى مُعَرَّسَهم ، وليس كلُّ النَّوى ألقى المساكِينُ

وأما خالد بن صفوان: فكان إذا أخذ جائزته، قال للدرهم: طالما سرتَ فى البلاد، أمَ والله لَأُطِيلَنّ حبسَك، ولَأُدِيمَنَّ لُبثَك. وقيل له: مالك لا تنفق، فإن مالك عريض؟ فقال: الدهر أعرضُ منه. قيل: كأنك تؤمل أن تعيشَ الدهرَ كلَّه، قال: ولا أخاف أن أموت فى أوله.

وأما أبو الأسود الدؤلىّ: فعمل دكانا عاليا يجلس عليه، فكان ربما أكل عليه فلا يناله المجتاز، فمرّ به أعرابىّ على جمل، فعرض عليه أن يأكل معه، وظنّ أنه لا يناله، فأناخ الأعرابىّ بعيره، حتى وازى الدكان، وأكل معه. فما جلس بعد ذلك على الدكان. وكان يقول: لو أطعنا المساكين فى أموالنا، كنا أسوأَ حالا منهم. وقال لبنيه: لا تُطمعوا المساكين فى أموالكم، فإنهم لا يَقْنَعُون منكم، حتَّى يَرَوْكم فى مثل حالهم. ووقف عليه أعرابىّ وهو يتغدّى، فسلّم عليه، فردّ عليه، ثم أقبل على الأكل، ولم يَعرِض عليه. فقال الأعرابىّ: أما إنى قد مررتُ بأهلك، قال: كان ذلك طريقك، قال: وهم صالحون، قال: كذلك فارقتُهم، قال:

(١) جلة : قفة كبيرة للتمر .

وامرأتك حُبْلى. قال: كذلك كان عهدي بها. قال: ولدتْ. قال: ما كان بُدٌّ لها أن تلِدَ. قال: ولدتْ غلامين. قال: كذلك كانت أمُّها. قال: ماتَ أحدهما. قال: ما كانت تقوى على رضاع اثنين. قال: ثمّ مات الآخر. قال: ما كان لِيَبْقى بعد أخيه. قال: وماتت الأُمُّ. قال: جَزَعًا على ولَدَيْها. قال: ما أطيبَ طعامَك! قال: ذلك جرّني على أهله. قال: أفٍّ لك ما أنتنَ! قال: من شاء سَبَّ صاحبَه.

ونظير هذه الحكاية: ما حُكِيَ أن أعرابيًّا مرّ بآخر. فقال: من أين أقبلت يا بن عم؟ قال: من الثَّنِيَّة. قال: فهل لديك من خبر؟ قال: سل عما بدا لك. قال: كيف علمك بحيي؟ قال: أحسن علم. قال: هل لك علم بكلبي نفاع؟ قال: يحرس الحيّ. قال: فما فعلت أم عثمان؟ قال: تَحُجّ. ومن مثل أم عثمان! لا تدخل من الباب إلا منحرفة بثياب مُعَصْفَرات. قال: فعثمان؟ قال: [illegible]

بطعامه وتمره وأقبل ينتف لحيته و يقول : إلى أينَ أذهب؟ فيقول الآخر الى النار، وأقبل يلتقط الطعام و يأ كله ويهزأ به ويضحك، ويقول : لا أرغم الله إلا أنفَ اللئام .

وكان أُحَيْحَةُ بن الجُلَاح من البُخَلاء، وكان إذا هبتِ الصَّبا، طلع أُطُمَة، ينظر الى ناحية هبوبها ثم يقول : هُبي هبوبَك، فقد أعددت لك ثَلَثِمائةٍ وستين صاعا من عَجْوة، أدفع الى الوليد منها، خمسَ تمرات، فيردّ عليّ منها ثلاثا، أى لصلابتها بعد جهد ما يَلُوكُ منها .

والعرب تضرب المثل فى اللؤم بمَادِر، تقول : هو أَلْأَمُ من مَادِرٍ، ويزعُمون أنه بنى حوضا وسقى إبله، فلما أصدَرها سَلَحَ فى الحوض، لئلا يَسْقِىَ غيرُه فيه .

وكان عُمَرُ بن يزيد الأسدىّ مبخلًا جدًا، فأصابه القُولَنْجُ فحقنه الطبيب بدُهن كثير، فانحل ما فى بطنه، فلما أبرزه، قال للغلام : ما تصنع به؟ قال أَصُبُّه، قال : لا ولكن ميزِّ الدُّهن منه وٱستصبح به .

وقال سلم بن أبي المعافى : كان أبي متنحياً عن المدينة، وكان الى جنبه مزرعة فيها قِثّاء، وكنت صبيّا فجاءنى صِبْيان أقران لى، فكلّمتُ أبي ليهب لى درهما أشترى لهم به قثّاء، فقال لى : أتعرف حال الدرهم؟ كان فى حجر فى جبل، فضُرب بالمعاوِل، حتى ٱستُخرج، ثم طُحِن، ثم أُدخِل القِدْرَ وصُبّ عليه الماء، وجُمع بالزِّئبق، ثم صُفِّى من رَق، ثم أدخل النارَ فسُبك، ثم أُخرج فضُرب، وكُتِب فى أحد شِقّيه : لا إله إلا الله، وفى الآخر : محمد رسول الله، ثم حُمل الى أمير المؤمنين، فأمر بإدخاله بيت ماله، ووَكّل به عُوجَ القلانِس صُهْبَ السِّبال، ثم وهبه لجارية حسناء جميلة، وأنت والله أقبح من قِرْدٍ، أو رَزَقه رجلا شُجاعا وأنت والله أجبن من صُرَد، فهل ينبغى

لك أن تمسّ الدرهم إلا بثوب؟ ومثله قول سهل بن هارون، وقد قال له رجل: هبنى ما لا مَرْزِئة عليك فيه. قال: وما ذاك؟ قال: درهما واحدا، قال: يابن أخى لقد هوّنتَ الدرهم، وهو طابع الله فى أرضه، والدرهم ويحك عُشْر العشرة، والعشرة عشر المائة، والمائة عشر الألف، والألف عشر دِيَة المُسلِم. ألا ترى يابن أخى كيف انتهى الدرهم الذى هوّنتَه؟ وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم؟.

وقال سليمان بن مُزاحم، وقد وقع بيده درهم، فجعل يقلّبه، ويقول: فى شقّ، لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفى شقّ، قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، ما ينبغى لهذا إلا أن يكون تعويذًا أو رُقْيَة، ويَرْمى به فى الصندوق.

كان بعضهم إذا صار الدرهم فى يده يخاطبه ويقول: بأبى وأمّى أنت، كم من أرض قطعتَ، وكيس خرقتَ، وكم من خامل رفعتَ، ومن رفيع أخملتَ، لك عندى أن لا تَعْرَى ولا تَضْحَى، ثم يلقيه فى كيسه، فيقول: اسكن على اسم الله، فى مكان لا تزول عنه، ولا تزعج منه.

ومن البخلاء "مُزَبِّد" وله حكايةٌ نذكرها. قيل: كان بالمدينة جارية جميلة مُغَنِّيةٌ، يقال لها: "بَصْبَص" وكانت الأشراف تجتمع عند مولاها، فاجتمع يوما عنده محمد بن عيسى الجعفرىّ وعبد الله بن مُصعب الزُّبيرىّ فى جماعة من الأشراف، فتذاكروا أمر مزبد وبخله، فقالت الجارية: أنا آخذ لكم منه درهما، فقال لها مولاها: أنت حرّة إن فعلتِ إن لم أشتر لك مخنقة بمائة دينار وثوب وشى بمائة دينار، وأجعل لك مجلسا بالعقيق أنحر فيه بَدَنَةً، فقالت: جئ به، وارفع الغيرة، حتى أفعل، فقال: أنت حرّة إن منعتك منه، ولأعاوننك عليه بما حضرت

منه الدرهمَ . فقال عبـد الله بن مُصعب : أنا آتيكم به . قال عبد الله : فصلّيتُ الغَـداة فى المسجد ، فإذا أنا به قد أقبل ، فقلتُ : يا أبا إسحاق ، إنّا نُحب أن نرى بصبص ؟ قال : بلى والله ، وآمرأته طالق إن لم تكن له سنة يشتهى أن يلقاها . فقلت له : إذا صليتَ العصر ، فأتى ها هنا . فقال : آمرأته طالق إن برح من ها هنا إلى العصر . قال فانصرفتْ فى حوائجى . فلما كان العصر جئتُ فوجدتُه ، فأخذتْ بيده ، وأتيتُهم به ، فأكل القوم وشربوا حتّى صُلِّيَتِ العَتَمَةُ ، ثم تساكروا وتناوموا ، فأقبلتْ بَصْبَصُ على مُزَبِّد ، فقالت له : يا أبا إسحاق كأنّى والله فى نفسك تشتهى أن أُغنّيَك الساعةَ

لقد حَثُّوا الجِمالَ ليهـــرُبوا مِنّا فلم يئلُوا

فقال لها : آمرأته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى اللوح المحفوظ ، فغنته إيّاه ، ثم قالت له : كأنّى بك تشتهى أن أقوم من مجلسى فأجلس إلى جنبك فتُدْخل يَدَك فى جِلْبابى . فقال : آمرأته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى الأرحام ، وما تكْسِب الأنْفُسُ غدًا قالت : قم . فقام وجلس إلى جانبها وغنَّتْ له ، ثم قالت : أعلم أنك تشتهى أن أغنّيك

ما أبصرتُ بالليـل غلامًا حَسَـنَ الدَّلِّ
كَغُصن البان قد أصبـــحَ مُسْقيًا من الطَّلِّ

فقال لها : آمرأته طالق إن لم تكونى نبيّةً مُرسلةً ، فغنته وقبّلها ، ثم قالت : يا أبا
(٩٤) إسحاق ، هل رأيت قطّ أنذل من هؤلاء ؟ يدعوننى ويدعونك ، ويُخرِجوننى إليك ولا تشترون بقدر ولا رغيف ، كأنّى بك وفى جيبك درهم وأنت تقول : الساعة أخرجه ،

وأعطيها إياه، وتشترى به ما تريد. [illegible] : [illegible] الخبزة، وانقطع عنك الوحى . ووثب وجلس [illegible] . [illegible] وعطعطو عليه وعلموا أن حيلتها لم تتم، وخرج من عندهم ولم يعد إليهم .

وقال بعضهم: بتُّ عند رجل من أهل الكوفة من [illegible] ، وله صبيان [illegible] . فرأيته فى الليل يقوم فيقلّبهم من جنب إلى جنب . [illegible] فقال : هؤلاء الصبيان يأكلون [illegible] جياعاً . فأنا أقلبهم من [illegible] .

وكان زياد بن عبد الله الحارثى [illegible] على المدينة، وكان فيه بخل [illegible] . وأهدى إليه كاتب له سلالا فيها أطعمة، [illegible] .

قالوا : [illegible] كاتب [illegible] يخيم [illegible] خبثم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يعنى [illegible] .

ومن [illegible] برخ [illegible] .

ومنهم هشام ابنه وكان ينظر فى بيع الهدايا التى تُهْدَى اليه . حُكِىَ عنه أن أعرابيًّا أكل عنده فرفع اللُّقمةَ الى فيه، فقال له هشام : فى لقمتك شَعْرة ياأعرابىّ، فقال : وإنك تلاحظنى ملاحظة من يَرَى الشَّعْرَة ، والله لا أكلتُ عندك أبدا ، ثم قام وانصرف .

ومنهم أبو جعفر المنصور كان يلقّب بأبى الدوانيق، لُقِّب بذلك لأنه لما بنى مدينةَ بغداد كان يباشرها بنفسه ويحاسب الصُّنّاع، فيقول لهذا : أنت نمتَ القائلة، ولهذا : لم تُبَكِّر، ولهذا : انصرفتَ قبل أن تُكمِّل اليوم، فيُسقط لهذا دانقا، ولهذا دانقين، فلا يكاد يعطى لأحد أُجْرَةً كاملة، وكان يقول : يزعمون أنّى بخيل، وما أنا ببخيل، ولكن رأيت الناس عبيدَ المال، فمنعتُهم عنه، ليكونوا عبيدا لى . ويُحكى عنه أنه قال لطبّاخه : لكم ثلاثة وعليكم اثنتان، لكم الرءوس والأكارع والجلود، وعليكم الحطب والتوابل . ومن حكاياته الدالّة على بخله: أن صاحبه الربيع بن يونس قال له يوما : ياأمير المؤمنين، إن الشعراء ببابك وهم كثير، وقد طالت أيامهم ونفدت نفقاتهم، فقال : اخرج إليهم وسلم عليهم، وقل لهم مَنْ مدحنا منكم فلا يصف الأسدَ، فإنما هو كلب من الكلاب، ولا الحيَّةَ، فإنما هى دويبة منتنة تأكل التراب، ولا الجبلَ فإنه حجر أصمّ، ولا البحرَ، فإنه عَطِن بضّ لجِبٌّ ، فمن ليس فى شعره شىء من هذا فليدخلْ، ومن كان فى شعره شىءٌ منه فلْينصرِفْ ، فأبلغهم فانصرفوا كلهم إلا إبرهيم بن هَرْمَة فقال : أنا له ياربيع فأدخلنى عليه: فأدخله ، فلما مثل بين يديه، قال له : ياربيع قد علمت أنه لايجيبك غيره فأنشده قصيدته التى منها

له لحَظَات فى حِفافَىْ سريره . إذا كرَّها فيها عقاب ونائلُ
فأمّ الذى أمّنتَ آمنة الرّدى وأمّ الذى خوّفتَ بالثكل ثاكلُ

فرفع له السّتر وأقبل عليه وأصغى إليه، فلما فرغ من إنشاده أمر له بعشرة آلاف درهم وقال له : يا إبراهيم، لا تتلفها طمعاً فى نَيْل مثلها منّا، فما كلّ وقت تصل إلينا. فقال إبراهيم : ألقاك بها يا أمير المؤمنين يوم القيامة وعليها الخاتَم.

ودخل المؤمّل بن أمِيل على المهدىّ وكان بالرىّ، وهو إذ ذاك ولىّ عهد أبيه المنصور، فامتدحه بأبيات يقول فيها :

هو المهدىّ إلا أنّ فيه ... مشابه صورة القمر المنير

تشابه ذا وذا فهما إذا ما ... أنارا يُشكلان على البصير

فهذا فى الضياء سراج عدل * وهذا فى الظلام سراج نور

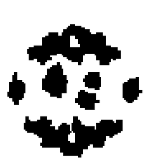
ولكن فضّل الرحمنُ هذا ... على ذا بالمنابر والسرير

وبعض الشهر يَنقُص ذا، وهذا ... منير عند نقصان الشهور

وهى منها :

فإن سبق الكبير فأهل سبقٍ ... له فضل الكبير على الصغير

وإن بلغ الصغيرُ مدَى كبيرٍ ... فقد خلق الصغير من الكبير



وأعطاه عشرين ألف درهم، فكتب [illegible]

بعد ذلك، فكتب إلى المهدىّ [illegible]

[illegible] أربعة آلاف درهم [illegible]

وتوجه [illegible] فكتب [illegible]

بغية أمير المؤمنين [illegible]

[illegible]

(٢) [illegible]

آبن أميل قد ظفر به، فسلمت عليه، فرد علىّ السلام، فسكن جاشى وآطمأن قلبى وزال رَوْعى، ثم قال لى: أتيت غلاما غِرًّا فخدعته فآنخدع، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنما أتيت ملكا جوادا كريما، فمدحته فحملته أريحيّتُه على أن وصلنى وبرّنى، فأعجبه ذلك، ثم قال: أنشدنى ما قلت فيه، فأنشدتُه، فقال: والله لقد أحسنت، لكن ما يسوى عشرين ألفا، يا ربيع، خُذِ المالَ منه، وأَعْطِه منه أربعة آلاف درهم، فلما ولى المهدى الخلافة، قدم عليه المؤمّل، فأخبره بما كان بينه وبين أبيه، فضحك وردّ عليه ما أُخِذَ منه .

وحكى ٱبن حمدون فى كتابه المترجَم بالتذكرة : أن المنصور حجّ فى بعض السنين فحدا به سالم الحادى يوما بقول الشاعر

أبلجُ بين حاجبيه نُورُهْ إذا تغدّى رفعت ستورُهْ
يَزِينُـــه حَيَـــؤُه وخيرُهْ ومِسْكُه يَشُوبُه كافورُهْ

فضرب المنصور حتى ضرب برجله المَحْمِل، ثم قال: يا ربيع، أعطه نصف درهم، فقال سالم : لا غيرك يا أمير المؤمنين، والله لقد حدوت بهشام بن عبد الملك فأمر لى بثلاثين ألف درهم، فقال المنصور : ما كان له أن يعطيك من بيت المال ذلك، يا ربيع! وَكِّل به من يستخرج منه هذا المالَ، قال الربيع : فما زلت أسفر بينهم حتى شرط عليه أن يحدو به فى خروجه ورجوعه بغير مَؤونة، وكان سالم هذا يورد الإبل الماء وليس بها عطش، فيحدو فيأبيها حدوه عن ورود الماء .

ومن ظريف ما حكى عنه : أن عبد الله بن زياد الحارثى، كتب إليه رقعة بليغة يستمنحه فيها، فوقّع عليها : إن الغنى والبلاغة إذا اجتمعا لرجل أبطراه، وإن أمير المؤمنين مشفق عليك، فٱكتف بهذه .

وقد ذمّ الشعراء البخل وهجوا من اتصف به. فمن ذلك، وهو أبلغ ما قاله مُحدث،
قول ابن الرومي

الحابسُ الروث فى أعفاج بَغْلَتِه . خوفا على الحَبّ من لَقْطِ العصافيرِ

وقال العسكرىّ : أبلغ ما قيل فى البخل، قول ابن الرومىّ

يُقتّر عيسى على نفسه وليس بباقٍ ولا خالدِ
فلو يستطيع لتقتيره تنفّس من منخرٍ واحدِ
رضيت لتشتيت أموالِه . يدَىْ وارثٍ ليس بالحامدِ

وقال أبو تمام

صدِّق أليّتَه إن قال مجتهدًا لا والرغيف فذاك البرّ من قَسَمِهْ
وإن هممتَ به فافتك بخبزته . فإن موقعها من لحمه ودمه
قد كان يعجبنى لو كان غيرتُه على جرادقِه كانت على حرمِهْ

وقال دِعبل

اسقنى ودّ أبى مُقا تِل حين تأكل من طعامِهْ
سيّان كسر رغيفِه أو كسر عظم من عظامِهْ
وتراه من خوف النزيـ ـل به يروّع فى منامِهْ

وقال أبو هلال العسكرىّ

خبزُ الأمير عشيقُه يغدو عليه يلاعبُه
وإذا بدا لجليسه فعصى أبيه يُعاتبُه
وتحوطه حرّاسُه وتذبّ عنه كتائبُه
فلزائرٍ يصفع عنده . ولضيفٍ ينتف شاربُه

وقال آخر

في رغيفه قرطٌ وشَنفٌ   وإكليلان من دُرٍّ وشَذرِ
إذا كُسِرَ الرغيفُ بكى عليه * بُكا الخنساء إذ فُجعت بصخرِ
ودون رغيفه قَلعُ الثنايا * وحَربٌ مثل وَقعةِ يوم بَدرِ

وقال آخر

إن هذا الفتى يصون رغيفا   ما إليه لآكلٍ من سَبيلِ
هو في سُفرتين من أَدَم الطا   ئف في سَلَّتين من زَنبيلِ
خُتِمت كلُّ سَلَّةٍ برَصاصٍ * وسُيورٍ قُدِدْنَ من جلدِ فيلِ
في جرابٍ في جوف تابوتِ موسى   والمفاتيح عند ميكائيلِ

وقال العسكري

قلّ خبزُ ابن قاسم   فعساه كعُدْمِه
كاد من حسّه القِرى * يختفي في حِرامه
حذر في لؤمه جدّه   كأبيه وعمّه
كاد يُحدِث لؤمه   لو سمّيتَ باسمه

وقال بعض

لك رُقعةٌ نُزِّهَت   من أن تُدنَّسَ بالدَّسَمْ
بيضاء مشرقٌ نورها   كالبدر في غَسَقِ الظُّلَمْ
وكأن يرصد منهم   كنتَ لمُمَدَّحٍ في الأُمَمْ
وكأن فعلك مثل هو   لك كنتَ بارعَ الكَرَمْ

وقال أيضا

صفتُ عمــرا لحاءنى رغيف ... رادنى أكْلُه على الجوع جوعَا
ثم وَلَّى تقــول وهو كئيب: ... لهف نفسى على رغيف أُصيبَا
كان حدّاعة الصيوف ولكن ... ربما أصبح المخدوع خديعا
كنتُ أرلتُــه محلاًّ رفيعًا ... فعــدا ذلك لرفيع وضيعَا
عجبًا منــه إذ أبيـح حِمَاه ... كيف لم يمنع وكان منيعَا

وقال آخر



أرى صفك فى الدار ... وكرب الموت يغشاهُ
على خبزك مكتوبٌ: ... «فسيكفيكهم الله»

وقال بشّار

وضيفُ عمرٍو وعمرو يسهران معًا ... عمرو لبطنته والضيف للجوع

وقال آخر

ولك دونه حـرص لتقتـد ... وحـبزك كالثريا فى بعـد
ولو أبصرت ضيفًا فى منام ... لحرمت المنام فى التمادى
أرى عمر رغيف يصون حد ... لدى كأنه من قوم عاد
ومن أهون أن كفيت سعرى ... وبكى هحـوتك لكـد

وقل العسكرىّ

قد كان ... رة ... فصار مخل عشـد
وصحف ضيف ... ...

وقال أبو نُوَاس فى إسماعيل بن نُوبخت، بعد أن نصب إسماعيل فى صحن داره طارمة، وآصطبح فيهـا أربعين يوما ومعه جماعة، منهـم أبو نُوَاس، فبلغت نفقته اربعين ألف درهم، ثم قال بعد ذلك

خبزُ إسماعيـل كالوشـــى إذا ما شُـــقَّ يُرْفَا
عجبا من أثر الصنـــعة فيـه كيف تخْفَى؟
إنَّ رَفَّاءك هـــذا ألطف الأمة كَفًّا
فإذا أَلْصَـــق بالنصـــف من الجَرْدَق نصْفَا
ألطف الصنعة حتَّى لا ترى مَطْعَنَ إشْفَى(١)
مثـل ما جاء من التَّنُّـــور ما غادر حَـــرْفَا
وله فى الماء أيضـًا عمـــلٌ أبدع ظَـرْفَا
مَزْجه العَذْب بماء البـــئر كى يزدَدَ ضِـعْفَا
فهو لا يَسْقِيك منــه مثـل ما يشرب صِرْفَا

وقال فيه

على خبز إسماعيل واقيـةُ البخلِ فقد حلَّ فى دار الأَمان من الأكْلِ
وما خبزه إلا كعنقاء مُغْـرِب تَصَوَّرُ فى بُسْط الملوك وفى المُثْلِ
يحدَّث عنه الناس من غير رؤية سوى صورة ما إن تُمِرُّ ولا تُحْـلِى
وما خبزه إلا كآوى يُرى ابنُه ولم يُرَ آوَى فى الحُزُون وفى السَّهْلِ
وما خبزه إلا كليبُ بن وائل ليالى يَحْمى(٢) عِزُّهُ مَنْبِتَ البَقْـلِ

(١) الإشْفَى: المِثْقَب.

(٢) هكذا فى الأصل. وفى [illegible] : [illegible] ولعله الصواب.

وإذ هو لا يستتب خصمان عنده ... ولا الصوت مرفوعٌ بجدٍّ ولا هزلِ
فإن خبزُ إسماعيلَ حلَّ به الذى ... أصاب كليبا لم يكن ذاك عن ذُلِّ
ولكن قضاءٌ ليس يُستطاعُ ردُّه ... بحيلة ذى مَكرٍ ولا دَهْيِ ذى عقلِ

وقال ابن الرومى

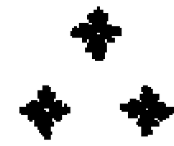
بخيل يُصَوِّم أضيافَه ... ويبخلُ عنهم بأجر الصيامِ
يدسُّ الغلامَ فيوليهمُ ... هوانا فيشتمُ مولى الغلامِ
فهم مُفْطِرون وهم صائمون ... وهم يُطْعَمون وهم فى أثامِ
فيحتال بخلا لأنْ يُفْطِرون ... علَى رَفَثِ القولِ دون الطعامِ

وقال أحمد بن كُشَاجم

صديقٌ لنا من أبرعِ الناس فى البخلِ ... وأفضلِهم فيه وليس بذى فَضْلِ
دعانِى كما يدعو الصديقُ صديقَه ... فجئتُ كما يأتى إلى مثله مِثْلِى
فلما جلسنا للطعام رأيتُه ... يرى أنه من بعض أعضائه أكْلِى
ويغتاظ أحيانا ويشتم عبده ... وأعلمُ أن الغيظ والشتم من أجلى
فأقبلت أستلّ الغداء مخافةً ... وألحاظ عينيه رقيب على فعلى
أمدّ يدى سِرا لآخذ لقمةً ... فيلحظنى شزرًا فأعبث بالبقلِ
إلى أن جنتْ كفّى لحتفى جِنايةً ... وذلك أن الجوعَ أعدمنى عقلِى
فجرّت يدى للحَيْن رِجْلَ دجاجةٍ ... فجرَّتْ كما جرّتْ يدى رجلَها رِجْلِى
وقدّمَ من بعد الطعام حلاوةً ... فلم أستطعْ فيها أُمِرُّ ولا أُحْلِى
وقمتُ لو انّى كنتُ بيّتُّ نيّةً ... ربحتُ ثوابَ الصوم مع عدمِ الأكلِ

وقال آخر

تراهم خشيةَ الأضيافِ خُرْسًا * يُقيمون الصلاةَ بلا أذانِ



احتجاج البخلاء وتحسينهم للبخل على قبحه

قالت الحكماء : لتكن عنايتُك بحفظ ما آكتسبتَه، كعنايتك باكتسابه .

وقال أبو الأسود الدؤلىّ لبنيه : لا تُجاودوا الله، فإنه أكرم وأجود، ولو شاء أن يُغنِيَ الناس كلَّهم لفعل . ولكنه علِم أن قوما لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلا الفقر، وقوما لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلا الغنى .

وقال رجل من تَغْلِب: أتيت رجلا من كِندة أسأله، فقال: يا أخا بنى تغلب، إنّى لن أصلَك حتّى أحرِم من هو أقرب إلىّ منك، وإنه لم يبقَ من مالى وعِرْضى وأهلى إلا ما منعتُه من الناس .

وقيل : إن لقمانَ الحكيمَ ، قال لابنه : يا بُنَىَّ، أُوصيك باثنتين لن تزال بخير ما تمسكتَ بهما : دِرْهَمكَ لمعاشك، ودينَكَ لمعادك .

وقال أبو الأسود : إمساكُك ما تبذُل، خير من طلبك ما يبذُل غيرُك، وأنشد

يلوموننى فى البخل جَهْلًا وضلَّةً   وللبُخلُ خيرٌ من سؤال بخيل

ونظيره قول المتلمِّس

وحبْسُ المال أيسرُ من بُغاهُ   وضَرْبٌ فى البلاد بغير زادِ
وإصلاحُ القليل يزيد فيه   ولا يبقَى الكثيرُ مع الفسادِ

وقال الجاحظ : قلت للحزامىّ : يابخيل! قال : لا أعدمنى الله هذا الأسم ، لأنه لا يقال لى: بخيل إلا وأنا ذو مال فَسَلِّمْ لى المال، وسَمِّنِى بأىّ آسمٍ شئت؛ قلت : ولا يقال لك : سخىّ، إلا وأنت ذو مال، فقد جمع الله لهذا الأسم المال والحمد، وجمع لذاك المال والذّمّ، فقال : بينهما فرق عجيب، وبوْن بعيد، إن فى قولهم : بخيل، سببا لمكث المال فى ملكى، وفى قولهم : سخىّ، سببا لخروجه عن ملكى، وآسم البخل فيه حزم وذمّ وآسم السخاء فيه تضييع وحمد، وما أقلّ غناء الحمد عنه إذا جاع بطنه وعَرِىَ ظهره وضاع عياله وشمت به عدوّه .

وقال محمد بن الجَهْم : من شأن مَنِ آستغنى عنك ، أن لا يقيم عليك، ومن آحتاج (٩٧) إليك أن لا يزول من عندك، ومن حُبّك لصديقك وضَنّك بمودّته أن لا تبذل له ما يغنيه عنك، وأن تتلطف له فيما يُحْوِجه إليك .

وقد قيل فى مثل هذا : "أَجِعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْك، وسَمِّنْه يأْكُلْك". فمن أَغْنَى صديقه فقد أعانه على الغَدْر، وقطع أسباب الشكر، والمُعين على الغدر شريك للغادر، كما أن المزيِّن للفُجُور شريكٌ للفاجر .

وقال أبو حنيفة : لا خير فيمَنْ لا يصون ماله يصونَ به عِرْضَه ، ويَصلَ به رحمه ويستغنِىَ به عن لئام الناس . قال عبد الله بن المعتزّ :

أَعَاذِلَ ليس البخل منّى سَجِيَّةً ... ولكن وجدتُ الفقرَ شَرَّ سبيلِ
لَموت الفتى خيرٌ من البخل للفتى ... ولَلْبخلُ خيرٌ من سؤال بخيلِ

وكان داود بن علىّ يقول : لأن يترك الرجل ماله لأعدائه ، خيرٌ من حاجة فى حياته لأوليائه؛ قال الشاعر

مَالٌ يُخَلِّفُــهُ الفــتَى ، للشامتين من العِــدَا
خير له من قصــده إخــوانَهُ مســتَرْفِدا

وقال سُـفْيَان الثَّوريّ : لأن أُخَلِّفَ عشرة آلاف درهم أحاسب عليها ، أحب إليّ من أن أحتاج إلى الناس ؛ وقال : كان المـال فيما مضى يكره ، وأما اليوم فهو ترس المؤمن ؛ وجاءه رجل فقال له : يا أبا عبد الله ، تمسك هذه الدنانير ! فقال : اسكت ، فلولاها لتمندلَنَا هؤلاء الملوك ، ولكن من كان في يده منها شيء فليصلحه ، فإنه زمانٌ من احتاج فيه كان أوّل ما يبذُل دينه .

وقال المنصور لمحمد بن مروان التميميّ : إنك لسيد لولا جودٌ فيـك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنى لأجْمُد فى الحق ، ولا أذوب فى الباطل .

وكان محمد بن الجهم يقول : من وَهَب من عمله ، فهو أحمق ، ومن وهب بعد العزل ، فهو مجنون ، ومن وهب من جوائز ملوكه أو ميراثه ، فهو مخذول ، ومن وهب من كَسْبه وما استفاده بحيلة ، فهو المطبوع على قلبه ، المأخوذ ببصره وسمعه .

وسأل رجل زياد بن أبيه ، فأعطاه درهماً ، فقال : صاحب العِراقَيْنِ أسأله فيعطيني درهماً ! فقال له زياد : مَنْ بيده خزائن السموت والأرض ربما رزق أخصّ عباده عنده وأكرمهم لديه التمرةَ واللقمة ، وما يكبر عندى أن أَصلَ رجلا بمائة ألف درهم ، ولا يصغر أن أعطى سائلا رغيفا ، إذ كان ربّ العالمين فعل ذلك .

قال الشاعر

يا رُبَّ جُود جَرَّ فَقْـرَ امرئٍ فقام للنـاس مَقَام الذليــل
فاشدد عُرَى مالِكَ واسْتَبْقِهِ فالبخلُ خيرٌ من سؤال البخيل

وقال الشريف بن الهبّارية

لَأصونَنّ درهمِي * فهو لا شكّ صائني
لم يُعِنّي آبنُ والدى * وصحيحي أعانني

وقال أيضا

لله دَرُّ دراهمي * فَهْيَ التى أعلت مَكانِي
لولا الغِنَى عن صاحبي * لَأَحَلّنِي دارَ الهَوانِ

وقال آخر

كن بما أُوتيتَه مُغتبِطا * تَسْتدِمْ عيشَ القَنوعِ المُكتفِي
إن في نَيْل المُنَى وَشْكَ الرَّدَى * وآجتناب القصد عين السَّرَف
كَسِراجٍ دُهْنُه قوتٌ له * فإذا غَرَّقْتَه فيه طَفِي

ومن ذلك رسالة كتبها سهل بن هارون، وقد عيب عليه أمور من البخل، فاعتذر عنها وآحتجّ فقال: أصلح الله أمركم، وجمع شملكم، وعلمكم الخير، وجعلكم من أهله، قال الأحنفُ بن قَيْس: يا بني تميم، لا تُسرِعوا إلى الفتنة، فإن أسرع الناس إلى القتال، أقلُّهم حَياء من الفِرار، وكانوا يقولون: إذا أردتَ أن ترى العيوب جَمّةً، فتأمّل عيّابا، فإنه يعيب الناس بفضل ما فيه من العَيْب، ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب، وقبيحٌ أن تَنْهى مرشدا، أو تُغْرِى بمُشْفِق، وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم وصلاحَ فاسدكم، وإبقاءَ النعمة عليكم، ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم، فما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم، ثم قد تعلمون أنّا ما أوصيناكم إلا بما قد آخترناه لأنفسنا قبلكم، وشُهِرْنا به في الآفاق دونكم، ثم نقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه: وما أُريد

أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِى إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) فما كان أحقّكم فى كريم حرمتنا بكم أن ترعوا حقّ قصدنا بذلك إليكم، على مارعيناه من واجب حقّكم، فلا العذر المبسوط بلغتم، ولا بواجب الحرمة قمتم، ولو كان ذكر العيوب برًّا وفخرا، لرأينا فى أنفسنا عن ذلك شغلا، عبتمونى بقولى لخادمى: أجيدى العجين فيكون أطيب لطعمه، وأزيد فى ريعه، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أملكوا العجين فإنه أحد الريعين، وعبتمونى حين ختمت على سَلٍّ عظيم، وفيه شىء ثمين من فاكهة نفيسة، ومن رطبة غريبة، على عبدٍ نهِمٍ، وصبىّ جشع، وأمة لكعاء، وزوجة مضيعة، وليس بين أهل الأدب، ولا فى ترتيب الحكم، ولا فى عادات القادة، ولا فى تدبير السادة، أن يستوى — فى نفيس المأكول، وغريب المشروب، وثمين الملبوس، وخطير المركوب — التابع والمتبوع، والسيد والمسود، كما لا تستوى مواضعهم فى المجالس، ومواقع أسمائهم فى العنوانات، ومن شاء أطعم كلبه الدّجاجة السمينة، وعلَف حماره السِّمسِمَ المُقشّر، وعبتمونى بالختم، وقد ختم بعض الأئمة على مُدّ سَوِيق، وختم على كيس فارغ، وقال: طِينة خير من ظنّة، فأمسكتم عمن ختم على لا شىء، وعبتم على من ختم على شىء، وعبتمونى أن قلت للغلام: إذا زدت فى المرَق، فزد فى الإنضاج، ليجتمع مع التأدّم باللحم طِيبَ المرَق، وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم: «إذا طبَخ أحدكم لحما فليزد من الماء، فمن لم يصب لحما أصاب مرَقا» وعبتمونى بخَصْف النعل، وبتصدير القميص، وحين زعمت أن المخصوفة من النعل أبقى وأقوى وأشبه بالنسك، وأن الترقيع من الحزم، والتفريق من التضييع، والاجتماعَ مع الحفظ،

وقد كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يَخْصِفُ نعلَه، ويُرَقِّع ثوبه، ويَلْطَع أصابعه، ويقول: «لو أُهدِىَ إلىّ كُرَاع لقبلت، ولو دُعيتُ إلى ذراع لأجبت» وقال صلى الله عليه وسلم «من لم يَسْتَحى من الحلال، خفت مَئُونته، وقلّ كِبْره». وقالت الحكماء: لا جديد لمن لم يَلْبَس الخَلَق، وبعث زياد رجلا يرتاد له مُحَدِّثا، وآشترط عليه أن يكون عاقلا، فأتاه به موافقا، فقال له: أكنتَ به ذا معرفة؟ قال: لا، ولكنّي رأيته في يوم قائظ، يلبَس خَلَقا، ويلبس الناس جديدا، فتفرّست فيه العقل والأدب، وقد علمت أن الخَلَق في موضعه، مثل الجديد في موضعه، وقد جعل الله لكل شيء قَدْرًا، وسمى له موضعا، كما جعل لكل زمان حالا، ولكل مقام مقالا، وقد أحيا الله بالسّم، وأمات بالغِذَاء، وأغصّ بالماء، وقتل بالدواء، وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكاسبَيْن، كما زعموا أن قلّة العيال أحد اليسارين، وقد جبر الأحنف بن قيس يد عنز وأمر مالك بن أنس بفرك البَعر، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: من أكل بيضة فقد أكل دجاجة، ولبس سالم بن عبد الله جلد أضحية، وقال رجل لبعض الحكماء: أريد أن أهدىَ لك دجاجة، قال: إن كان لا بدّ، فاجعلها بيّوضا، وعابونى حين قلت: من لم يعرف مواضع السَّرَف فى الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد فى الممتنع الغالى، ولقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية، وأشفّ من الكفاية، فلما صرت فى تفريق أجزائه على الأعضاء، وإلى التوفير عليها من وظيفة الماء، وجدت فى الأعضاء فضلا عن الماء، فعلمت أن لو كنت سلكت الاقتصاد فى أوله لخرج آخره على كفاية أوله، ولكان نصيب الأول كنصيب الآخر، فعابونى بذلك وشنعوه علىّ، وقد قال الحسن وذكر السرف: أما إنه ليكون فى الماء والكلأ، فلم يرض

بذكر المـاء حتى أردفه بالكلإ، وعبتمونى أنى قلت : لا يغترّن أحد بطول عمره، وتقويس ظهره، ورقة عظمه، ووهن قوته، وأن يرى دخله أكثر من رزقه فيدعوه ذلك الى إخراج ماله من يده، وتحويله إلى ملك غيره، أو تحكيم السرف فيه، وتسليط الشهوات عليه، فلعلّه أن يكون معمّرا وهو لا يدرى وممدودا له فى السن وهو لا يشعُر، ولعلّه أن يُرْزَق الولَدَ على اليأس، وتُحدِث عليه آفات الكِبَر ما لا يخطر على باله، ولا يدركه عقله، فيستردّه ممن لا يردّه، ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه، أضعف ما كان عن الطلب، وأقبح ما كان له أن يطلب، فعبتمُونى بذلك، وقال عمرو بن العاص : اعْمَلْ لدنياك عَمَلَ من يعيش أبدا، واعْمَلْ لآخرتك عَمَلَ من يموت غدا، وعبتمونى بأن قلت : إن التلف والتبذير إلى مال المواريث، وأموال الملوك، وإن الحفظ فى المال المكتسب، والغنى المجتلب، والى ما يعرض فيه بذهاب الدين، واهتضام العرض، ونصب البدن، واهتمام القلب أسرع، ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله، ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع المـال، ومن لم يعرف الغنى قـدره فقد أذن بالفقر، وطاب نفسا بالذلّ، وعبتمُونى بأن زعمت أن كسب الحلال، مُضمّن بالإنفاق فى الحلال، وأن الخبيث ينزع إلى الخبيث، وأن الطيّب يدعو الى الطيّب، وأن الإنفاق فى الهوى، حجاب دون الحقوق، وأن الإنفاق فى الحقوق حجاب دون الهوى، فعبتّم علىّ هـذا القول، وقد قال معوية بن أبى سفيان : لم أر تبـذيرا قطّ، إلا وإلى جنبه حقّ مُضَيَّع، وقال الحسن : إذا أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله، فانظروا فى أىّ شىء ينفقه، فإن الخبيث إنما يُنفَق فى السرف، وقلت لكم بالشفقة عليكم، وحسن النظر منّى لكم، أنتم فى دار الآفات، والجوائح غير مأمونات، فإن أحاطت بمـال

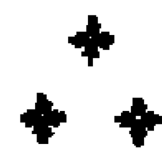
أحدكم آفةٌ ، لم يرجع إلى ثقة ، فاحذروا النِّقَم ، باختلاف الأمكنة ، فإن البلية لا تجرى فى الجميع ، وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنــه فى العبد ، والأمة ، والشاة ، والبعير : فرّقوا بين المنايا ، واجعلوا الرأس رأسين ، وقال ابن سيرين [لبعض البحريّين](١) : (٩٩) كيف تصنعون فى أموالكم ؟ قالوا : نفرّقها فى السفن ، فإن عَطِب بعض ، سلم بعض ، ولولا أن السلامة أكثر ، ما حملْنا أموالنا فى البحر ، فقال ابن سيرين : تَحْسَبُها خَرْقاء وهى صَنَاعٌ ، وعبتمُونى بأن قلت لكم عند إشفاقى عليكم : إن للغنى سُكْرًا ، وللمال نَزْوَةً ، فمن لم يحفظ الغنى من سكره ، فقــد أضاعه ، ومن لم يرتبط المــال لخوف الفقر فقد أهمله ، فعبتمُونى بذلك ، وقد قال زيد بن جَبَلَة : ليس أحدٌ أقصر عقلا ، من غَنِىٍّ أَمِنَ الفقرَ ، وسكرُ الغِنَى أشدُّ من سكر الخمر . وقد قال الشاعر فى يحيى ابن خالد

وَهُوبٌ تِلَادَ المــال فيما ينوبُهُ ... مَنُوعٌ إِذَا مَا مَنْعُه كان حَزْمَا

وعبتمُونى حين زعمتم ، أنّى أقدِّم المــالَ على العلم ، لأن المــال به يُفاد العلم ، وبه تقوم النفس ، قبل أن يُعرَف فضلُ العلم ، فهو أصل ، والأصل أحقُّ بالتفضيل من الفرع ، فقلتم ، كيف هذا ؟ وقد قيل لبعض الحكماء : الأغنياء أفضل أم العلماء ؟ فقال : العلماء ، قيــل له : فما بال العلماء يأتون أبوابَ الأغنياء ، أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلمــاء بحقّ المال ، وجهل الأغنياء بحقّ العلم ، فقلت : حالهما هى القاضية بينهما ، وكيف يستوى شىء حاجة العلماء إليه ، وشىء يغنى فيه بعضهم عن بعض ، وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتّخاذ الغَنَم ، والفقراء باتّخاذ الدَّجَاج ، وقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنــه : إنى

(١) زيادة لازمة [illegible]

لأبغض أهل البيت ينفقون نفقةَ الأيام فى اليوم الواحد، وكان أبو الأسود الدُّؤَلِىّ يقول لولده : إذا بَسَط الله لك فى الرزق فابْسُط، وإذا قبض فاقبِض ، وعبتُمونى حين قلت : إن فضل الغِنَى عن القوت، إنّما هو كفضل الآلة تكون فى البيت، إن آحتيج إليها آسْتُعملت، وإن آستغنِىَ عنها كانت عُدّةً، وقد قال الحُضَيْنُ بن المنذر: وددتُ أن لى مِثل أُحُد ذهبا لا أنتفع منه بشىء، قيل له : فما كنتَ تصنع به ؟ قال : لكثرة مَنْ كان يخْدمنى عليه ، لأن المال مخدوم، وقال بعض الحكماء : عليك بطلب الغنى ، فلو لم يكن فيه إلا أنه عِزٌّ فى قلبك ، وذُلٌّ فى قلب عدوّك، لكان الحظّ فيه جسيما ، والنفع عظيما، ولسنا ندع سيرة الأنبياء ، وتأدّب الخلفاء ، وتعليم الحكماء، لأصحاب الهوى ، فلستم علىّ تردّون، ولا رأيى تُفَنِّدون، فقدّموا النظر قبل العَزْم، وأَدْركوا ما عليكم من قبل أن تُدرِكوا مالكم، والسلام .



ومن نوادر البخلاء، قال رجل لبعض البخلاء : لِمَ لا تدعونى إلى طعامك؟ قال : لأنك جَيِّدُ المَضْغ سريعُ البَلْع ، إذا أكلتَ لُقْمةً هيّأْتَ أخرى ، قال: يا أخى أتريد إذا أكلتُ عندك أن أُصَلِّىَ ركعتين بين كلّ لقمتين؟ .

وقال آخر لبخيل : لِمَ لا تدعونى إلى طعامك؟ قال : لأنك تُعلِّق، وتُسَنِّق، وتُحَذِّف ، أى تحمل وحده فى يدك ، وأخرى فى شِدْقك ، وتنظر إلى الأخرى بعينك .

وقال بعض البخلاء : أنا لا آكل إلا نصفَ الليل، قيل له : ولِمَ؟ قال ببَرْد الماء، وبتَقَمِّع الذُّباب، وأَمْن فَجْأة الداخل، وصَرْخة السائل .

وطبخ بعض البخلاء قِدْراً ، وجلس يأكل مع زوجتــه فقال : ما أطيبَ هذا الطعامَ! لولا كثرة الزِّحام، فقالت : وأىّ زحام وما ثَمَّ إلا أنا وأنتَ؟ قال : كنت أحِبُّ أن أكون أنا والقِدْر .

وقال بعض البخلاء لغلامه : هاتِ الطعامَ ، وأغْلِقِ الباب، فقال : يا مولاى، ليس هذا بحَزْم، وإنَّما أُغْلِقُ الباب، وأُقَدِّم الطعام، فقال له : أنت حُرٌّ لوجه الله .

وعزم بعضُ إخوانِ أشْعَبَ عليه ليأكلَ عنده ، فقال : إنِّى أخاف من ثقيل يأكل معنا فينغِّص لذّتنا ، فقال : ليس عنـدى إلا ما تُحِبّ فمضى معه فبينما هما يأكلان ، إذا بالباب قد طُرِق ، فقال أشعب : ما أرانا إلا صِرْنا لما نكره ، فقال صاحب المنزل : إنه صديق لى ، وفيه عشْر خصال ، إن كرهتَ منها واحدة لم آذن له ، فقال أشعب : هاتِ ، قال : أوّلها ، أنه لا يأكل ولا يشرب ، فقال : التسعُ لك ودَعْه يدخل ، فقد أَمِنَّا منه ما نخافه .

ذكر ما قيل فى التطفيل

ويتصــل به آداب الأكَلَة والمؤاكلة

والتطفيل من اللؤم ، وهو التعرّض إلى الطعام ، من غير أن يدعى إليه ، وسنذكر فى هذا الفصل آداب الأكل ، والمؤاكلة ، وما يقصد فى الطعام ، وما يعاب منه ، وما يجرى هذا المجرى ، وإن كان خارجاً عنه ، وإنما [illegible] ذكر [illegible] ، والعرب تقول للطفيلىّ [illegible] ، قيل : هو مشتق من الطَّفَل ، وهو الظلمة لأن المتطفل من العرب كان يختفى [illegible] [illegible] لا يعرف .

وقيـل : سُمِّى بذلك لإظلام أمره على الناس ، فلا يدرى من دعاه ، وقال : [illegible]

من الطَّفَل لهجومه على الناس كهجوم الليل على النهار، فيكون من الظلمة، ولذلك قيل: "أطفل من ليل على نهار". وأوّل من سمى بهذا الاسم: طُفَيل العَرائس، وإليه ينسب الطُّفَيليّون، وكان يقول لأصحابه: إذا دخل أحدُكم عُرسا، فلا يلتفت تلفّت (١٠٠) المريب، ويتخيّر المجالس، وإن كان العُرس كثيرَ الزحام، فليمض ولا ينظر فى عيون الناس، ليظنّ أهلُ المرأة أنه من أهل الرجل، ويظنّ أهل الرجل أنه من أهل المرأة، وإن كان البوّاب غليظا فاحشا، فليبدأ به، ويأمره وينهاه من غير أن يُعَنِّف عليه، ولكن بين النصيحة والإدلال .

وأشهر من نُسب إليه هذا الاسم، وكثرت عنه الحكايات، بُنَان الطُّفَيلىُّ، وهو عبد الله بن عثمان، ويكنى أبا الحسن، ولقبه بُنَان، وأصله مَرْوَزِىّ وأقام ببغداد، وكان نقشُ خاتمه. "مَالَكُمْ لَا تَأْكُلُونَ". حكى أن رجلا سأله أن يدعو له، فقال: اللهم ارزقه صحة الجسم وكثرة الأكل، ودوام الشهوة، ونقاء المَعِدَة، وأمْتعه بضِرْس طَحُون، ومَعِدة هَضُوم، مع السعة والدَّعة، والأمن والعافية؛ وقال يُوصى بعضَ أصحابه: إذا قعدتَ على مائدة وكان موضعُك ضيِّقا فقل للذى يليك: لعلى ضيقتُ عليك فإنه يتأخر إلى خلف، ويقول: موضعى واسع، فيتسع عليك موضع رجل؛ وقال له طفيلىٌّ: أوصنى، فقال: لا تصادِفَنّ من الطعام شيئا، فترفع يدك عنه وتقول: على أصادف ما هو أطيب منه، فإن هذا عجز ووَهَنٌ، قال: زدنى، قال: إذا وجدت خبز فيه قِلّة، فكُلِ الخروف، فإن كان كبيرا فكل الأوساط، قال: زدنى، قال: لا تكثر شرب الماء وأنت تأكل، فإنه يصدّك عن الأكل، ويمنعك من أن تستوفى، قال: زدنى، قال: إذا وجدت طعاما، فكل منه أكل من لم يره قط، وتزوّد منه زاد من لا يراه أبدا، قال: زدنى، قال: إذا وجدت الطعام، فاجعله زادك إلى الله تعالى،

وقال : إذا دعاك صديق لك ، فاقعد يَمْنَةَ البيت فإنك ترى ما تُحِبُّ ، وتسودهم فى كلّ شىء ، وتسبقهم إلى كلّ خير ، وأنت أوّل من يغسل يده والمِنْديل جافّ ، والماء واسع ، والخِوان بين يديك يوضع ، والنبيذ أوّل القِنّينة ورأسها تشربه ، والنقل منتخب ، يوضع بين يديك ، وتكون أوّل من يتبخّر ، فإذا أردت أن تقوم لحاجة لم تحتج أن تتخطّاهم ، وأنت فى كل سرور الى أن تنصرف . قال البديع الهمذانىّ فى طفيليّين يشبههم بُبنان

خلقتم بُنَانا فكم من أديبٍ . من الغَيظ عَضَّ عليكم بَنَانَه
إذا ما النهار بدا ضوءه غدوتم خِماصا ورُحتم بِطانَه

ومنهم : عثمان بن درّاج ، قيل له : كيف تصنع إذا لم يدخلك أهل العرس ؟ قال : أنوح على الباب ، فيتطيّرون فيدخلوننى . وحكى أبو الفرج الأصفهانى : أن عثمان هذا ، كان يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطابىّ أحد ولد زيد بن الخطاب ، فقال له : ويحك ! إنى أبخل بأدبك وعلمك ، وأضنّ بك عما أنت فيه من التطفيل وفى وظيفة راتبة فى كلّ يوم ، فالزمنى وكن مدعوّا . أصلح لك مما تفعل . فقال : يرحمك الله فأين لذّة الجديد ، وطيب التنقل كل يوم إلى مكان ؟ وأين هو بمالك ووظيفتك من حلاوة العرس ؟ وأين ألوانك من ألوان الوليمة ؟ قال : فأما إذ أبيت ذلك : فإذا ضاقت عليك المذاهب فأتنى قال : أما هذا فنعم . قال : وقال له رجل : ما هذه الصفرة التى فى لونك ؟ قال : من الفترة التى بين القَصْعتين ، ومن خوفى فى كلّ يوم من نفاد الطعام قبل أن أشبع ؛ وقيل له مرة : هل تعرف بستان فلان ؟ فقال : إى والله ، وإنه لجنة الخضرة فى الدنيا . قيل له : فلم لا تدخل إليه فتأكل من ثماره وتقيل

تحت أشجاره، وتسبح فى أنهاره؟ قال: لأن فيه كلبا لا يتضمض إلا بدماء عراقيب الرجال . وعثمان هذا الذى يقول

لَذَّة التطفيل دُومى * وأَقيمى لَا تَرِيمى
أنت تَشْفِين غَلِيلى * وتُسَلِّين هُمُومى

ولهم أخبار وحكايات . منهـا : ما نقل عن نصر بن علىّ الجهضمىّ أنه قال : كان لى جار طفيلىّ، إذا دعيت إلى مدعاة ركب معى وجلس حيث أجلس، فيأكل وينصرف، وكان نظيفا عطِرا، حسن اللباس والمركب، وكنت لا أعرف من أمره إلا الظاهر. فاتفق لجعفر بن القاسم الهاشمىّ حتّى دعا له أشراف البصرة ووجوهها، وهو يومئـذ أمير البصرة . فقلت فى نفسى : إن تبعنى هـذا الرجل إلى دار الأمير لأخزينه. فلما كان يوم الحضور جاءنى الرسول، فركبت، وإذا به قد تبعنى حتى دخل بدخولى، وآرتفع حيث أُجلست، فلما حضرنا الطعام، قلت: حدّثنا دُرُسْتُ آبن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن آبن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من دخل إلى دار قوم بغير إِذْنهم دخل سارقا، وخرج مُغِيرا، ومن دُعِى ولم يُجب فقد عصى اللهَ ورسولَه » ، فظننت أنى قد أشرفت على الرجل وقصّرت من لسانه، فأقبل علىّ وقال: أعيذك بالله من هذا الكلام فى دار الأمير، فإن الأشراف (٢٠١) لا يحتملون التعريض باللؤم، وقد حَظَر الدينُ التعريضَ، وعزّر عليه عمر رضى الله عنه. ووليمة الأمير دعاء لأهل مِصره فإنه سَلِيلُ أهل السقاية، والرفادة، والمطعمين لأفضلين الذين هَشَمُوا الثَّرِيد، وأبرزوا الجِفَان لمن غدا إليهـا، ثم لا تُوزع وأنت فى بيت من العلم معروف من أن تحدّث عن درست بنِ زياد وهو ضعيف عن أبان آبن طارق وهو متروك الحديث بحكم رفعه الله إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم، والمسلمون

على خلافه، لأن حكم السارق القطع، والمغير يعزَّر على ما يراه الإمام، وهذان حكمان لاينفذان على داخلٍ دارا فى مجمع فيتناول لُقَمًا من فضل الله الذى آتى أهلها ثم لايُحدِثُ حدثا حتى يخرجَ عنها، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : «طعامُ الواحد يكفِي الاثنين، وطعامُ الاثنين يكفِي الأربعَة»، حدّثنا بذلك أبوعاصم النبيل عن ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأين أنت عن هذا الحديث الصحيح الإسناد والمتن ؟ قال نصر : فأصابتنى خَجْلَة شديدة . فلما نظر الرجل إلى ما بى أكل ونهض قبلى ، فلما خرجت وجدتُه واقفا على دابتـه بالباب . فلما رآنى تبعنى، ولم يكلّمنى ولم أكلّمه، إلا أننى سمعته يتمثل

ومَن ظنَّ ممّن يُلاقِي الحروب ... بأنْ لا يُصاب فقد ظنَّ عَجْزا

وقيل : مرّ طفيليٌّ بسكة النَّخَع بالبصرة على قوم، وعندهم وليمة، فٱقتحم عليهم، وأخذ مجلسـه مع مَنْ دُعِى، فأنكره صاحب المنزل، فقال له : لو تأنّيتَ أو وقفت حتّى يُؤْذَنَ لك، أو يُبعثَ إليك. فقال: إنما ٱتُّخذتِ البيوتُ ليُدخَلَ إليها، ووُضعتِ الموائدُ ليؤكَلَ ما عليها، وماوجّهت بهديّة فأتوقع لدعوة. والحِشْمَةُ قطيعةٌ، وٱطِّراحُها صِلَةٌ، وقد جاء فى الأثر : «صِلْ مَنْ قطعك ، وأَعْطِ مَنْ حرمك». ثم أنشد

كلَّ يوم أدورُ فى عَرْصَة الدا ... ر أشُمُّ القُتَـار[1] شمَّ الذُّبابِ
فإذا ما رأيتُ آثارَ عُرْس ... ودُخَانا ودَعْوة لأصحـابِ
لم أُعرِّج دونَ التقحُّم لا أر ... هَب شتمًا ولكزة بوّابِ
مستهينا بمن دخلت عليـه ... غيرَ مستأذن ولا هيّـابِ
فترانى أَلُفُّ ما يرغم منـه ... كلَّ ما قدّموه لَفَّ العُقابِ

(١) القتار : ريح الشواء .

ووصف طفيليّ نفسه فقال

نحنُ قومٌ إذا دُعينا أَجبْنَا * ومتى نُنْسَ يدْعُنَا التطفيلُ
قولنـا : علَّنا دُعينا فَغِبنَا * أَوْ أتانا فلم يجِدْنَا الرســولُ

وقال آخر

نحنُ قومٌ نُحِبُّ هَدْىَ رسولِ اللهِ هَـدْياً به الصوابَ أَصَبْنَا
فادْعُنا كلَّمـا بَسطْتَ فإنَّا * لَو دُعينا إلى كُرَاعٍ أَجبْنَا

وقال آخر

نحنُ قومٌ إن جفا النّا * سُ وَصَلْنَا من جفانا
لا نُبالى صاحب الدّا * رِ نَسِـينا أم دَعانا

وقال آخر وقد أقبل إلى طعام، من غير أن يُدْعى إليه فقال له صاحب الصنيع: مَنْ دعاك ؟ فأنشد

دعوتُ نفسى حين لم تَدْعُنى * فالحمدُ لِى لا لكَ فى الدّعوةِ
وكان ذَا أحسن من مَوْعِدٍ * إخلافُه يدعو إلى جفــوةِ

وقد مدح أبو رَوْح ظفر بن عبدالله الهَرَوِىّ طُفَيلياً ولم يسبق إليه، فقال

إنَّ الطفَيْـلِيَّ له حُرْمَةٌ * زادتْ على حُرمة نَدْمَانى
لأنَّه جاء ولم نَدْعُــه * مبتدِئاً منـه بإحسـانِ

ودخل طفيليّ إلى قوم فقالوا له : ما دعوناك ! فما الذى جاء بك ؟ فقال : إذا لم تدعونى ولم آت ، وقعت وحشة؛ فضحكوا منه وقرّبوه .

وقيل : مرّ طفيليّ على قوم يتغدّون، فقال : سلام عليكم معشرَ اللئام ، فقالوا : لا والله ، ! بل كرام ، فثنى ركبتَه ونزل ، وقال : اللهمّ آجعلهم من الصادقين ، وآجعلني من الكاذبين .

قال هشام أخو ذى الرمّة لرجل أراد سفرا : إن لكل رُفقة كلبا يشركهم فى فضلة الزاد، فإن آستطعت أن لا تكون كلب الرِّفاق فآفعل .

ونظر طفيليّ إلى قوم من الزنادقة يُسار بهم إلى القتل ، فظنّهم يُدعون إلى صنيع ، فتلطّف حتّى دخل فى لفيفهم وصار كواحد منهم ، فلما بلغوا صاحب الشُّرطة أمر بضرب أعناقهم ، فقدّموا واحدا بعد واحد حتّى آنتهوا إلى الطفيليّ فلما قُدّم للقتل آلتفت إلى صاحب الشُّرطة، فقال له : إنّى والله ما أنا منهم، ولا أعرف بم يدينون ، وإنمـا أنا طفيليّ ظننتُهم يُذهَبُ بهم إلى صنيع، فتلطّفت حتّى دخلت فى جماعتهم ، فقال ليس هذا مما ينجيك، آضربوا عنقه، فقال : أصلحك الله، إن كنتَ عزمتَ على قتلى ، فأمر السياف أن يضرب بطنى بالسيف ، فإنه هو الذى أوقعنى فى هذه الورطة، فضَحِك، وكشف عنه، فأُخبِر أنه طفيليّ معروف، فخلّى سبيله .

وحُكِي أن المأمون أمر أن يحمل إليه عشرة من الزنادقة سمّوا له من أهل البصرة، فجُمِعوا، فأبصرهم طفيليّ، فقال : ما اجتمعوا إلا لصنيع، فدخل فى وسطهم ومضى بهم الموكَّلون، حتّى انتهوا إلى زورق قد أُعدّ لهم، فقال الطفيليّ : هى نُزْهة، فدخل معهم الزورق، فلم يكن بأسرع من أن قُيِّدوا، وقُيِّد معهم الطفيليّ، ثم سِير بهم إلى بغداد، فأُدْخِلوا على المأمون، فجعل يدعوهم بأسمائهم رجلا رجلا، ويأمر بضرب أعناقهم، حتّى وصل إلى الطفيليّ، وقد استوفى العِدّة، فقال للموكلين : ما هذا ؟ قالوا : والله ما ندرى ، غير أنّا وجدناه مع القوم ، فجئنا به ، فقال له المأمون :

ما قصّتك؟ ويلك! فقـال يا أمير المؤمنين : آمرأتى طالق إن كنت أعرف من أقاويلهم شيئا ولا ممـا يدينون به وإنمـا أنا رجل طفيلىّ ، رأيتهـم مجتَمعين ، فظننتُ صنيعا يُدْعَون إليــه . فضحك المـأمون وقال : يُؤدَّبُ ، وكان إبراهيم بن المهدىّ قائمـا على رأس المأمون فقال : يا أمير المؤمنين، هب لى أدبه ، وأحدثك بحديث عجيب عن نفسى . قال : قل يا إبراهيم، قال : يا أمير المؤمنين ، خرجتُ من عندك يوما، فطُفتُ فى سِكَك بغداد متطرِّفا ، حتّى آنتهيت إلى موضع كذا ، فشممت من قُتَار أبازير قُدور قد فاح ، فتاقت نفسى إليهـا ، وإلى طِيب ريحها ، فوقفت على خياط ، فقلت له : لمَنْ هذه الدار؟ فقال : لرجل من التّجار ، قلت : ما اسمه؟ قال : فلان بن فلان . فرميت بطرفى إلى الدار ، فإذا شُبَّاك فيها مطَلّ ، وإذ كَفٌّ قد خرج من الشُّبَّاك ومِعْصَم ، فشغلنى حسنُ الكفِّ والمعصم عن رائحة القُدور ، فبهتُّ ساعة ، ثم أدركنى ذهنى ، فقلت للخياط : أهو ممّن يشربُ النبيذَ؟ قال : نعم ، وأحسب أن عنده اليومَ دعوة ، وهو لا ينادم إلا تُجَّارا مثله مستورين ، فإنى لكذلك ، إذ أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدَّرْب ، فقال لى الخياط : هؤلاء منادماه ، فقلت : ما اسمهما وما كُنَاهما؟ فقال : فلان وفلان ، فحرّكتُ دابتى وداخلتهما ، وقلت : جُعِلْتُ فِدَاكما ، قد آستَبْطَأَكما أبو فلان ، وسايرتهما حتّى بلغنا الباب فأجلّانى وقدّمانى . فدخلت ودخلا . فلما رآنى صاحب المنزل معهما ، لم يشكّ أنى منهما ، فرَحَّبَ بى وأجلسنى فى أفضل المواضع ، فجىء يا أمير المؤمنين بمائدة عليها خبز نظيف وأُتينا بتلك الألوان ، فكان طعمها أطْيَبَ من رِيحها ، فقلت فى نفسى : هـذه الألوان قد أكلتُها ، بقيت الكَفُّ ، كيف إلى صاحبتها؟ ثم رُفع الطعام ، وجىء بالوضوء ، ثم صرنا إلى مجلس المنادمة ، فإذا أشكل منزل ، وجعل

صاحب المنزل يلطف بي، ويميل عليّ بالحديث، حتّى إذا شربنا أقداحا، خرجت علينا جارية، كأنها بدر، تتثنى يا أمير المؤمنين كالخيزران، فأقبلتْ، وسلّمت غير خجلة وثُنيت لها وِسَادة، فجلست عليها، وأُتي بالعود فوُضع في حِجْرها، فجسّته فستبينتْ حِذْقها في جَسِّها، ثم آندفعت تغَنّى

توهّمها طَرْفِي فأصبح خَدُّها * وفيه مكان الوَهْمِ من نظرى أَثْرُ
تُصَافِحُها كفّي فتُؤْلِمُ كفّها * فمن مسّ كفّي في أناملها عَقْرُ

فهيّجتْ يا أمير المؤمنين بلابلي، وطربتُ لحسن شعرها، ثم آندفعت تغنى

أشرتُ إليها هل عرفتِ مودّتي؟ فردّت بطرف العين إنى على العهد
فحِدْتُ عن الإظهار عَمْداً لسرّها وحادت عن الإظهار أيضا على عَمْدِ

فصحت يا أمير المؤمنين، وجاءني من الطرب ما لم أملك نفسي معه، ثم آندفعت فغنّت الصوت الثالث

أليس عجيبا أن بيتا يضُمّني وإياك لا نخلو ولا نتكلّمُ!
سوى أعين تشكو الهوى بجفونها وتقطيع أكباد على النار تُضْرَمُ
إشارة أفواهٍ وغَمْز حواجبٍ وتكسير أجفانٍ وكَفّ تُسَلِّمُ

فحسدتها والله يا أمير المؤمنين على حِذْقها ومعرفتها بالصنعة وإصابتها معنى الشعر فقلت: بقى عليك يا جارية، فضربتْ بالعود على الأرض، وقالت: متى كنتم تُحْضِرون مجالِسَكم البُغَضاءَ؟ فندمتْ على ما كان منّي، ورأيت القوم قد تغيّروا لي، فقلت: أما عندكم عود غيرهذا؟ قالوا: بلى، فأُتيت بعود، فأصلحت من شأنه ثم غنّيت

ما للنازل لَا يُجِبْنَ حَزِينا ۔ أَصممْنَ أم قَدُم البِـلَى فَبلينـا؟
راحوا العَشِيَّةَ رَوْحةً مذكورةً ۔ إنْ مُتْنَ مُتْنا أو حَيِينَ حَيِينَا

فمـا آستتممتُه يا أمير المؤمنين، حتّى قامت الجارية، فأكبّت على رجليّ تقبّلهما، وقالت : مَعْذِرة ياسـيدى، فوالله ما سمعت أحداً يُغَنِّى هذا الصوت غِنَاءك، وقام مولاها وأهل المجاس، ففعلوا كفعلها، وطرب القومِ وآستحثّوا الشرب فشربوا، ثم آندفعتُ أُغَنِّى

أَفِى الحَقِّ أَن تَمْشِى ولا تَذْكُرنِّى ۔ وقد هَمَعت عيناى من ذكرها الدَّما
إلى الله أشكو بُخْلَهَا وسمـاحتى ۔ لهـا عســل منى وتبـــذل عَلْقَما
فَرُدِّى مُصَابَ القلبِ أنتِ قتلتِه ۔ ولا تَتْرُكِيه ذَاهــلَ العقلِ مُغْرَما

فطَرِب القومُ حتّى خرجوا من عقولهم، فأمسكت عنهم ساعة حتّى تراجعوا، ثم غنّيتُ الثالث

هـذا مُحِبُّك مطوِيًّا على كَمَدِهْ ۔ عبرى مدامعُه تَجْرِى على جسدهْ
له يَدٌ تسأل الرحمنَ راحته ۔ ممـا به ويَدٌ أخرى على كَبِـدِه

فجعلت الجارية تصيح: هذا الغناء والله ياسيدى، لا ما كُنَّا فيه منذ اليوم، وسكِر القومُ، وكان صاحب المنزل حسنَ الشرب، صحيحَ العقل، فأمر غلمانه أن يُخرِجوهم ويحفظوهم إلى منازلهم، وخلوتُ معه، فلما شربْنا أقداحا، قال : ياسـيدى، ذهب ما مضى من أيامى ضَيَاعا، إذ كنتُ لا أعرفك، فمن أنت؟ ولم يزل يلحّ علىَّ، حتّى أخبرته الخبر، فقام وقبّل رأسى، وقال: وأنا أعجب أن يكون هذا الأدب إلا لمثلك! وإنى لجالس مع الخلافة ولا أشعر، ثم سألنى عن قصتى، فأخبرته حتّى بلغتُ إلى صاحبة الكف والمعصم، فقال للجارية : قومى فقولى لفلانة تنزل، فلم تزل تنزل

جواريه واحدةً واحدةً، فأنظر إلى كَفّها ومِعصَمها، وأقول: أليس هي هذه! حتّى قال: والله ما بقى غير أختى وأُمّى. والله لأنزلها إليك، فعجبتُ من كرمه وسعة صدره، فقلت: جُعِلتُ فداك، ابدأ بالأخت قبل الأم فعسى أن تكون هى، فبرزتْ، فلما رأيتُ كَفّها ومِعْصَمَها، قلت: هى هذه فأمر [illegible] غلمانه، فساروا إلى عشرة مشايخ من جِلّة جيرانه، فأقبلوا بهم، وأمر ببَدْرتين فيهما عشرون ألف درهم، ثمّ قال للمشايخ: هذه أختى فلانة، أشهدكم أنى قد زوّجتها من سيدى إبراهيم بن المهدىّ، وأمهرتها عنه عشرين ألف درهم، فرضيت وقَبِلت النكاح، فدفع إليها بَدْرة، وفرّق الأخرى على المشايخ وصرفهم، ثم قال: يا سيدى، أُمهّد بعض البيوت فتنام فيه مع أهلك، فأحشمنى ما رأيت من كرمه، فقلت: أحضر عَمّاريّةً[1] وأحملها إلى منزلى، ففعل، فوالله يا أمير المؤمنين، لقد أتبعها من الجَهَاز ما ضاقت عنه بيوتى، فأولدتها هذا القائم على رأس أمير المؤمنين، يشير إلى ولده، فعجب المأمون من كرم الرجل وألحقه فى خاصة أهله، وأطلق الطفيلىّ وأجازه.

ومن إنشاء المولى الفاضل تاج الدين عبد الباقى بن عبد المجيد اليمنىّ وهو الذى حاز قصبات السبق فى فن الأدب على أترابه، وفاز من البلاغة بفضائل [illegible] فى عنفوان شبابه، رسالة وضعها فى هذا الفن، وصرّح بها على [illegible] مع نزاهة نفسه الأبيّة، وارتفاعه عن المطاعم الدنيّة، وإنما وضعها تجربة لخاطره، وأثبتها فى [illegible] دفاتره، وهى:

هذا عهد عهده [illegible] بن [illegible] : [illegible] أوقات [illegible] وجعل [illegible] الأفراح [illegible]

(١) عمّاريّة: هودج يجلس فيه.

على أن أحلّنا فى منازل السادات، أرفعَ الدرجات، وأحلّ لنـا من الأطعمة الفائقة الطيّبات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تهدينا إلى المقام الرفيع، وتخصنا بالمحل الجسيم المنيع. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رب المكارم الجسام، ومعدن الجسارة والإقدام، الجامع بين فضيلتى الطعان والطعام، صلى الله عليه وعلى آله أهـل السماحة والكرم والإكرام، صـلاة تُحِلّ قائلها فى غُرُفَات الجنان فى دار السـلام. وبعد، فإن صـناعة التطفيل صناعةٌ مهوبة، وحِرْفة هى عنـد الظرفاء محبوبة. لا يَنْبَس شِعارَها إلا كلُّ مقدام، ولا يرفع خافقَ علمها إلا من عُدَّ فى حِرْفته من الأعلام، ولا يتلو أساطير شهامتها إلا من آرتضع أفاويق الصَّفَاقة، ولا يهتدى لمنار عَلائِهـ إلا من نزع عن مَنْكِبيه رِدَاء الرَّقاعة والحمـاقة، وكنتُ والفَوْد غُدَاقِىّ الإهاب، والغصن رَيّان من ماء الشباب، والقَدّ يَميس فى حُلّة النشاط، والقـدَم تَذْرَع الأرض ذَرْعَ الآختباط، لا يُقام سوقُ وليمة إلا وأنا الساعى إليها، ولا ترفع أعلام نار مأدبة إلا وكنت الواقف لديها، أتخذ الدروب شِباكا للآصطياد، وحبائل أبلغ بها لذيذ الآزدراد، قد جعلت المعطس حليف الهواء، والقلب نزيل الأهواء، فحيث عَبَقت روائح الأبازير من أعالى تلك القصور، وتمندلت تلك الشوارع بزعفران نَبْرَه والقُـدُور، ألقيت عصا المسـير على البـاب، وخلبتُ بحسن أدبى قلب البواب، وأوسعت فى وصولى ألف حيله، وجعلتها على ما عندى من حسن فنونها مخيله. فلا دعوة، إلا وكنت عليهم دعوة. ولا وليمة خِتان، إلا وقد طلعت على أوجههم مثل بجان. ولا سِماط نصيب، إلا وكنتُ إليه الساعى المنيب، ولا مجمع ضيافة، إلا وكنت عليه أشد آفة. ولا ملاك عُرْس مشهود، إلا وآنتظمت فى سلك الشهود. بحسن فى فنون الحيل

لو طُبخت قِدْر بمَطْمُورة * موقدُها الشام وأعلى الثغور
وأنت فى الصين لوافيتها * ياعالمَ الغيب بما فى القُدُور

واليوم قد مال القَويمُ إلى الأعوجاج، وعزّ بازى الشيب غُرَاب الشَّعر الدّاج، وقيّد الزمنُ أقداما، ومنعت الشيخوخة إقداما، وصرتُ لحما على وَضَم. بعد أن كنت نارا على عَلَم، وقد أفادتني التَّجْرِبةُ من هذه الصناعة فنونا، وتلت علىَّ من محاسنها متونا، وقد أبقيت لكل مجمع بابا، وفذلكت لكل مَشهد حسابا، وقد اقتضى حسن الرأى أن أفوض إليك أمرها، وأودع تأمور قلبك وحسّك سرّها، علمى بأنك لكيّس الفَطِن، بل الألمعيّ الدَّرِب المَرِن، لو عقدت أكلةُ الولائم بقَابٍ وجله، وأحسن بتأتّيه الجميل مَدْخَلَه ومَخْرَجَه، وقد شاهدت من أعمالك الصالحة، ما يقلّ عند ذهبى: ما أشبه الليلة بالبارحة، وقد عهِدتُ إليك، واستخرت الله فى لتعويل عليك، فمثلك من يُخْطَب للمناصب، ويتسنَّم ذِرْوَة المراتب، ودونك ما أنطق به من وصيتى، واحفظ ما يسرُدُه لسانُ القلمِ من جميل المزايا [illegible] وموائد [illegible] وتزيَّن بساحات الكرام، واتخذ الشروع فى الشوارع حِرفة، وأظهر على مشيك صلافة وعِفّة، وميّز بعينك حُسْنَ المساطب ونَقْشَ الستور، وجمال [illegible] وقعود [illegible] وقصد الأبواب العالية، والأكلة منقوشة [illegible] فإن دنَت على مأدبة [illegible] بعض الأعيان، وجمع إليه أصحابه الإخوان، فالبس من ثيابك جميلها قشيبها، وضوّع بالمندل الرطب طِيبها، وتمن خبر صاحب [illegible] وخبره، وقف فى [illegible] من الحارة، وإذ رأيت جمع وقد تبدّدوا [illegible] وتبدّدوا فى [illegible] الكلام، تقدّم إليهم [illegible] لأمور، [illegible] فقل لهم: [illegible]

ولم تبقَ هنا لك مَعْتَبَة ، تقدَّمْ رافعا لهم الستور ، ومعرّفا بمقـدار أولئك الصدور ، فالأضياف ، يعتقدون أنك غلام المضياف ، وربُّ الحلّة ، يعتقد أنك رفيق السادة الجِلّة ، وإن وَلجتَ مجتمعَ ختان ، وقد نُصِبت فيه موائدُ الألوان ، وذُرفنتِ الأبواب ، واكفهرّت وجوهُ الحُجّاب ، فاجعل تحت ضِبْنِكَ المجمع ، واخدع قلوبَهم فمثلك من يَخْدَع ، وقل : رفيق الأستاذ ومعينُه ، ورِجْله التى يسعى بها بل يمينُه ، فحينئذ تُرْفَع الستُور ، وتُقَدَّمُ لك أطايبُ القُدور ، وإن رماك القَدَرُ على باب غفل عنـه صاحبُه ، وسها فى غَلْقه حاجبُه ، وقد مدُّوا فى أوانيه سِمَاطا ، وجعلوا لأوائل من يقدمه فِرَاطا ، وقد تقاربت الزبادى ، وامتدت الأيادى ، ورأيت السِّمَاط رَوْضَةً تخالفت ألوانها ، وامتـدّت أفنانها ، والموائد فيما بينها أفلاكٌ تدور بصحونها ، بل بروج ثابتة تُشْعِرُ بسكونها ، فَلِجْ على غَفْلة من الرقيب ، وابسُط بَنانَ الأكل وكُفَّ لسانَ المجيب ، فإن قيل لك : أما غْلق دونك باب؟ فقل : ما على الكرماء من حجَاب ، وإيّاك والإطالةَ على الموائد ، فإنها مصايدُ الشوارد ، وإياك والقَذارةَ عليها ، فإنها إمارة الحِرْمان لديها ، وإن وقعتَ على وليمة كثيرة الطعام ، قليلة الازدحام ، كَبِّر اللقمة ولا تطل عَلْكَها ، ومُرِ العكَّ فى سرعة أن يَفُكَّهَا ، فإنك ما تدرى ما تُحدث الليالى والأيام ، خِيفةَ أن يعثُرَ عليـك بعض الأقوام ، فتكتسى حُلَّةَ الخَجَـل ، وتظهر على وجهك صُفرة الوَجَل ، واجعل من آدابك تطلعك فى أثوابك ، ولا ترفع لمستجلّ وجها وجيها ، وقل لمن يحادثك : إيه ولا تقل : إيها ، وجاوب بنعم ، فإنها مُعِينة على اللُّقَم ، واجعل لكل مقام ما يناسبه من الحيلة ، ومِلْ على أهل الولائم والمآدب ميلةً وأىّ ميلةَ ، وسَلْ عمن ورث من آبائه مالا ، وقد جمعه بوَعْثَاء السفر وعَنَائه حراما وحلالا ، أهو يَعْقد مغرما؟ أم يبلغ من دنياه بالقصف مراما؟ فإن قيل : فلان الفلانىّ ربّ

هـذه المثابة، وصاحب الدعوة المجابة ، فكن ثالثة الأثافى لبابه، وانتظم فى سلك عشرائه وأترابه، وتفقّد الأسـواق خصوصا الخامين ، ومواطن الطبخ ومساطب المطربين، ومجمع القراء ومعاهد محالّ الوعّاظ، وكلّ بقعة هى مظنّة فرح يعود عليك نفعه وكن أول داخل وآخر خارج، وملء الزوايا. فهى أجمل هذه الحرفة من المزايا، ونقّل ركابك فى كلّ يوم ، فتـارة فى سوق اللحم وتارة فى سوق الثوم ، وغيّر الحلية ، وقصّر اللحية، وابرز كلّ يوم فى لباس، فهو أكثر للالتباس ، وجدّد البهت حتى تتخذه عصاك ، وتجعله ذريعة لمن عصاك . وأتقن الفنون المحتاج اليها من غنى ونجامة، وطب وشهامة، وتاريخ وأدب، وكرم أصـل وحسب ، وحاقق التوقيت والتنزيل، فاجعلهما دأبك، فإذا عرفوك ، وحضر الجمع وكشفوك ، فطرّز كلّ محفل بمحاسن أقوالك ، وكلّل جيد كلّ مأدبة بجواهر أفعالك ، وعلم أنهب صنعة دثرت معالمها، وقلّ عالمها، ولو لم أرعى وجهك مخائل بشره ، وعى أعطاف أردفت روائح نشرها ، لما ألقيت إليك كتاب عهدها ، ولا حملت نيابت رية مجدها ، فتلق رية هذا العهد بساعد مساعد ، وعضد فى الولوج عى الأنمطة معاضد ، فوضت نيث أمر من تحلّى بجواهرها المنظومة ، وليس حلتها قشيبة مرقومة ، وبسطت نسق قلمك فى رقم عهودها ، وأذنت لك أن تجريها عى سنن معهودها ، ويبث أن تعهد إلا لمن ملك خصالها ، وجس حلالها ، وسنجى هلاها ، وتقن أحوها ، ولاية عامّة ، وكلمـة مبرمة تامّة ، حرس الله بك معقل الأدب وناطقه ، ومحا بك معالم الثقالة والكثافة .

ذكر آداب الأكل والمؤاكلة

قال الله تعالى (يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَٱشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) ورُوِى أنّ داودَ عليه السلام أمر منادِيَه فنادى : أيها الناس، آجتمعوا لأعلّمكم التقوى، فاجتمعوا فقام فى مِحْرابه، فبكى ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال : يٰأيها الناس، لا تُدخلوا ها هنا إلا طَيِّبا، ولا تُخرجوا منه إلا طَيِّبا، وأشار إلى فيه. قيــل : أوّل آداب الأكل، معرفة الحــلال من الحرام، والخبيث من الطّيِّب.

وأما الآداب فى هيئة المؤاكلة وأفعالها، فقد رُوِى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعاب طعاما قطُّ، إن آشتهاه أكله وإلا تركه. ورُوِى أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « لا تَشُمُّو الطعام كما تَشُمُّه البهـائم، من آشتهى شيئا فليأكل، ومن كَرِه فلْيَــدَع ». وقال أَنَس : قَدِمَ النبيّ صلى الله علــه وسلم المدينة، وأنا آبن عشر، ودخل دارنا، فحَلَبْنَا له شاةً، فشرب، وأبو بكر عن يَسَاره، وأعرابىّ عن يَمينه، فقال عُمَرُ بن الخطاب رضى الله عنه : أعط أبا بكر، فقال صلى الله عليه وسلم : «الأيمنَ فالأيمن» وفى هذا المعنى يقول الشاعر

صَدَدْتِ الكأسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وكان الكأسُ مَجْــرَاها اليَمِينا

ورُوِى عن أَنَس : أنه رأى النبىَّ صلى الله عليــه وسلم شرب جُرْعة، ثم قطع، ثمّ سَمَّى، ثم شَرِب جُرْعة، ثم قَطَع، ثم سَمَّى، ثم قَطَع الثالثة، ثمّ جَرَع مَصًّا، حتّى فرَغ ثمّ حَمِد الله. وقد ندب إلى غسل اليد قبل الأكل فإنه ينفى الفقر، ويُنَقّى اللَّمَم؛ ومن السنّة : البداءة بسم الله، وحَمْده عند الانتهاء.

رُوِى عن عمر بن أبى سَلَمَةَ أنه قال : مررت بالنبىّ صلى الله عليه وسلم وهو يأكل، فقال «اجلس يا بُنَىّ وسَمِّ الله ، وكُلْ بيمينك مما يليك» .

وقال بعض السلف : إذا جَمَعَ الطعامُ أربعا ، فقد كَمَلَ كلُّ شىء ، إذا كان حلالا ، وذُكِرَ اسمُ الله عليه ، وكَثُرَتْ عليه الأيدى ، وحُمِدَ اللهُ حين يُفْرَغ منه .

ورُوِى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من قال عند مَطْعَمه ومَشْربه بسم الله خَيْرِ الأسماء رَبِّ الأرضِ والسماءِ لم يضره ما أَكَلَ وما شَرِب» وفى حديث عائشة رضى الله عنها ، عنه صلى الله عليه وسلم قال : «إذا أكل أحدُكم فَلْيَذْكُرِ اسْمَ الله فإن نَسِىَ فى أوّله ، فَلْيَقُلْ بِسْمِ الله فى أوّله وآخره» . وقال صلى الله عليه وسلم : «إذا أكل أحدُكم فليأكل بيمينه ، فإنّ الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله» .

ورُوِى : أنّ المسيحَ عليه السلام كان إذا دعا أصحابَه قام عليهم ، ثمّ قال : هكذا فاصنعوا بالفقراء .

ووصف شاعر قوما فقال :

جُلوسٌ فى مجالسهم رِزَانٌ * وإنْ ضَيْفٌ ألَمَّ بهم وُقوفُ

قال سَهْل بن حُصَين : شهدت الحسنَ فى وليمة ، فَطَعِم مع قوم ، فقال : مدّ الله لكم فى العافية ، وأوسع عليكم فى الرزق ، واستعملكم بالشكر .

ورُوِى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «تخلّلوا فإنه نظافة ، والنظافة من الإيمان ، والإيمان مع صاحبه فى الجَنَّة» .

وفى حديث عمر رضى الله عنه : عليكم بالخُشَيْبَتَيْن : يعنى السِّوَاكَ والخِلَالَ .

وكان بعضهم يقول لولده إذا رأى حرصه فى الطعام : يابُنَىَّ، عوِّد نفسك الأثرة، ومجاهدة الشهوة، ولا تنهس نَهْسَ السِّباع، ولا تخضم خَضْمَ البراذين، فإن الله جعلك إنسانا، فلا تَجْعَلْ نفسَك بهيمةً .

وحكى عن بعض الكتّاب قال : تغديت مع المأمون فالتفت إلىّ وقال : خِلال قبيحة عند الجلوس على الطعام : كثرةُ مسح اليد، والانكباب على الطعام، وكثرةُ أكل البقل . ومعنى ذمّه هذه الخلال الثلاث : أنه إذا أكثر مسح اليد فإنما ذلك من غَمْسها فى الطعام، والانكباب يدُلّ على شدّة الحرص وزيادة الشره والنَّهَم . قال الشاعر

تَقد سَتَرتْ منتْ اِخْوانَ عِمَامَةٌ دَجُوجِيّــة ظَلْمَاؤها ليس تقلع

وأما البقل، فإن الحاجة إلى البُلْغة منه، وفى الإكثار منه تَشَبُّهٌ بالبهائم، لأنه مرعاها .

وقيل : الأكل ثلاثة : مع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط، ومع أبنـاء الدنيا بالأدب .

وقيل لبعض الحكماء : أىّ الأوقات أحمد للأكل ؟ فقال : أما مَنْ قَــدَر فإذا اشتهى . وأما من لم يَقْدِر فإذا وجد .

ذكر الاقتصاد فى المطاعم والعفّة عنها

قال الله عز وجل : (يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْـدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) وفى الحديث أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « من زاره أخوه المسلمُ فقرّبَ إليه ما تيسر غفرَله وجعــل فى طعامه البركةُ، ومن قرَّب إليه ما تيسر فاستحقر ذلك كان فى مَقْت من الله حتّى يخرج» . وقالت عائشة رضى الله عنها : أَوْلَمَ النبىّ صلى الله عليه وسلم على بعض نسائه مُدَّيْنِ من شعير .

وقيل : كان عيسى بن مريم صلوات الله عليه يقول : آعملوا ولا تعملوا لبطونكم، وإياكم وفضولَ الدنيا، فإن فضولها رِجْزٌ، (١٠٦) هذه طير السماء تغدو وتروح، ليس معها من أرزاقها شيء، لا تحرُث ولا تحصد، والله يرزقها، فإن قلتم : بطونُنا أعظم من بطونها، فهذه الوَحْشُ تغدو وتروح، وليس معها من أرزاقها شيء والله يرزقها .

ورُوِى أنّ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : لمّا دخل شهر رمضان كان يفطر ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبد الله بن جعفر، لا يزيد على لقمتين أو ثلاث، فقيل له، فقال : إنما هى ليالٍ قلائل حتى يأتى أمر الله وأنا خَميص، فقتل من ليلته .

وفى الحديث عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من قلّ طُعْمُه صحّ بدنه وصفا قلبه، ومن كثر طعمه سَقِم جسمه وقسا قلبه" . وعنه صلى الله عليه وسلم قال : "ما زيّنَ الله رجلا بزينة أفضل من عَفاف بطنه" . وقال حاتم :

أَبيتُ خَميصَ البطنِ مُضْطَمِر الحشا ... من الجوع أخشى الذمّ أن أتضلّعا
فإنك إن أعطيتَ بطنك سؤْلَه ... وفرجَك نالا منتهى الذمّ أجمعا

وقال بعضهم : رأيت مجنونا ببغداد، وهو على باب دار فيها صنيع والناس يدخلون، وكنتُ ممن دعى، فقلت : ألا تدخل فتأكل؟ فإن الطعام كثير، قال : وإن كثر فإنى ممنوع منه، فقلت : كيف والباب مفتوح، ولا مانع من الدخول؟ فقال : أآكل طعاما لم أُدْعَ إليه؟ لما اضطرّنى إلى ذلك غير الجوع، فقلت : ما هو؟ قال : دناءة النفس وسوء الغريزة، قال الشاعر :

وإنى لَعَفّ عن مطاعمَ جَمّةٍ ... إذا زيّنَ الفحشاءَ للنفس جوعها

وقال آخر

وأعرِضُ عن مَطَاعِمَ قد أراها * فأتركها وفى البطن آنطواءُ
فلا وأبيك ما فى العيش خيرٌ * وفى الدنيا إذا ذهب الحياءُ!

قال الجنيد : مرّ بى الحارث بن أسد المحاسبىّ، فرأيت فيه أثرَ الجوع، فقلت : يا عمّ، تدخل الدار وتتناول شيئا ؟ قال : نعم، فدخل، وقدّمت إليه طعاما حُمِل إلىّ من عُرْس. فأخذ لقمة فلاكها ونَهَضَ فألقاها فى الدِّهليز ومضى، فالتقيت به بعد أيام. فقلت له فى ذلك، فقال : كنت جائعا، وأردت أن أسرّك بأكلى، ولكن بينى وبين الله تعالى علامة. أن لا يُسَوِّغنى طعاما فيه شُبْهة، فمن أين كان ذلك الطعام؟ فأخبرتُه. ثم قلت له : تدخل اليوم ؟ قال : نعم، فقدّمت إليه كِسَرًا كانت لنا فأكل وقال : إذ قدّمت لفقير شيئا، فقدّم مثل هذا .

رُوِى أن عمرو بن العاص قال لأصحابه يوم الحكمين : أكثِرُوا لهم الطعام، فوالله ما بَطِنَ قوم إلا فقدوا بعض عقولهم. وما مضت عَزْمَةُ رجل بات بطينا، فلما وجد معاوية ما قال صحيحا، قال : البِطْنَة تُذْهِب الفِطْنة .

وروِى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا تُميتوا القلوب بكثرة الطعام والشرب، فإن القلوب تموت كالزرع إذا كثر عليه الماء» .

ودخل عمر رضى الله عنه على آبنه عاصم وهو يأكل لحما فقال: ما هذا؟ قال: قَرِمنا إليه، قال: ويحك! قَرِمتَ إلى شىء فأكلته، كفى بالمرء شَرَهًا أن يأكل كلّ ما يشتهى.

قال آبن دريد : العرب تُعيِّر بكثرة الأكل، وأنشد

لستُ بأكّال كأكل العبد ولا بِنوّام كنَوْمِ الفَهْد

وقال عمر رضى الله عنه : ما اجتمع عند النبىّ صلى الله عليه وسلم إدامان إلا أكل أحدَهما وتصدّق بالآخر .

وقال أبو سليمان الدارانىّ : خيرُ ما أكون إذا لَصِق بطنى بظهرى . أجوعُ الجَوْعَةَ فأخرج تَرْحَمُنى المرأةُ فما ألتفت إليها . وأَشبَعُ الشَّبْعَةَ فأخرج فأرى عينَىَّ تطمحان .

ذكر أخبار الأَكَلَة

قد نُسِب ذلك إلى جماعة من الأكابر وذوى الهِمَم . فمن ذلك ما حكاه حَمْدُونىّ فى تذكرته : أن معاوية بن أبى سفيان أُتِى بعجْلٍ مَشْوِىّ . فأكل معه دستا من الخبز السميد ، وأربع فَرَانِىّ[1] ، وجَدْيا حارا ، وجديا باردا ، سوى الألوان . ووُضِع بين يديه مائةُ رطل من الباقلّاء الرطب ، فأتى عليه . وقيل : إنه كان يأكل كل يوم أربع أَكَلَات آخرهنّ أشدّهنّ . ثم يقول : يا غلام ، ارفع . فوالله ما شبِعت . ولكنى مَلِلتُ .

ومنهم عُبَيد الله بن زياد . كان يأكل فى اليوم خمسَ أكلات آخرها جنبة بغل ، ويُوضع بين يديه بعد ما يفرغ من الطعام عَنَاق[2] أو جَدْى فيأتى عليه وحده .

ومنهم الحجّاج بن يوسف . قال سلم بن قتيبة : كنت فى دار الحجاج مع ولده . وأنا غلام . فقالوا جاء الأمير . فدخل الحجاج وأمر بتنّور . فنُصِب . وأمر رجلا يَخْبِزُ خبز الماء ودعا بسمك . فأكل حتّى أتى على ثمانين جاما من السمك بثمانين رغيفا من خبز الماء .

ومنهم سليمان بن عبد الملك . رُوِى أنه شُوِىَ له أربعة وثمانون خروفا . فمدّ يده إلى كلّ واحد منها فأكل شحمة أَلْيته ونصف بطنه . مع أربعة وثمانين رغيفا . ثم أَذِن للناس . وقدّم الطعام . فأكل معهم أكْلَ من لم يذق شيئا .

---

(١) الفرانى : خبز يشوى ويرقق ثم يلت بسمن .

(٢) العناق : الأنثى من ولد المعز .

وقال الشَّمَرْدَل وكيل عمرو بن العاص : قَدِم سليمان بن عبد الملك الطائف ، فدخل هو وعمر بن عبد العزيز، فجاء حتى ألقى صدره إلى غصن، ثم قال : يا شَمَرْدَل ، ما عندك شيء تُطعِمُني؟ قلت عندى جَدْيٌ تغدو عليه حافِل و تروح أخرى، قال : عجِّل به ،فأتيته به كأنه عُكَّة سمن ،فجعل يأكل ،وهو لا يدعو عمر، حتى بقى منه فخذ، قال : ياأبا حفص، هَلُمّ، قال : إنى صائم، فأتى عليــه، ثم قال : ياشمردل ويلك ! ما عندك شيء؟ قلت : دجاجات ست، كأنهن رِئْلان النعام، فأتيته بهنّ فأتى عليهن، ثم قال : ويلك ياشمردل ! ما عندك ؟ قلت : سَوِيق كأنه قُراضة الذهب، فأتيته بعسٍّ[1] يغيب فيــه الرأس، فشربه. فلمــا فرغ تجشأ كأنه صارخ فى جُبّ، ثم قال : يا غلام! أفرغتَ من غدائنا؟ قال : نعم. قال : ما هو؟ قال : نَيِّف وثمانون قِدرا، قال : فأت بقدر قدر. و بقنع عليه رُقَاق. فأكل من كل قِدْر ثلاث لقم، ثم مسح يده وآستلقى على فراشه. فوضع الخوان. وقعد يأكل مع الناس .

ومن المشهورين بالأكل. هلال بن الأسْعر المــازنىّ ،قال المعتمر بن سليمان : سألتــه عن أكله فقال : جعتُ مرة ومعى بعيرٌ لى فنحرتُه وأكلتُه إلا ما حملتُ منه على ظهرى. فلما كان الليل راودتُ أمة لى فلم أصل إليها، فقالت كيف تصل إلىّ وبينى و بينك جمل ؟ فقلت له : كم بلَغتك هــذه الأكلة ؟ فقال : أربعة أيام . وحكى أبو سـعيد منصور بن الحسن الأبِىّ فى كتابه المترجم بنــثر الدّر : أن هلالا هذا أكل بعيرا، وأكلت آمرأته فصيلا وجامعها. فلم يتمكن منها، فقالت له : كيف تصل إلى وبنى و بينك بعيران؟ وله حكايات ذكرها الحمدونىّ فى التذكرة، والأَبىّ فى نثر الدر تركناها اختصارا .

(١) العس : القدح العظيم .

ومنهم محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، ذكر الجاحظ : أنه أكل يوما جنبي بكر شواء بعد طعام كثير .

ومن المشهورين بالنهم ، أحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون . وكان المأمون إذا وجهه فى حاجة ، أمره أن يتغدى ويمضى فرُفع إلى المأمون فى المظالم : إن رأى أمير المؤمنين أن يجرى على ابن أبي خالد نُزُلا . فإن فيه كلبية ، إلا أن الكلب يحرس المنزل بكسرة ، وابن أبي خالد يقتل المظلوم ، ويعين الظالم بأكلة . فأجرى عليه المأمون فى كل يوم ألف درهم لمائدته . وكان مع ذلك يشره إلى طعام الناس . ولما انصرف دينار بن عبد الله من الجبل ، قال المأمون لاحمد بن أبي خالد : امض إلى هذا الرجل وحاسبه وتقدم إليه بحمل ما يحصل لنا عليه وأنفذ معه خادما يُنهى إليه ما يكون منه ، وقال : إن أكل أحمد عند دينار عد إلينا بما نكره ، ولما اتصل خبر أحمد بدينار ، قال للطباخ : إن أحمد أشره من نُفخ فيه الروح ، فإذا رأيته فقل له : ما الذى تأمر أن يتخذ لك ؟ ففعل الطباخ ، فقال أحمد : فراريج كسكرية بماء الرمان تقدم مع خبز الماء بالسميد ، ثم هات بعده ما شئت . وبدأ الطباخ بما أمر ، وأخذ أحمد يكلم دينار ، فقال له : يقول لك أمير المؤمنين : إن لنا قبلك مالا قد حبسته علينا ، فقال : الذى لكم ثمانية آلاف ألف . قال فاحملها . قال : نعم ، وجاء الطباخ فاستأذن فى نصب المائدة ، فقال أحمد : عجّل بها فإنى أجوع من كلب ، فقدمت وعليها ما اقترح ، وقدم الدجاج وعشرين فروجا كسكرية فأكل أكل جائع نهم ، ما ترك شيئا مما قدم ، فلما فرغ وقدر الطباخ أنه قد شبع ، جاء بطيفورية فيها خمس سمكات شبابيط كأنها سبائك الفضة . فأنكر أحمد عليه إلا قدمها ؟ وقال : هاتها ، وعاد أحمد لخطابه ، فقال دينار : أليس قد عرفتك

أن الباقي لكم عندي سبعة آلاف ألف؟ قال أحسبك آعترفتَ بأكثر منها، فقال: ما آعترفت إلا بها، فقال: هاتِ خطك بما آعترفت به، فكتب بستة آلاف ألف فقال أحمد: سبحان الله! أليس قد آعترفت بأكثر من هذا؟ قال: ما لكم قِبلي إلا هذا المقدار، فأخذ خطه بها وتقدّم الخادم، فأخبر المأمون بما جرى، فلما ورد أحمد ناوله الخط، فقال: قد عرفنا ما كان من الألف ألف بتناول الغداء، فما بال الألف ألف الأخرى. فكان المأمون بعد ذلك يقول: ما أعلم غداء قام على أحد بألفي ألف إلا غداء دينار، وآقتصر على الخط ولم يتعقبه كَرَما ونُبْلا .

ومنهم أبو العالية. حُكِي أن آمرأة حملت فحلفت إن ولدت غلاما لأُشبِعَنّ أبا العالية خَبِيصا. فولدت غلاما، فأطعمته، فأكل سبع جِفان، فقيل له: إنها حلفت أن تشبعك خَبِيصا، فقال: والله لو علمت لما شبعت إلى الليل .

ومنهم أبو الحسن بن أبي بكر العلّاف الشاعر دخل يوما على الوزير المُهَلَّبي ببغداد. فأنفذ الوزير من أخذ حِماره الذى كان يركبه من غلامه، وأُدخل المطبخ وذُبِح وطُبِخ لحمه بماء وملح، وقُدِّم بين يديه، فأكله كلّه وهو يظن أنه لحم بقر، فلما خرج طلب الحمار، قيل له: قد أكلتَه، وعوّضه الوزير عنه ووصله، فهذا كافٍ فى أخبار الأَكَلة .

ذكر ما قيل فى الجُبْن والفرار

ومن أقبح ما هُجِي به الرجل أن يكون جبّانا فرّارا، وقد نهانا الله عزّ وجل عن الفرار، فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ (١)

ومأواه جهنم وبئس المصير) . وقال تعالى: (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم).

وقالت عائشة رضي الله عنها : إن لله خلقا، قلوبهم كقلوب الطير، كلما خفقت الريح خفقت معها، فأف للجبناء، أف للجبناء .

وقال خالد بن الوليد عند موته : لقيت كذا وكذا زحفا، وما في جسدي موضع إلا فيه طعنة برمح أو ضربة بسيف أو رمية بسهم. وهأنذا أموت على فراشي حتف أنفي، كما يموت العير. فلا نامت أعين الجبناء .

وقيل كتب زياد إلى ابن عباس : أن صف لي الشجاعة والجبن والجود والبخل فكتب إليه : كتبت تسألني عن طبائع ركبت في الإنسان تركيب الجوارح. اعلم أن الشجاع يقاتل عمن لا يعرفه، والجبان يفر عن عرسه، وأن الجواد يعطي من لا يلزمه، وأن البخيل يمسك عن نفسه. وقال شاعر

يفر جبان القوم عن عرس نفسه ۔ ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه

وقالوا : الجبن غريزة كالشجاعة يضعها الله فيمن شاء من خلقه .

قال المتنبي

يرى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

وقالوا : حد الجبن الضن بالحياة، والحرص على النجاة .

وقالت الحكماء في الفراسة : من كانت فزعته في رأسه. فذلك الذي يفر من أمه وأبيه، وصاحبته وأخيه. وفصيلته التي تؤويه .

ويقال : أسرع الناس إلى الفتنة أقلهم حياء من الفرار . وقال هانئ الشيباني لقومه يوم ذي قار يحرضهم على القتال : يا بني بكر! هالك معذور، خير من ناج

فرور، المنيّة، ولا الدنيّة، آستقبال الموت خير من آستدباره، الثغر فى ثغور النحور، خير منه فى الأعجاز والظهور، يا بنى بكر! قاتلوا، فما من المنايا بدٌّ، الجبان مبغّض حتّى لأمّه، والشجاع محبّب حتّى لعدوّه .

ويقال : الجُبْنُ خيرُ أخلاق النساء، وشرّ أخلاق الرجال .

وقال يَعْلَى بن مُنَبِّه لقومه حين فروا من علىّ يوم صِفّين : إلى أين؟ قالوا : ذهب الناس ، قال : أُفٍّ لكم ! فِرارا وآعتذارا ! قال : ولما قوتل أبو الطيّب المتنبى ورأى الغلبة عليه فرّ، فقال له غلامه : أترضى أن يُحدَّث بهذا الفِرار عنك ؟ وأنت القائل

الخيـلُ والليـلُ والبيـداءُ تعرفُنى ... والطّعنُ والضَّربُ والقِرطَاسُ والقَلَمُ

فكرّ راجعا، وقاتل حتى قُتِلَ، وآستقبح أن يُعَيَّرَ بالفِرار .

وقال المنصور لبعض الخوارج عليه وقد ظفر به : أخبرنى عن أصحابى، أيهم كان أشدّ إقداما فى المبارزة، قال : لا أعرف وجوههم مقبلين وإنما أعرف أقفيتهم مُدْبِرين، فقل لهم : يُدْبِروا لأعرّفك أيّهم كان أشدّ فِرارا .

وقال آبن الرُّومىّ فى سليمان بن عبد الله بن طاهر

قِـرْنُ سليمانَ قـد أَضَرَّ به ... شوقٌ إلى وجهـه سَيُدْنِفُهُ
لا يعرف القِرنُ وجْهَه ويرى ... قفـاه من فَرْسَخٍ فيعرِفُهُ

وقال حسّان بن ثابت يعيّر الحارث آبن هشام بفراره يوم بدر

إن كنتِ كاذبةَ الذى حدثتنى ... فنجوتِ مَنْجَى الحارث بنِ هِشَامِ
ترَكَ الأَحِبَّـةَ لم يُقاتل دونهـم ... ونجـا برأس طِـمِرَّةٍ ولِجَـامِ
ملأت به الفَرْجَيْنِ وارمدّت به ... وثوى أَحِبّتـه بِشَرِّ مُقَـامِ

وقال أبو الفرج الأصفهانى : وكان أبو حيّة النميرى وهو الهيثم بن الربيع ابن زُرَارة جبانا بخيلا كذّابا، قال ابن قُتَيبة : وكان له سيف يسمّيه: لُعَاب المنية، ليس بينه وبين الخشبة فرق ، قال : وكان أجبن الناس ؛ قال : فحدثنى جار له، قال : دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصًّا ، فأشرفتُ عليه ، وقد انتضى سيفه ، وهو واقف فى وسط الدار يقول : أيها المغترُّ بنا ، المجترئ علينا ، بئس والله ما اخترتَ لنفسك ، خيرٌ قليل ، وسيفٌ صقيل، لعاب المنية الذى سمعت به ، مشهورة ضربته ، لا تُخاف نَبْوتُه ، اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك، إنى والله إن أدعُ قيسا إليك لا تقم لها، وماقيس ؟ تملأ والله الفضاء خيلا ورَجْلا، سبحان الله ! ما أكثرها وأطيَبَها ! فبينا هو كذلك، إذ الكلب قد خرج، فقال : الحمد لله الذى مسخك كلبا، وكفانا حرْبا .

ومن أبلغ ما قيل فى الجبن من الشعر القديم، قول الشاعر

ولو أنها عُصْفُورة لحسبتها - مسوّمةً تدعو عُبيدا وأزْنَما(١)

ومثله قول عروة بن الورد

وأشجعُ قد أدركتُهم فوجدتُهم يخافون خَطْفَ الطير من كلّ جانبِ

وقال آخر

مازلت تَحْسَبُ كلّ شىء بعدهم خيلا تكرُّ عليهم ورجالا

وقول أبى تمام

مُوَكَّلٌ بيفاع الأرض يشرفه من خفة الخوف لا من خِفّة الطّرَبِ

---

(١) قبيلتان .

وقال ابن الرومى:

وفارسٍ أجبن من صــفردٍ (١) ... يحول أو يغور من صَفرَهْ
لو صاح فى الليل به صائحٌ ... لكانتِ الأرضُ له طَفرَهْ
يرحمه الرحمنُ من جُبنه ... فيرزقُ الجنـد به النصرهْ

ومن أخبار الفرّارين الذين حسّنوا الفِرار على قبْحه

قال صاحب كليلة ودمنة : إن الحازم يكره القتال ما وجد بُدًّا منه ، لأن النفقة فيه من النفس، والنفقة فى غيره من المال .

وقالوا : من توقّى سلم، ومن تهوّر ندم .

وقال عبـد الله بن المقفّع : الشجاعة متلَفة ، وذلك أن المقتول مُقْبلا أكثر من المقتول مُدْبرا، فمن أراد السلامة فليُؤْثر الجُبن على الشجاعة .

ولِيمَ بعضُ الجبناء على جبنه، فقال : أوّل الحرب شكْوى، وأوسطها نجْوَى ، وآخرها بَلْوى .

وقال آخر : الحرب مقتلة للعباد، مذهبة للطارف والتّلاد .

وقيل لجبان : لم لا تقاتل ؟ فقال : عند النطاح يُغْلَب الكبش الأجمّ (٢) .

وقالوا : الحيدة أفضل من الموت، والفِرار فى وقته ظَفَر .

وقالوا : الشجاع ملقًّى، والجبان موقًّى . قال البديع الهمذانى :

ما ذاق همًّا كالشجاع ولا حلا ... بمَسَرَّةٍ كالعاجز المُتَــوانِي

وقالوا : الفرار فى وقته، خير من الثبات فى غير وقته .

---

(١) صفرد : طائر [illegible] : أبو مليح وهو جبان .

(٢) الأجمّ : [illegible] لا قرن له ، وهو [illegible] صاحبه [illegible] .

وقالوا : السّلم أزكى للمال، وأبقى لأنفُس الرّجال .

وقالوا : الحمام فى الإقدام، والسلامة فى الإحجام .

وقال المتوكّل لأبى العيناء : إنى لأفرَق من لسانك، فقال : يا أمير المؤمنين، الكريم ذو فَرَق وإحجام، واللئيم ذو وقاحة وإقدام .

وقيل لأعرابىّ : ألا تعرف القتال؟ فإن الله قد أمرك به، فقال : والله إنى لأبغض الموت على فراشى فى عافية، فكيف أمضى إليه رَكْضا، قال شاعر

تمشى المنايا الى قومٍ فأبغضها　　فكيف أعدو إليها عارىَ الكَفَنِ؟

وقيل ليزيد : إن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « إذا رأيتَ شخصا بالليل، فكن للإقدام عليه أولى منه عليك » فقال : أخاف أن يكون قد سمع الحديث قبلى، فأقع معه فيما أكره، وإنما الهربُ خير .

وسمِع سليمانُ بن عبد الملك قارئا يقرأ (قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) فقال : ذلك القليلَ نريد .

ولما فرّ أميّةُ بن عبد الله بن خالد بن أسيد يوم مَرْدَاء هَجَر بالبحرين من أبى فُدَيْك الخارجىّ إلى البصرة، ودخل عليه أهلها، فلم يدروا كيف يكلّمونه ولا ما يلقونه به من القول، أيهنئونه بالسّلامة أم يعزّونه بالفرار، حتى دخل عبد الله ابنُ الأهتم، فاستَشْرَف الناس له، ثم قالوا : ما عسى أن يقول لمنهزم؟ فسلّم ثم قال : مرحبا بالصابر المخذول، الحمد لله الذى نظر لنا عليك، ولم ينظر لك علينا، فقد تعرضت للشهادة جهدك، ولكن الله علم حاجة أهل الإسلام إليك فأبقاك لهم بخِذْلان من معك لك، فقال أميّة : ما وجدت أحدا أخبرنى عن نفسى غيرك .

وقال الحارث بن هشام وأحسن فى اعتذاره عن الفرار

الله يَعْـــلمُ ما تركْتُ قتـالهَـم حتى عَلَوْا مُهرى بأشـقرَ مُزبِدِ
وعلمتُ أنّى إنْ أقاتلْ واحدا أُقتلْ ولا يضرر عدوّى مَشْهَدى
فصَدفْتُ عنهم والأَحِبَّةُ فيهمْ طمعا لهم بعِقَاب يوم سَرْمـدِ

وقال زُفَرُ بن الحارث وقد فرّ يوم مَرْج راَهِطٍ عن رفيقَيه

أَيذهبُ يوم واحد إن أَسَأتُه * بصالح أيامى وحسنِ بلائيـا؟
فلم تُرَ منّى زَلَّةٌ قبـل هــذه فِرارى وتَرْكى صاحبىّ ورائيـا

وهى أبيات نَذْكُرها إن شاء الله فى التاريخ، ونظير ذلك قول عمرو بن معد يكرب من أبيات يخاطب بها أخته رَيحَانة، وقد فرّ من بنى عَبْس

أجاعِــلةٌ أمُّ الثُّـــوَيْرِ خزايةً * علىَّ فِرارى إذ لَقِيتُ بنى عَبْس
وليس يُعاب المرءُ من جبنِ يومِه إذا عُرِفتْ منه الحمَاية بالأَمْسِ

وعكَس هذا البيت عبدُ الله بنُ مطيع بن الأسود العَدوىّ، وكان قد فرّ يوم الحَرَّة من جيش مُسلِم بنِ عُقبةَ، فلما حاصر الحجاج عبدَ الله بنَ الزبير بمكةَ جعـل يقاتل أهل الشّام ويرتجز

أَنا الذى فَرَرتُ يوم الحَـرَّهْ والشيـــخ لا يَفِـــرّ إلا مَرَّهْ
فاليـــومَ أَجزِى كَرَّةً بِفَـــرَّهْ لا بأس بالكَرَّة بعـــد الفَـرَّهْ

ولم يَزلْ يُقاتِل حتى قُتِل؛ قال الفرّار السُّلمىّ

وفوارسٍ لَبَّسْتُها بفـــوارس حتى إذا ٱلتَبَسَت أَملْتُ بها يدى
وترَكْتُهم تقِص الرِّماح ظهورَهم من بين مقتـــولٍ وآخرَ مُسْنَدِ
هل ينفعنّى أن تقولَ نساؤهم وقُتِلتُ دون رجالِهم : لا تَبْعَـدِ؟

وقال آخر

قامت تُشَجِّعنى هِنْدٌ فقلت لها : * إن الشجاعة مَقْرُونٌ بها العطبُ
لا والذى منع الأبصارَ رؤيتَه . * مايشتهى الموتَ عندى من له أَرَبُ
للحرب قومٌ أضلّ الله سعيَهُمُ . * إذا دعتْهُم إلى نيرانها وَثَبُوا

وقيل لجبان فى بعض الوقائع : تَقَدَّم، فقال

وقالوا: تقدّم قلتُ: لستُ بفاعل * أخاف على فَخَّارَتى أن تَحَطَّمَا
فلو كان لى رأسان أتلفتُ واحدا * ولكنه رأس إذا زال أَعْقَمَا
وأُوتِمَ أولادا وأرمِلُ نسوةً * فكيف على هذا تَرَوْنَ التقدّما؟

ذكر ما قيل فى الحمق والجهل

قالوا : الحُمق قِلّةُ الإصَابة، ووَضْعُ الكلام فى غير موضعه. وقيل : هو فقدان ما يُحمد من العاقل. وقيل لعمرَ بنِ هُبَيْرة : ما حدّ الحمق؟ قال : لا حدّ له كالعقل .

وروى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الأحمق أبغض الخلق إلى الله، لأنّه حرمه أعزّ الأشياء عليه وهو العقل» . 

وقيل : أوحى الله تعالى إلى موسى: أتدرِى لمَ رزقتُ الأحمقَ؟ قال: لا يا ربّ. قال : ليعلم العاقلُ أن طلبَ الرزقِ ليس بالاجتهاد .

وقال الشعبىّ : إذا أراد الله أن يُزيلَ عن عبد نعمةً، كان أوّلُ ما يغيّره منه عقلَه .

وقالوا : الحمق داء دواؤه الموت . وقد نعى الله على الكفار فى مواضع من كتابه عدم العقل، (لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) قيل : عاقلا. وبقوله: (لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) .

وعَنْ أنس بنِ مالكٍ رضى اللهُ عنه قال : أثنى قومٌ على رجل عند النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى بالَغُوا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف عقلُ الرجل؟ » فقالوا : نُخبرُك عن آجتهاده فى العِبادَة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الأحمقَ يصيبُ بحُمْقه أعظمَ من فُجُورِ الفاجرِ، وتَرتفِـع العبادُ غدا فى الدرجات على قدر عقولهم » .

ومِن كلامِ لقمانَ لآبنه : أنْ تكون أخرسَ عاقلا خيرٌ من أن تكونَ نطوقا جاهلا، ولكل شىء دليل، ودليلُ العـقلِ النقلُ، ودليلُ النقلِ الصمتُ، وكَفَى بك جهلا أن تَنهى الناس عن سىء وتركبه .

وقال عيسى عليه السلام : عَالجتُ الأكمَهَ والأبرَصَ فأبرأتُهما، وعالجت الأحمقَ فأعْيانى، قال شاعر

لِكل داءٍ دواءٌ يُسْتطبُّ به * إلا الحماقةَ أعيت من يُداويها

وقال آخر

وعلاجُ الأبْدان أيسرُ خطبٍ * حينَ تعتلّ من علاجِ العقـولِ

وقال آخر

الحمق داءٌ ما له حيـلةٌ * تُرجى كبعدالنجم من مسّهِ

وقيل : إذا قيل لك إن فقيرا آستغنى، وغنيا آفتقَر، وحيّا مات، أو ميتا عاش، فصدّق، وإذا بلغك أن أحمقَ آستفادَ عقلا فلا تصدّقْ .

وقالوا : الأحمقُ تتمنى أمُّه أنّها به مثْكلة ، وتتمنى زوجه أنّهـا منه أرملة، ويتمنى جارُه منه العزلةَ ، ورَفيقه منه الوحدةَ، وأخوه منه الفُرقةَ .

وقال سهل بنُ هارونَ: وجدتُ مودّة الجاهل، وعداوةَ العاقلِ، أسوةً فى الخَطَر، ووجدتُ الأُنسَ بالجاهل، والوحشةَ من العاقل، سِيّيْن فى العيب، ووجدتُ غِشّ العاقل أقلَّ ضررًا من نصيحةِ الجاهلِ، ووجدتُ ظنّ العاقل أوقعَ بالصواب من يَقينِ الجاهل، ووجدتُ العاقلَ أحفظَ لما لم يُستَكتَم من الجاهل لما آستُكتِمَ .

وقال لقمان لابنه : لا تُعاشرْ الأحمقَ وإنْ كان ذا جمال . وآنظر إلى السيف ما أحسنَ مَنظَرَه وأقبحَ أثَرَه! .

وقال علىٌّ رضى الله عنه : قَطيعةُ الجاهل تَعدِلُ صِلَةَ العاقِلِ . وقال : صديقُ الجاهلِ فى تعب .

وقال آخر : لَأَنَا لِلعاقِلِ المُدْبِرِ أَرْجَى شىء من الأَحمَقِ المُقْبِلِ . وقال شاعر

عَدُوّكَ ذُو العقل خيرٌ من الـ ـصّديقِ لكَ الوَامِقِ الأَحْمَقِ

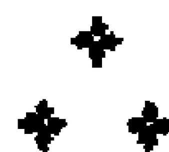
والبيت المشهور السائر

وَلَأَنْ يُعَادِىَ عَاقِلا خَيْرٌ له * مِنْ أنْ يَكُونَ له صديقٌ أحمقُ

وقيل : الحمق يَسلبُ السلامة، ويورث الندامة . وقد ذمّوا من له أدب بلا عقل .

ووصف أعرابىّ رجلا فقال : هو ذو أدبٍ وفر، وعقلٍ نَزرٍ . قال شاعر

فَهَبْكَ أخا الآدابِ، أَىّ فَضيلةٍ تكونُ لذى عِلمٍ وليس له عقلُ؟



ومن صفات الأحمقِ وعلاماتِه، قيل : ما عُدِمتْ من الأحمقِ ولا عُدِمتْ منه كثرة الآلتفاتِ وسرعة الجوابِ . ومن علاماته لمعه كلَّ ...

ويُقال: إنّ الجاهلَ مُولَعٌ بحلاوةِ العاجل، غيرمبالٍ بالعواقب، ولا مُعْتَبر بالمواعظ، ليس يُعجبُه إلا ما ضَرّه. إن أصابَ فَعَلَ غيرِ قَصدٍ. وإنْ أخطأ فهو الذى لا يحسن به غيرُه، لا يَستوحِشُ من الإساءة، ولا يفرحُ بالإحسانِ .

وقالوا: ستُّ خِصال تُعرفُ فى الجاهل، الغضبُ منْ غيرِ شىء، والكلام فى غير نفع، والفِطْنة فى غير موضع، ولا يَعرِفُ صديقَه مِن عدوّه، وإفشاءُ السرِّ، والثِّقةُ بكلِّ أحد .

وقالوا : غضَب الجاهلِ فى قوله، وغضبُ العاقلِ فى فعـلِه، والعاقلُ إذا تَكَلَّم بكلمةٍ أتْبعَهامثلا . والأحمق إذا تكلم بكلمة أتبعها حُلْفا. الأحمقُ إذا حَدّث ذَهَل، وإذا تكلم عجِل. وإذا حُمِلَ على القبيح فَعَل .

وقال أبو يوسف : إثْباتُ الحجة على الجاهلِ سهلٌ، ولكن إقراره بها صعبٌ .

وقال وهب بنُ منبّه : كان يقال للأحمق إذا تكلّم : فضَحَه حمقُهُ، وإذا سكَت فضحه عِيُّه، وإذا عمِل أفسَدَ. وإذا تَرك أضَاع، لا علمُه يُعينُه، ولا علمُ غيرِه ينْفعُه، تَوَدّ أمُّه أنها ثكلتْه، وتمنى امرأتُه أنها عَدِمتْه، ويتمنى جارُه منه الوحدةَ، وتأخذ جليسَه منه الوحشة.

ويُستدلُّ على الأحمق بأشياء، قالوا: من طالتْ قامتُه، وصَغُرت هامتُه، وانسدلت لحيتُه، كان حَقيقا على من يراه أنْ يُقرّبَه عن عقلِه السلامَ .

ويُقال فى التوراة : اللحيةُ مَخرَجُها من الدماغ، فمن أفرطَ عليه طولُها قلّ دِماغُه، ومن قلّ دِماغُه قلّ عقلُه. ومن قلّ عقلُه فهو أحمقُ .

وقالت أعرابيّة لبعض تعنى عليها : صَغُر رَأسُك، فَبعُدَ فهمُك، وانسدلت لحيتُك، فتكَوسَجَ عقلُك. وما رأيت مَيْتا يقضى بين حَيَّيْن غيرك .

وقال مَسْلَمة بنُ عبدِ الملكِ لجلسائه : يُعرفُ حمقُ الرجلِ فى أربعٍ ، طول لحيته ، وبشاعة كنيته ، وإفراط شهوته ، ونقش خاتَمِه ، فدخل عليه رجلٌ طويلُ اللحية . فقال : أمّا هذا فقد أتاكم بواحدةٍ ، فانظروا أينَ هوَ من الثّلاثِ ؟ فقيل له : ما كُنيتُك ؟ فقال : أبو الياقوتِ ، فقيل له : ما نقشُ خاتَمِك ؟ فقال : (وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى ٱلْهُدْهُدَ) قيل : فأيُّ الطعامِ أحبُّ إليكَ ؟ قال : الجُلَنْجَبِين[1] . فقال مَسْلَمة : فيه ما بعدَ كنيتِه ، معَ طول لحيتِه ، مع نقش خاتَمِه ، شكٌّ لمُعْتَبِرٍ . (٢٢٢)

قال الشّعبيّ : خطَب الحجاجُ يومَ جمعةٍ فأطال ، فقام إليه أعرابيٌّ ، فقال له : إن الوقت لا ينتظرُك وإنَّ الربَّ لا يعذِرك ، فأمر به فحُبِس ، فأتاه أهلُه يشفعون فيه وقالوا : إنه مجنونٌ ، فقال الحجاجُ : إن أقرَّ بالجنونِ خلّيتُ سبيلَه ، فأتوه وسألوه ذلك ، فقال : لا واللهِ ، لا أقول إن الله آبتلانى وقد عافانى ، فبلغ كلامُه الحجاجَ ، فعظُم فى نفسه وأطلقَه .

وقال الأصمعيُّ : قلت لغلامٍ من أبناء العربِ : أيسرُّك أن يكون لك مائةُ ألفٍ وأنت أحمقُ ؟ قال : لا واللهِ ، قلتُ : ولِمَ ؟ قال : أخاف أن يَجْنِيَ علىّ حمقى جِنايةً ، فتذهب منّى ، ويبقى حُمقى .

والعربُ تَضربُ المَثَلَ فى الحُمقِ بعِجْل بن لُجَيْم ، ويزعمون أنّه قيل له : إنَّ لكل فرسِ جوادٍ آسماً ، وإنَّ فرسَك هذ سابِقٌ فسمِّه ، ففقأ عينَه وقال : سمّيته الأعورَ . وفيه يقول الشاعر

---

(١) قال صاحب أقرب الموارد : الجُلَنْجَبِين : معجون يعمل من الورد والعسل ، وهى فارسية مركبة من كلمة "كل" ومعناه وردة ومن كلمة "انكبين" ومعناه عسل .

رَمتْنِي بَنُــو عِجـلٍ بداءِ أبيهِــمُ * وهل أحدٌ فى الناس أحمقُ من عِجلِ؟
أليس أبوهم عارَ(١) عينَ جـوادِه ؟ * فسارتْ به الأمثالُ فى الناس بالجهلِ!

ويضربون المَثَل فى الحمق بِهَبَنَّقَةَ القَيْسىّ، وهو يَزيدُ بنُ ثَرْوَان، ويكنى أبا نافع، حُكى أنه شَرد له بعيرٌ، فقال : من جاء به فله بَعِيران، فقيلَ له : أتجعلُ فى بعـير بَعيرَيْن؟ فقال : إنكم لا تعرفون فرحة الوجدان .

وقد رضِى قومٌ بالجهـل فقالوا : ضعفُ العقلِ أمانٌ من الغمّ ؛ وقالوا : ما سُرَّ عاقل قَطّ ؛ قال أبو الطيّب المتنبي

ذو العقلِ يَشقَى فى النعيم بعقلِه * وأخو الجَهَالَةِ فى الشقاوةِ ينعمُ

وقال حكيمٌ : ثمرةُ الدنيا السرورُ، ولا سرورَ لِلعقلاءِ ؛ وقال المغيرةُ بنُ شعبةَ : ما العيشُ إلّا فى إلقاء الحِشمةِ . وقالَ بكر بن المعتَمر : إذا كان العقلُ سبعةَ أجزاء آحتاجَ الى جزء من جَهلٍ ليقدم على الأُمورِ، فإنّ العاقلَ أَبدا مُتوانٍ مترقبٌ متوقّف متخوّف ؛ قال النابغةُ الجعدىّ

ولا خيرَ فى حِلْمٍ إذا لَمْ تكن له * بوادرُ تَحمى صفوَه أن يُكدَّرا

وقال آخر

من راقبَ الناسَ لم يَظفرْ بحاجَتِه * وفَاز بالطيّباتِ الفـاتِكُ اللّهِجُ

أخذه آخر فقال

من راقب الناس ماتَ غَمّاً * وفاز باللـذّة الجَسُـورُ

وقالوا : الجاهلُ ينالُ أَغراضَه، ويَظفَر بآرائِه، ويطيعُ قلبَه، ويَجرى فى عِنان هو ه، وهو برىءٌ من اللومِ، سليمٌ من العيبِ، مغفورُ الزَّلَّات .

(١) عَارَه : صيّره أعور .

وقالوا : الجاهلُ رَخِىُّ الذرعِ ، خالى البالِ ، عازبُ الهمّ ، حسنُ الظن ، لا يَخْطُر خوفُ الموت بفكرِه ، ولا يَجرى ألمُ الإشفاق على ذكره .

وقالوا : الجهلُ مَطِيَّةُ المِزَاحِ والمسرة ، ومسرحُ المِزَاحِ والفُكاهةِ ، وحليفُ الهوى والتصابى ، وصاحبُه فى ذِمَامٍ من عهدة اللوم والعتْب ، وأمانٍ من قوارص الذمّ والسبّ ؛ قال بعضُ الشعراء

ورأيتُ الهمومَ فى صحّـةِ العقلِ فَداويتُها بإمراضِ عَقْلى

وقالوا : لو لم يكنْ من فَضيلةِ الجهلِ ، غيرُ الإقدام ، وورود الحِمام ، إذ هما من الشجاعةِ والبسالة ، وسبب تحصيل المهابة والجلالةِ ، لكفاه . قال أبو هلالٍ العسكرى: سألنى بعضُ الأُدباءِ أىّ الشعراء أشَدُّ حمقا ، قلت الذى يقول

أتيــهُ على إنسِ البــلاد وجِنّها ولَو لم أجد خلقا لَتِهْتُ على نفسى
أتيــه فلا أدرى من التِّيـهِ مَنْ أنا سوى ما يقول الناسُ فىّ وفى جنسى
فإنْ صدقوا أنى من الإنس مثلُهم فما فىّ عيبٌ غيرَ أنّى من الإنسِ

ذكر ما قيــل فى الكذب

قال الله عزّ وجلّ : (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) . وقال : (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) وقال فى الكاذبين : (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والكذبَ فإنّ الكذبَ يهدى إلى الفُجُور ، والفجور يهدى إلى النّار » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الكذبُ مجانبٌ

الإيمانِ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « ثلاثٌ من كُنَّ فيه فهو منافقٌ ، وإنْ صلَّى وصامَ وزعَم أنه مسلمٌ ، منْ إذا حدَّثَ كَذَبَ ، وإذا وعَد أخلَف ، وإذا أؤتُمِنَ خان » . وقال صلى الله عليه وسلم : « لايجوز الكذبُ فى جدّ ولا هَزْلٍ » وقال : « لا يكونُ المؤمنُ كذَّابا » .

وقالت الحكماء : ليس لكاذبٍ مُروءةٌ .

وقالوا : من عُرِفَ بالكذبِ لم يَحسن صِدقُه .

وقال عبدُ الله بنُ عمرَ رضى الله عنهما : خُلْفُ الوعد ثُلُثُ النفاق .

وقال بعض الحكماء : الصدقُ مُنجيك وإنْ خِفتَه ، والكذبُ مُرديك وإن أمِنتَه .

قال عمرُو بنُ العلاءِ القارئ : سادَ عُتبةُ بن ربيعة وكان مملقا ، وساد أبو جهل وكان حَدَثًا ، وساد أبو سفيان وكان بخَّالا ، وساد عامر بن الطُّفَيل وكان عاهرا ، وساد كليب بن وائل وكان ظلوما ، وساد عُيَينة وكان مُحمَّقًا ، ولم يَسُد قطُّ كذاب ، فصلح السؤدُد مع الفقر والحداثة والبخل والعهر والظلم والحمق ، ولم يصلح مع الكَذِب ، لأن الكذبَ يعمّ الأخلاقَ كلَّها بالفساد . [١١١]

وقال يحيى بنُ خالد : رأيت شِرِّيبَ خمر نَزَع ، ولصًّا أقلعَ ، وصاحبَ فواحشَ رجع ، ولم أرَ كذَّابا رجع .

ويقال : الكذبُ مِفتاح كُلّ كبيرة ، والخمرجِمَاعُ كل شَرٍّ .

وقيل : لاتَأمنْ مَنْ يكذبُ لك أنْ يَكذبَ عليك .

وقيل : لكَذبُ والنفاقُ والحسد أثافِيّ الذّل .

وقال ابنُ عباس : حقيقٌ على الله أن لا يرفع للكاذب درجةً، ولا يُثبِّتَ له حجةً .

وقال سليمانُ بن سَعدٍ : لو صحبنى رجلٌ وقال : لا تشترط علىَّ إلا شرطا واحدا لقلت : لا تكذبنى .

وقال أبو حيان التَّوحيدىّ : الكذب شِعارٌ خلَق، ومَوْرِدٌ رَنِق، وأدبٌ سيِّئٌ، وعادةٌ فاحشةٌ ، وقلَّ مَن استرسلَ فيه إلا أَلِفَه ؛ وقلَّ من ألفه إلا أتلفه .

وقال غيرُه : الكَذِب أوضع الرذائلِ خطة، وأجمعها للذمّة والحطّة، وأكبرها ذُلًّا فى الدنيا، وأكثرُها خزيا فى الآخرة، وهو من أعظمِ علاماتِ النفاقِ، وأقوى الدلائلِ على دناءة الأخلاق والأعراقِ، لا يؤتَمن حامله على حال، ولا يُصدَّق إذ قال .

وقيل : لكل شيء آفةٌ، والكذب آفة النطق .

وقال بعضُ الكرماء : لو لم أدَعِ الكَذِبَ تأثُّما، لتركته تكرُّما .

وقال أرسطاطاليس: فُضِّلَ الناطقُ على الأخرس بالنطق، وزين النطق الصدقُ، فإذا كانَ الناطقُ كاذبا، فالأخرس خيرٌ منه .

وقال بعض الحكماء لولده : يابُنَيَّ إياك والكذبَ، فإنه يُزرِى بقائله، وإن كان شريفا فى أصله، ويُذلُّه وإن كان عزيزا فى أهله .

وقال الأحنفُ بن قيس : اثنانِ لا يجتمعان : الكذبُ والمروءة .

وقال بزُرُجُمهر : الكاذبُ والميتُ سواء، لأن فضيلة الحى النطقُ، فإذا لم يُوثق بكلامه بطُلَت حياته .

وقال معاويةُ يوما للأحنف : أتكذِبُ؟ فقال : والله ما كذبتُ مذ علمتُ أن الكذبَ شَيْنٌ .

وقيل : لا يجوز للرجل أن يكذِب لصلاح نفسه، فما عجز الصدقُ عن إصلاحه كان الكذب أولى بفساده . قال بعض الشعراء

ما أحسن الصدقَ والمغبوطُ قائلُه * وأقبحَ الكِذْبَ عند الله والناسِ

وقالوا : آحذر مصاحبةَ الكذّاب، فان آضطُرِرتَ إليهـا فلا تصدّقه ولا تعلمه أنك كذبتَه: فينتقل عن مودّته، ولا ينتقل عن كذِبه .

وقال هُرمس : آجتنب مصاحبة الكذاب، فإنك لستَ منه على شيء يُتحصَّل، وإنما أنت معه على مثل السَّراب يلمعُ ولا ينفع .

وقيل : الكذّاب شرٌّ من النَّمّـام، فإن الكذّاب يختلق عليـك، والنَّمّامَ ينقل عنك . قال شاعر

إن النَّمُـــومَ أغطّي دونه خبَرِى -- وليس لى حيلةٌ فى مفترِى الكَذِبِ

وقال آخر

لى حيـــلةٌ فيمن ينُمْ وليس فى الكذّاب حِيـلَهْ
من كان يخلُق ما يقو لُ فحيلتى فيـــه قليـــلَهْ

ووصف أعرابيٌّ كذابا فقال : كَذِبهُ مثل عُطاسه، لا يُمكنه ردّه .

وقال بعض الأعراب : عجِبت من الكذّاب المُشيدِ بكَذِبه، وإنما هو يدلّ الناس على عيبــه، ويتعرّض للعِقاب من ربّه، فالآثام له عادة ، والأخبـار عنه متضادّة، إن قال حقـا لم يُصَدَّق، وإن أراد خيرا لم يُوفَّق، فهو الجانى على نفسه بفعاله، والدالّ على فضيحته بمقاله . فما صحّ من صدقه نُسِب إلى غيره، وما صحّ من كذب غيره نُسِب إليه .

ويقال : الكذب جِمَاع النفاق ، وعِمَــاد مساوئ الأخلاق ، عارٌ لازم ، وذلّ دائم ، يخيف صاحبَه نفسَــه وهو آمن ، ويكشف سِتْر الحَسَب عن لُؤْمه الكامن .

وقال بعض الشعراء

لا يكذب المرءُ إلا من مَهَانتِه * أو عادةِ السوء أو من قِلَّة الوَرَعِ

وقال الأصمعيّ : قيــل لرجل معروف بالكذب ، هل صدقتَ ؟ قال : أخاف أن أقول : " لا " فأصدق . وآفة الكذب النسيان . قال شاعر

ومن آفةِ الكذّابِ نسيانُ كِذْبِهِ * وتلقاه ذَا دَهْيٍ إذا كان كاذبا

وقال عليّ بن الجَهْم شاعر اليتيمة

تكذِب الكِذْبة يوما * ثم تنساها قــريبا

١ كن ذَكُورًا يا أبا يحــيى إذا كنت كَذُوبا

وقال أبو تمّــام

يا أكثر الناس وعدا حَشْوُه خلف * وأكثر الناس قولًا حَشْوه كَذِبُ

وقال أحمدُ بنُ محمّد بن عبد ربّه

صحيفةٌ أُثْبِتت "لَيْتٌ" بها و"عَسَى" عُنوانُها راحــة تُرجى بذي يَبَسَ

١ وَعْدٌ له هاجِسٌ في القلب قد بَرِمَتْ أحشاءُ صدري به من طُولِ ما هَجَسَ

براعةٌ غَرَّني منها وَمِيضُ سَــنًا حتى مددت إليها كفَّ مقتبِسَ

فصادفَتْ حَجَرًا لو كنتَ تضرِبُه من لُؤْمه بعصا موسى لما انبَجَسَ

وقال آخر

وتقــول لي قولا أظنُّك صادقا فأجيءُ من طمعٍ إليك وأذهبُ

٢ فإذا اجتمعتُ أنا وأنتَ بمجلسٍ قالوا مُسَــيْلِمةٌ وهــذا أشْعَبُ

ذكر ما قيل فى الغدر والخيانة

قال الله عزّ وجلّ : (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ)

(١١٣) وقال تعالى : (وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) .

ورُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أمَّنَ رجلا ثم قتله وجبت له النار وإن كان المقتول كافرا » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا جمع الله الأوّلين والآخرين رُفِع لكل غَادِرٍ لِواءٌ وقيل : هذه غَدْرة فلان» .

وقالوا : من نقض عهده ، ومنع رِفْده ، فلا خيرَ عنده .

وقالوا : الغالب بالغدر مغلول ، والناكث للعهد ممقوت مخذول .

وقالوا : من علامات النفاق ، نقضُ العهد والميثاق .

وقالوا : لا عذر فى الغدر . والعــذر يصلح فى كل المواطن ، ولا عذر لغــادر ولا خائن .

وفى بعض الكتب المنزّلة : إن مما تُعَجَّل عقوبته من الذنوب ولا يؤخر : الإحسان يُكْفَر ، والذمة تُخْفَر . قال شاعر

أُخْبِرْتُ بمن رَضِىَ الخيانةَ شيمةً . أن لا يُرَى إلا صريعَ حوادث

ما زالتِ الأرزاءُ تُلْحِقُ بُؤْسَها أبدا بغادرِ ذمَّةٍ أو ناكث

وقالوا : الغَدْرُ ضامن العَثرة ، قاطع ليد النُّصرة .

وقال : من تعدّى على جاره ، دلّ على لُؤْمِ نِجاره .

وذكر أن عيسى صلوات الله عليه مرّ برجل وهو يُطارِد حيّة وهي تقول له : والله لئن لم تذهب عنّي، لأنفخَنّ عليك نفخة أُقَطّعك بها قطعا . فمضى عيسى عليه السلام في شأنه، ثم عاد فرأى الحيّة في جُونة الرجل محبوسة. فقال لها : ويحك ! أين ما كنت تقولين ؟ قالت : يا روحَ الله، إنه حلف لي وغَدَر، وإنّ سُمّ غدره أقتل له من سُمّي .

ذكر أخبار أهل الغَدْر وغَدَراتهم المشهورة

أعرف الناس في الغدر آل الأشعث بن قيس بن معد يكرب. وقد عدّت لهم غَدَرات ، فمنها : غدر قيس بن معد يكرب بمُراد، وكان بينهم عهد أن لا يغزوهم إلى انقضاء شهر رجب، فوافاهم قبل الأمَد بِكُنْدة، وجعل يحمل عليهم ويقول :

أقسمت لا أنزل حتّى يُهزَموا ... أو ابن معد يكرب فستسلموا ١

... فارسُ هَيْجا ورئيسٌ مِصْدَمُ

فقُتِل قيس بن معد يكرب وارتد الأشعث عن الإسلام . وغدر الأشعث ببني الحارث بن كعب ، وكان قد غزاهم فأسروه، ففدى نفسه بمائتي بعير ، فأعطاهم مائة وبقي عليه مائة، فلم يؤدّها، وجاء الإسلام فهدم ما كان في الجاهليّة .

وغدر محمد بن الأشعث بن قيس بمسلم بن عقيل بن أبي طالب . وغدر [illegible] بأهل طَبَرستان وكان عُبَيد الله بن زياد ولّاه [illegible] فصالحهم على [illegible] عنهم، ثم عاد إليهم غادرا، فأخذوا عليه الشعب، وقتلوا ابنه [illegible] . ١

وغدر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث [illegible] عليه وادّعى الخلافة . وكان بينهم من [illegible]

إن شاء الله تعــالى . وكانت الدائرة على عبد الرحمن ، وكلّهم ورِثُوا الغــدر عن معديكرب ، فإنه غدر مَهْرَة ، وكان بينه وبينهم عهد إلى أجل ، فغزاهم ناقضا لعهدهم ، فقتلوه وبَقَرُوا بطنه وملأوه بالحصا .

وغدرت ٱبنــة الضَّيْزَن بن معاوية بأبيهــا صاحب الحصن ودلّت سابور على طريق فتحه ، ففتحه وقتل أباها وتزوّجها ، ثم قتلها . وقد ذكرنا ذلك فى الجزء الأوّل من هذا الكتاب فى المبانى . ومن ذلك ما فعــله النعمان بِسِنِمَّار ، وقد ذكرناه أيضا فى خبر بناء الخَوَرْنَق .

وممن ٱشتُهر بالغــدر عمرو بن جُرموز : غدر بالزّبير بن العوّام ، وقتــله بوادى السباع ، ونذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى حرب الجمل .

ومن الغدر الشنيع ما فعله عَضَــل والقَارَة ، رُوِى أنه قدم على رســول الله صلى الله عليه وســلم بعــد أُحُد رهطٌ من عَضَل والقارة ، فقالوا : يارسول الله إن فينا إسلاما وخيرا فٱبعث معنا نفرًا من أصحابك يفقّهوننا فى الدِّين ، ويُقرئوننا القرءان ، ويعلّمونا شرائع الإسلام ، فبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من أصحابه ، وهم مَرْثَد بن أبى مرثد الغَنَوِىّ ، وخالد بن البُكَيْر حليف بنى عدىّ ٱبن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلَح أخو بنى عمرو بن عوف ، وخُبَيب بن عدىّ أخو بنى جَحْجَبَى بن كُلْفة بن عمرو بن عَوْف ، وزيد بن الدَّثِنَــة أخو بنى بَيَاضَــة بن عمرو ، وعبد الله بن طارق ، ومُعَتِّب بن عُبَيد أخو عبد الله لأمّه ، وأَمَّر عليهم مَرْثَد ٱبن أبى مرثد ، وقيل أمَّر عليهم عاصما ، فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع : ماء لهذيل — غدروا بهم وٱستصرخوا عليهم هذيلا ، فلم يرع القوم وهم فى رحالهم إلّا

الرجال فى أيديهم السيوف، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم، فقالوا : إنا والله ما نُريد قتلكم، ولكنا نريد أن نُصيبَ بكم شيئا من أهـل مكةَ، فأما مرثد وخالد وعاصم ومُعتِّب فقالوا : والله ما نقبل من مشرك عهدا ولا عَقْدا، فقاتلوا حتى قُتلوا؛ وأما (١١٤) زيد وخُبَيْب وعبد الله فلانوا ورغبوا فى الحياة، وأعطوا بأيديهم، فأسروهم وخرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بمَرّ الظَّهْران، انتزع عبد الله بن طارق يده من القِرَان، ثم أخذ سيفه واستأخر عن القوم، فرَمَوْه بالحجارة حتى قتلوه، وقدِموا بخبيب وزيد الى مكة فباعوهُما فابتاع خبيبا حُجَير بنُ أبى إهاب تميمىّ حليف بنى نوفل لعُقْبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ليَقْتله بالحرث. وأما زيد بن الدَّثِنَة فابتاعه صَفْوانُ بنُ أميّة ليقتله بأمية بن خَلَف. وروى أن خُبيبا لما حصل عند بنات الحارث استعارَ من إحداهن موسى يستحدّ بها فما راع المرأةَ إلا صبىٌّ لها يَدْرج، وخُبيب قد أجلس الصبىَّ على فخذه، والموسى فى يده، فصاحت المرأة، فقال خُبيب: أتحسبين أنى أقتله؟ إن الغدر ليس من شأننا، فقالت المرأة : ما رأيت قط أسيرا قطّ خيرا من خُبيب، لقد رأيته وما بمكة من ثمرة، وإن فى يده قِطْفا من عنب يأكله، إن كان إلا رزقا رزقه الله خبيبا، ولما خرج بخبيب من الحرم ليقتلوه، قال : ذَرونى أصلِّ ركعتين، ثم قال: لولا أن يقال : جزع لزدت، وما أبالى على أى شِقٍّ كان مصرعى. وهذه القصّة نذكرها إن شاء الله تعالى بما هو أبسط من هذا فى السّيرة النبويّة فى سرية مَرْثَد فى الرجيع.

قيل: أغار خَيْثَمَة بن مالك الجُعفِىّ على حىّ من بنى [illegible] فاستاق منهم [illegible] ليستنقذوها منه، فلم يطمعوا فيه، ثم ذكر أنه كانت بعضهم [illegible] حتى كان فى يده، وولّى منصرفا، فدعوه وقالوا : [illegible] وقد [illegible]

جميلا، فانزل ولك الذِّمام والحِبَاء فنزل فلما اطمأنّ وسكَن، واستمكنوا منه غدَروا به فقتلوه، ففى ذلك تقول عَمْرة ابنتُه

غدَرتم بمَنْ لو كان ساعةَ غدركم ... بكفّيه مفتوقُ الغرارين قاضبُ
أذادَكُمُ عنـــه بضربٍ كأنّه ... سهام المنايا كلّهن صوائبُ

وتَلاحَى بنو مَقْرون بن عمرو بن محارب، وبنو جَهْم بن مُرّة بن محارب، على ماءٍ لهم فغلبتهم بنو مقرون فظَهرت عليهم، وكان فى بنى جَهْم شيخٌ له تجرِبة وسِنّ، فلمـا رأى ظهورهم، قال: يابنى مقرون، نحن بنو أب واحد، فلِمَ نتَفانى؟ هلمّوا إلى الصلح، ولكم عهْدُ الله تعالى وميثاقُه وذمّة آبائنا، أن لا نهيجكم أبدا ولا نزاحمكم فى هذا المـاء، فأجابتهم بنو مقرون إلى ذلك، فلما اطمأنوا ووضعوا السـلاح عدَا عليهم بنو جهم فنالوا منهم منالا عظيما، وقتلوا جماعة من أشرافهم، ففى ذلك يقول أبو ظَفَر الحارثىّ

هـلّا غدَرتم بمقرونٍ وأسرته ... والبِيضُ مُصْلَتةٌ والحرب تَستعرُ
لمـا اطمأنوا وشاموا فى سيوفهمُ ... ثُرْتم إليهم وعُرُّ الغـدر مشتهرُ
غدرتموهُم بأيمـانٍ مؤكدةٍ ... والوِرْدُ من بعده للغادر الصَّدَرُ

هذا ما قيل فى الغدر.

وأما الخيانة، فقد نهى الله تعالى عنها فقال: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا إيمان لمن لا أمانةَ له ولا دينَ لمن لا عهدَ له».

وقيل: من ضيّع الأمانة، ورضى بالخيانة، فقد برِئ من الدّيانة.

وقال حكيم : لو علم مُضيِّع الأمانَه، ما في النَّكث والخيانَه، لقصَّر عنهما عِنانَه.

وقالوا : من خان مان، ومن مان هان، وتبرّأ من الإحسان.

قيل دخل شَهْر بنُ حَوْشَب وهو من جِلّة القرّاء وأصحاب الحديث على معاوية، وبين يديه خرائطُ فيها مال، قد جمعت لتوضع في بيت المال. فقعَد على خريطة منها، وأخذها، ومعاوية ينظرُ إليه. فلما رُفعت الخرائط، فُقِدَ من عددها خريطة، فأعلم الخازنُ بذلك معاويةَ، فقال: هي محسوبة لك فلا تسأل عن آخذها، ففيه يقول بعض الشعراء

لقد باع شَهْرٌ دينَه بخَرِيطةٍ فمَن يأمَن القرّاءَ بعدك يا شهرُ؟

وقال المنصور لعامل بلغه عنه خيانته : يا عدوّ الله، وعدوّ أمير المؤمنين، وعدوّ المسلمين، أكلتَ مالَ الله، وخُنتَ خليفةَ الله، فقال : يا أمير المؤمنين، نحن عيالُ الله، وأنت خليفةُ الله، والمال مال الله، فمن أين نأكل إذ، فضحك وأطلقه، وأمر أن لا يولّى عملا بعده.

وسرق رجل في مجلس أبي مَرْوان جامٌ من ذهب وهو يراه، فتفقّده الشُّربيّ، فقال : والله لا يخرج أحد حتى يفتَّش، فقال له أبو مَرْوان : لا تتعرّض لأحد، فقد أخذه من لا يردّه، ورآه من لا ينمّ عليه.

وحكي أن بعض التجار أودع عند قاضٍ بتعزّه مالًا وديعةً، وغاب مدّة طويلة، ثم رجع فطلبها، فأنكرها القاضي، فتشفع إليه برؤساء البلد في ردّها، فما زالوا به حتى أقرّ بها، وادّعى أنها سُرقت من حرزه، فاستحلفه المودع فحلف. فقال ابن الموبذة في ذلك

إذا جئت قاضي ... ... وديعة من حسين المودع

إن قال قد ضاعت فيصدق أنهـا * ضاعت ولكن منك يعنى لو تَعِى!
أو قال قد وقعت فَيَصْـــدُق أنها * وقعت ولكن منـه أحسنَ مَوْقع

وقال ٱبن الحجاج

وأدعوهم إلى القـاضى عساهُمْ . إذا وقَعِ اليمينُ يُحلِّفُــونِى
وأضيع ما يكون الحقّ عندى * إذا عَزَم الغريمُ على اليميـن

ذكر ما قيل فى الكِبْر والعُجْب

قال الله عزّ وجلّ : (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ) . وقال تعالى : (فَٱدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ) .وقال : (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ) . وقال:(كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ). وقال : (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ) .

وناهيك بهذا زجراً .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخُل الجنةَ، من فى قلبه حَبّةٌ من خَرْدَلٍ من كِبْر» . وقال صلى الله عليه وسلم : «من تَعظَّم فى نفسه، وٱختال فى مِشْيته لقِىَ اللهَ عزّ وجلّ وهو عليه غضبان» . وقال صلى الله عليه وسلم : «من جَرَّ ثَوبَه خُيَلاء لم ينْظُرِ اللهُ إليه» .

وروى : أن عبد الله بنَ سَـلّام، مرّ بالسوق يحمـل حُزْمة حطب، فقيل له : أليس قد أغناك الله عن هـذا؟ قال : بلى! ولكنى أردت أنْ أقمع به الكِبْر، سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسـلم يقول : «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبّة من كِبر» .

وقال عمر بنُ الخطاب رضى اللهُ عنه : ما وجد أحدٌ فى نفسه كِبْرًا إلا من مَهانة يجِدُها فى نفسه .

وقالوا : مَنْ قَلّ لُبُّه، كثر عُجْبُه .

وقالوا : عُجب المرء بنفسه ، أحد حسّاد عقله .

وقال أرْدَشِير بن بابَك : ما الكِبْر إلا فضل حُمْقٍ لم يدر صاحبُه أين يَضَعُه فصرفه إلى الكِبْر .

ومن كلام لابن المعتزّ : لما عرَف أهلُ التقصير حالَهم عند أهل الكمال آستعانوا بالكِبر ليُعظِّم صغيرا، ويَرفعَ حقيرا، وليس بفاعل .

وقال أكثمُ بنُ صَيْفيّ : من أصاب حظا من دنياه فأصاره ذلك إلى كِبْرٍ وتَرَفُّعٍ، فقد علم أنه نال فوق ما يستحقّ، ومن أقام على حاله فقد علم أنه نال ما يستحقّ، ومن تواضع وغادر الكِبْر، فقد علم أنه نال دون ما يستحقّ .

وقال على رضى الله عنه : عجِبت للمتكبر الذى كان بالأمس نطفة، وهو غدًا جِيفة .

وقيل : مرّ بعضُ أولاد المُهَلَّب بمالك بن دينار وهو يَتَبَخْتر، فقال له : يا بُنَىّ، لو خَفَّضت بعض هذه الخيلاء! ألم يكن أحسنَ بك من هذه الشهرة التى قد شهَرْتَ بها نفسَك؟ فقال له الفتى : أو ما تعرِف من أنا؟ قال : بلى! والله أعرِفك معرفة جيّدة، أوّلك نطفةٌ مَذِرة، وآخرك جيفةٌ قَذِرة، وأنت بين ذلك حامل عَذِرة . فأرخى الفتى أذنيه وكفّ عما كان يفعله، وطأطأ رأسه، ومضى مسترسلا .

وقال الواقدىّ : دخل المفضل بن يحيى ذات يوم على أبيه وهو يَتَبَخْتر فى مِشيته، فقال يحيى : يا بنىّ، إن البخل والجهل مع التواضع أزين بالرجل من الكِبر مع السخاء والعلم، فيا لها من حسنة غطّت على عيبين عظيمين، ويا لها

من سيئة غطّت على حسنتين كبيرتين، ثم أومأ اليه بالجلوس وقال: آحفظه ياعبد الله، فإنه أدب كبير أخذناه عن العلماء .

ومن الكِبْر المستهجَن ما رُوى : أن وائل بنَ حُجْر أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأقطعه أرضا، وقال لمعاوية : آعرض هذه الأرض عليه وآكتبها له ، فخرج مع وائل فى هاجرة شاوية، ومشى خلف ناقتــه، وقال له : أَردفْنِي على عَجُز راحلتك، فقال : لست من أرداف الملوك ، قال : فأعطنى نعْلَيْك، فقال : ما بخـلٌ يمنعنى يآبن أبى سُــفيان، ولكن أكرهُ أن يبلُغ أقْيالَ اليمن أنك لبست نَعْلى، ولكن آمش فى ظل ناقتى، فحسبُك بها شرفا . وقيل : إنــ وائلا أدرك زمن معاوية ودخل عليه فأقعده معه على السرير وحدّثه .

والعرب تجعل جَذيمة الأبرش الغاية فى الكِبْر، ورُوى : أنه كان لا ينادم أحدا ترفُّعا وكبرا، ويقول : إنمــا ينادمنى الفَرْقَدان . ومنه قول متمِّم :

وكنا كنَدْمانَىْ جَذيمة حِقْبَةً .

قيل : إنمــا أراد الفَرْقدين ، لا كما ذكره الرواة أنهما مالك وعَقِيل .

وقيل : كان أبو نَوابة أقبحَ النّاس كِبْرا . روى : أنّه قال لغلامه آســقنى ماء، فقال : نعم. قال : إنمــا يقول : "نعم" من يقدر على أن يقول : "لا" وأمر بضربه. ودعا أكَّارٌ فكلمه . فلما فرَغ دعا بمــاء، وتمضمض آستقذارا لمخاطبته .

قال عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَةَ بن مسعود

ولا عجبا أن نُؤْتَيَا فتكلّما   فما حُشِىَ الأقوامُ شراً من الكبر

قال الجاحظ : المذكورون بالكبر من قريش، بنو مخزوم ، وبنو أميّــة ، ومن العرب، بنو جَعْفَر بن كلاب ، وبنو زُرارة بن عُدَس ، وأما الأكاسرة فكانوا لا يعدّون الناس إلا عبيدا، وأنفسَهم إلا أربابا، والكِبرُ فى الأجناس الذليلة أرسخُ. ولكن القــلّة والذلّة مانعتان من ظهور كبرهم، ومن قَدَرَ من الوضــعاء أدنى قُدرة، ظهر من كبره ما لا خَفاء به ، ولم أر ذا كبر قطّ علا مَنْ دونه، إلا وهو يَذلّ لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه .

قال : أما بنو مخزوم ، وبنو أمية، وبنو جعفر بن كلاب، وآختصاصهم بالتِّيه، فإنهم أبطَرَهم ما وجدوا لأنفسهم من الفضيلة. ولو كان فى قُوَى عقولهم فضلٌ عن قُوَى دواعى الحَمِيَّــة فيهم، لكانوا كبنى هاشم فى تواضعهم وإنصافهم مَنْ دونهم . (١١٦)

وقال أبو الوليد الأعرابىّ

ولستُ بتيَّاهٍ إذا كنتُ مُثرِيا ... ولكنه خُلُقِى إذا كنت مُعْدِما

وأن الذى يُعطَى من المــال ثروةً ... إذا كان نذلَ الوالديــن تعظّمَ

ومن المتكبرين، عُمَارةُ بن حمزة. حُكِى عنه : أنه دخل على المهدىّ . فلما آستقر به الجلوس ، قام رجل كان المهــدىّ قد أعدّه له ليتهكّم به ، فقــال : مظلوم ياأمير المؤمنين. قال : مَنْ ظلمك؟ قال : عُمَارة غصبنى ضَيْعتى. وذكر ضَيْعة من أحسن ضياع عُمَارة وأكثرها خَرَاجا. فقال المهدىّ لعُمارة: قم فآجلس مع خَصْمِك. فقال : ياأميرَ المؤمنين. ما هو لى بخَصْم، إن كانت الضيعة له. فلستُ أنازعه فيها، وإن كانت لى فقــد وهبتُها له . ولا أقومُ من مجلس شرّفنى به أميرُ المؤمنين . فلما آنصرف المجلس. سأل عُمارة عن صــفة الرجل. وما كان قصدُه. وأين كان موضع

جلوسه ، وكان من تيهه أنه إذا أخطأ يمرّ على خطئه تكبرا عن الرجوع ويقول : نقض وإبرام فى ساعة واحدة، الخطأ أهون منه .

ومنهم من أهلكه الكبر وأذلّه . كان خالد بن عبد الله بن يَزيدَ بن أسد القَسْرىّ أميرا على العراق ، وبلغ من هشام بن عبد الملك محلا رفيعا ، فأفسد أمرَه العُجبُ والكِبرُ، وأدناه إلى الهَلَكة ، وعُذّب حتّى مات ، وذلك أنه كان إذا ذُكِر هشام عنده، قال : آبن الحمقاء ! فسمِعها رجل من أهل الشام ، فقال لهشام : إنّ هذا البَطِرَ الأشِر الكافرَ لنعمتك ونعمة أبيك وإخوتك ، يذكرك بأسوأ الذّكر، قال : لعله يقول : الأحولُ، قال : لا، ولكنّه يقول : مالا تلتقى به الشّفتان، قال : لعله يقول : آبن الحمقاء ، فَمسك الشامىّ، فقال هشام قد بلغنى كلّ ذلك عنه ؛ وكان خالد يقول : والله ما إمارةُ العراق ممـا تشرّفنى، فبلغ ذلك هشاما ، فكتب إليه : بلغنى أنك يآبن النصرانية تقول : إن إمارة العراق لاتُشرّفك وأنت دَعِىّ بجيلة القليلة الذليلة . والله إنى لأظن أن أول من يأتيك صيفىّ بن قيس فيشدّ يدَك إلى عُنقك، قال خالد بن صفوان بن الأهتم : لم تزل أفعال خالد حتى عزله هشام وعذّبه، وقتل آبنه يزيدَ بن خالد، فرأيت فى رجله شَريطا قد شدّه به الصّبيان يجرّونه ، فدخلت إلى هشام يوما ، فحدّثته فأطلت ، فتنفّس ، وقال : ياخالد! كان أحبّ إلىّ قُرْبا وألذّ عندى حديثا منك ، يعنى خالدَ القَسْرىّ . قال : فانتهزتُها ورجوت أن أشفع فتكون لى عند خالد يد ، فقلت : يا أمير المؤمنين، ما يمنعك من آستئناف الصّنيعة ، فقد أدّبته بما فرط منه ، فقال : هيهاتَ! إن خالدا أوجَفَ فأعجَفَ، وأدلّ فأملّ ، وأفرط فى الإسعة ، فأفرطنا فى المكافأة ، فحَلِمَ الأديمُ ، ونغِل الجُرْح، وبلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى، وجزم الطُّبْيَيْن ، ولم يبق فيه مستصلَح ، ولا للصّنيعة عنده موضع، عُدْ إلى حديثك .

ومنهم : من أفرط به الكبر إلى الكفر، حُكِي : أن سعيد بن ... آمرأة فقالت له : ياعبد الله، كيف الطريقُ إلى مكان كذا؟ فقال مِنْ عَبِيد الله .

ومنهم : عُبَيْد الله بن زياد بن ظَبْيان، قال له رجل من قومه وقد رأى منه ما أعجبه : كثّر اللهُ فينا مثلَك، فقال : لقد كلّفتم اللهَ شططا .

ومن أشعار المتكبّرين التّاهين قول بعضهم

أتيه على جِنّ البلاد وإِنْسِها

الأبيات، وقد تقدّمت فى الحُمقِ .

وقال آخر

ألقِني فى لَظًى فإن أحرقَتْني . فتيقّن أن لستُ باليـاقوت
صنَع النسجَ كلُّ مَنْ حاك لكنْ . ليس داودُ فيـه كالعنكبوت

قال آبن حُبَارة الحرّانىّ المنجنيقىّ يردّ عليه

أيّها المدّعى الفخارَ دعِ الفَخْـــرَ لذى الكِبْرياء والجبرُوتِ
نسجُ داود لم يُفِـد ليـلة الغا ر وكان الفخار للعنكبوتِ
وبقاءُ السَّمَنْدِ(١) فى لَهَبِ النـا ر مُزِيلٌ فضـيلةَ اليقوتِ
وكذاك النعام يلتقم الجمـــرَ وما الجمــرُ للنعام بقــوتِ!

* * *

ومما هُجِي به أهل التكبّر ، قول جُعيفران يهجو سعيد بن مسلم بن قُتَيبة

أمّ سـعيدٍ لِمْ ولدتيـهِ ملوَّثًا بالكِبْرِ والتّيـــهِ؟
ليتكِ إذ جئتِ به هكذا حين خرَيتِـــه أكلتيهِ

(١) السَّمَنْد : طير يسقط فى النار ولا يحترق ...

ذكر ما قيل فى الحرص والطمع

قال الله عزّ وجل لنبيّه صلى الله عليه وسلم : (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أربعٌ من الشقاء الخ ... عُدّ منها الحرص والأمل» وقال : «ماذئبان جائعان أُرسلا فى غنم فأفسداها أشدّ من حرص المرء على المـال»[(١)] . وقال : «يَشيب آبنُ آدم وتشبّ منـه آثنتان : «الحرص على المـال، والحرص على العمر» وقال : «إيّاكم والطمعَ فإنه الفقر الحاضر» .

ومن كلام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : الطمعُ مُورِد غير مُصْدِر، وضامن غير وفىّ، وكلما عَظُم قدر الشيء المتنافَس فيه، عظمت الرّزية لفقده، والأمانىّ تُعمِى البصائرَ . أزرى بنفسه من آستشعر الطمع، وآستولت عليه الأمانىّ .

وقال بعضهم : الحرص ينقص من قدر الإنسان، ولا يزيد فى رزقه .

وقال قُتَيبة : إن الحريص آستعجل الذّلّة، قبل إدراك البغية .

وقيل : لا راحةَ لحَريص، ولا غِنًى لِذى طَمَع .

وقيل : إن كَعْبًا لَقِيَ عبد الله بن سلام، فقال : يابن سـلام، مَنْ أرباب العلم ؟ قال : الذين يعملون به، قال : فما أذهب العلم من قلوب العلمـاء بعد إذْ علموه ووعوه؟ قال : الطمَعُ، وشَرَهُ النفس، وطلب الحوائج الى الناس . قال الأَصْمعِىّ : سمعتُ أعرابيًّا يقول : عجبتُ للحريص المستكثِر، المستقِلّ لكثير ما فى يده، المستكثِر

(١) هكذا فى الأصل : والذى فى الجامع الصغير : (ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه) .

لقليل ما فى يد غيره، حتّى طلب الفضل، بذهاب الأصل، فركب مفاوز البرارى، ولُجَجَ البحار، معرّضا نفسه للمات، وماله للآفات، ناظرا إلى من سلم، غيرَ معتبر بمن علم .

قال يزيد بن الحكم الثقفىّ

رأيتُ السّخىَّ النفس، يأتيه رزقُه . هنيئا، ولا يُعطَى على الحرص جامعُ
وكلّ حريص لن يُجاوِزَ رزقه . وكم من مُوفّى رزقه وهو وادعُ

وقالوا : مصارعُ الألباب تحت ظلال الطمع . ويقال

الحرّ عبد ما طَمِع والعبد حرٌّ ما قَنِع

وقالوا : أخرِج الطمعَ من قلبك، تَحُلّ القيد من رجلك . وقال عمرو بن مالك الحارثىّ

الحرصُ للنفس فقرٌ والقُنوعُ غِنًى والقوتُ إن قنعتْ بالقوت يُجزيها
والنفسُ لو أن ما فى الأرض حِيزَلها ما كان إن هى لم تقنعْ بكافيها

وقال ابن هَرْمة

وفى اليأس عن بعض المطامع راحةٌ ويارُبَّ خيرٍ أدركتْه المطامعُ

وقال هَرْمة بن خشرم

وبعضُ رَجاء المرء ما ليس نائلًا عَناءٌ وبعضُ اليأس أغنى وأروحُ

وقال مُكَنِف بن معاوية التيمىّ

ترى المرءَ يأمُلُ ما لا يرى ومن دون ذلك ريبُ الأجلْ
وكم آيسٍ قد أتاه الرَّجاءُ وذى طَمَعٍ قد نواه الأمَلْ

وقال آخر

طَمِعتَ فى وعدتْ لمى وبئس فى وعدتْ مطمعُ

وثِقتَ بالباطل من قولها ، وليس حقًّا كلُّ ما تسمعُ
وإنما مَوْعِدُها بارِقٌ . فى كل حين خُلَّبٌ يلمعُ

ويضرب المثل فى الطمع "بأشعب" . قيل له : ما بلغ من طمعك ؟ فقال للقائل له : لم تقل هذا إلا وفى نفسك خيرٌ تصنعه بى؛ وقيل : إنه لم يمت شريف قط من أهل المدينة إلا آستعدَى أشعبُ على وصِيِّه أو وارثه وقال له : آحلف أنه لم يُوصِ لى بشىء قبل موته ؛ ووقف على رجل يعمل طبقا من الخَيْزُران ، فقال له : وسِّعه قليلا، قال الخيزرانىّ : كأنك تريد أن تشتريَه؟ قال : لا ، ولكن ربما يشتريه بعض الأشراف فيَهْدى إلىّ فيه شيئا؛ وسأله سالم بن عبد الله بن عُمَر رضى الله عنه عن طمعه، قال : قلت لصبيان مرةً : آذهبوا، هذا سالم قد فَتَح بيت صدَقَة عمر حتى يطعمكم تمرا، فلما أحضروا ظننت أنه كما قلت لهم ، فعدوتُ فى إثرهم ؛ وقيل له : ما بلغ من طمعك؟ قال : أرى دخان جارى فأثْرُدُ[1] عليه ؛ وقيل له أيضا : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما رأيت عَرُوسا بالمدينة تُزَفّ إلا كنست بيتى ورششته طمعا أن تُزَفّ إلىّ ؛ وقيل له : هل رأيتَ أطمع منك؟ قال : نعم، كلب أم حَوْمَل، تبعنى فرسخين، وأنا أمضغ كُنْدُرًا[2]، ولقد حسدته على ذلك.

ذكر ما قيل فى الوَعْدِ والمَطْل

رُوِى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «العِدَة دَيْن» .

وفى بعض [illegible] : من حق الكذب أقلّ من المواعيد .

وقيل : أمران لا يسلمان من الكذب : كثرة المواعيد، وشدة الاعتذار .

(١) [illegible]

(٢) الكُنْدُر : [illegible]

وقالوا : خُلْف الوعد، خُلُقُ الوَغْد .

وقال المهلّب لبنيه : يا بنيّ، إذا غدا عليكم الرجل أو راح مُسَلِّماً ، فكفى بذلك تقاضيــا .

قال الشاعر

اروح لتسليمٍ عليك وأغتدى . فحسبُك بالتسـليم منى تقاضيا
كفى بِطِلاب المرءِ ما لا يناله . عَنَاءً وباليأس المصرّح ناهيا

وقيل : الوعد إذا لم يشفَعْه إنجاز يُحَقِّقُه، كان كلفظٍ لا معنى له، وجسمٍ لا رُوح فيه . وقالوا : الخلف ألأمُ من البخل، لأنه من لم يفعل المعروف، لزمه ذمّ اللؤم[1]، وذمُّ الخلف، وذمّ العجز . قال بعض الشعراء (١١٢)

وعدتَ فأكذبت المواعيدَ جاهدا وأقنعتَ إقلاعَ الجَهَامِ بلا وَبْلِ
وأجرَرْتَ لى حَبْــلا طويلا تبعتُه ولم أدرِ أن اليأس فى طَرَف الحبل

وقال أبو تمّــام

وما نفعُ من قد مات بالأمس صادياً إذا ما سماءُ اليوم طال انهمارُها
وما العُـرْفُ بالتّسـويف الا كخَلَّة تسلَّيتَ عنها حين شَطَّ مَزَارُها

والعرب تضرب المثل بمواعيد عُرقوب . وكان رجلا من العماليق وله فى ذلك حكايات، فمنها : أنه أتاه أخ له، يسأله شيئا، فقال له عرقوب : إذا أطلعتْ هذه النخلة فلك طَلْعها، فلما أطلعت، أتاه الرجل للعِدَة، فقال : دعها حتى تصير بلحا . فلما أبلحت، أتاه، فقال : دعها حتى تصير زَهْوًا . فلما أزهت، قال : دعها حتى

(١) فى العقد الفريد : ذم اللؤم وحده، ومن وعد وأخلف [illegible] ذم اللؤم وذم [illegible] وذم الكذب .

تصير رُطَبا ، فلما أرطبت ، قال : دعها حتى تصير تمرا ، فلما أتمرت ، عمد إليها عرقوب ، فجذّها ولم يعط أخاه منها شيئا .

وفيه يقول الأشجعيّ

وعدْتَ وكان الخلف منك سجيّةً * مواعيدَ عُرْقوب أخاه بيــثرِبِ (١)

وقال كعب بن زُهَير بن أبى سُلْمى

كانت مواعيدُ عُرْقوب لها مثلًا * وما مواعيــدُها إلا الأباطيــلُ

وقال السّكّيت للمهدىّ : يا أمير المؤمنين ، لو كان الوعد يُستنزَل بالإهمال والسكون ، لشكرتك القلوب بالضمير ، ولنظرت إلى فضلك العيون بالأوهام ، فقال المهدىّ : هذا جزاء التفريط فيما يكسب الأجر ، ويدخر الشكر ، وأمر بقضاء حاجته .

وقال أعرابىّ : العُــذْرُ الجميل ، أحسن من المَطْل الطويل ، فإن أردت الإنعام فأنْجِح ، وإن تعذّرتِ الحاجةُ فأفْصِح .

وقال بعض كُرَماء العرب : لأن أموتَ عَطَشا ، أحبُّ إلىّ من أن أُخلِف مَوْعدا .

وقالوا : من وَعَد فأخلف ، لزمتْهُ ثلاثُ مذمّات : ذمُّ اللّؤم ، وذمُّ الخُلْف ، وذمّ الكذب ؛ وقال بعض الشعراء

ولا خيرَ فى وَعْدٍ إذا كان كاذبا * ولا خيرَ فى قول إذا لم يكن فِعْلُ
فإن تُجْمَــعِ الآفاتُ فالبخلُ شرُّها * وشَرٌّ من البخل المواعيدُ والمَطْــلُ

قال بعض الأعراب : فلان له مواعيدُ عواقِبُها المَطْل ، وثِمارُها الخُلْف ، ومحصولُها اليــأْس .

---

(١) كذا بالأصل بالثاء مثلثة وفى اللسان وفى القاموس : إنها بالتاء المثناة وفتح الراء وهى قرية باليمامة .

وقال آخر: فلان له وعد مُطْمِع، ومَطْلٌ مُؤْيِس، وأنت منه أبدا بين يأس وطمع، فلا بَذْلٌ مُرِيح، ولا منعٌ صَرِيح.

وقال الثعالبىّ: أوّل من أخلف المواعيدَ ولم يَفِ بشىء منها: إسماعيلُ بن صُبَيح كاتبُ الرشيد، وما كان الرؤساء يعرفون قبله المواعيد الكاذبة.

ذكر ما قيل فى العِىّ والحَصَر

قال الله عزّ وجلّ: (أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ)، وقال تعالى إخبارا عن فرعون عند افتخاره على موسى بالبيان: (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) قال أهل التفسير: إن موسى عليه السلام لما سمع هذا القول قال: (رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي) الآية، فقال الله تعالى: (قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى).

وقيل: حدّ العِىّ معنًى قصير، يَحْويه لفظٌ طويل. وقال أكْثَمُ بن صَيْفِىّ: هو أن تتكلّمَ فوق ما تقتضيه حاجتُك. وقالوا: الفقير الناطق أغنى من الغنىّ الساكت.

وقال كسرى: الصَّمْتُ خيرٌ من عِىٍّ الكلام.

وقالوا: فُضِّلَ الإنسانُ على ما عداه من الحيوان بالبيان، فإذا نطق ولم يُفْصِح عاد بَهِيما.

وقالوا: العِىُّ داءٌ دواؤُه الخَرَس. ومن علامات العِىّ الاستعانة. وهى أن ترى المخاطب إذا كلَّ لسانه عند مَقاطِع كلامه، يقول للمخاطب: اسمع منّى، أو استمع لى، وافهم عنى، وأشباه ذلك.

ومنهم من يقول: قولى كذا، أعنى به كذا، ولا يريد التفسير، ولكنه يعيد كلامه بصيغة أخرى تكون غير مراده الأوّل ليفهمّ عنه.

ومن عيوب اللسان، التَّمْتَمَةُ، والفَأْفَأَةُ، والعُقْلة، والحُبْسَةُ، واللَّفَف، والرُّتَّةُ، والغَمْغَمة، والطَّمْطَمة، واللُّكْنَة، والغُنَّة، واللُّثْغَة. فالتمتمة، قال الأصمعىّ: إذا تَعْتع فى التاء فهو تَمْتَام، وإذا ردّد فى الفاء فهو فَأْفَاء، قال الراجز

ليس بفَأْفَاءٍ ولا تمتــامِ ولا كثيرِ الهُجْرِ فى الكلامِ

والعُقْلة: التواء اللسان عنــد الكلام. والحُبْسَةُ: تعذّر النطق، ولم تبلغ حدّ الفأفأة ولا التمتام. ويقال: إنها تعرض أوّل الكلام، فإذا مرّ فيه انقطعت. واللَّفَف: إدخال بعض الكلام فى بعض، قال الراجز

كأنّ فيــه لَفَفًا إذا نَطَقْ من طول تَحْبِيسٍ وهَمٍّ وأَرَقْ

والرُّتَّة: اتصال بعض الكلام ببعض دون إفادة، والغمغمة: أن تسمع الصوت ولا يتبيّن لك تقطيعُ الحروف، ولا تفهم معناه؛ والطمطمة: أن يكون الكلام شبيها (١١)
بكلام العجم، وهى حِمْيَرِيّة، وقيل: هى إبدال الطاء بالتاء لأنهما من مخرج واحد، فيقول: اشتدت وشيّدت، وأشباه ذلك، قيل: وكانت فى لسان زياد بن سَلْمَى، وكان خطيبا شاعرا كاتبا. واللُّكْنة: إدخال بعض حروف العرب فى حروف العجم، وتشترك فيها اللغة التركية والنبطيّة، وهى إبدال الخاء حاءً، وانقلاب العين همزة، وكانت فى لسان عبيد الله بن زياد، وصُهَيب الرومىّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: إن مولًى لزياد قال له: أيها الأمير أَهْدوا لنا هِمَارَ وَهْشٍ: يريد: أهدوا لنا حمارَ وحشٍ، فلم يفهم ما عناه، فقال: ويلك! ماذا تقول؟ قال: أهدوا لنا أيرا: يريد عيرا، فقال زياد: ارجع إلى الأول فهو خير، والغُنَّة:

أن يشرب الصوتَ الخَيْشُومُ، والخُنَّـة : ضرب منها، والترخيم : حذ الكلمة لتعذّر النطق بهـا، واللُّثْغة : إبدال ستة حروف بغيرها، وهى الهمزة والراء والسين والقاف والكاف واللام ، فالتى تعرض للهمزة، فهى إبدالها عينا ، فإذا أراد أن يقول : أنت ، قال : عَنْتَ وهى مستعملة فى لسان التُّكْرُور ، وأما التى تعرض فى الراء، فهى ستة أحرف ، فمنهم من يجعلها غينا معجمة فيقول (غُمَغ) : يريد عُمَر، وهى غالبة على لسان أهل دمشق ، وإذا آجتمعت الراء والغين فى كلمة كقولهم : رغيف، قال : (غريف) ، وفَغَرْت بمكانٍ فرغت : فيبدلون كلّ حرف بالآخر، قيل : وكانت فى لسان محمد بن شَبيب الخارجىّ ، وواصل بن عَطَاء المعتزلىّ ، وكان لاقتداره على الكلام ، وغزارة مادته ، يتجنب النطق بهـا ، وفيـه يقول الشاعر من أبيات

ويجعـل البُرَّ قَمْحًا فى تصـرفه وجنبَ الراءَ حتى احتال للشَّعَرِ
ولم يطق مَطَرًا والقـولُ يعجله فعـاد بالغَيْث إشفاقا من المَطَرِ

ومنهم من يجعلها عينا مهملة ، فيقول فى أزرق : أزعق ، وهى فى لسان عوام أهل دمشق ، ومنهم من يجعلها ياء ، فيقول فى عُمَر : عُمَى ، ومنهم من يبدلها بالظاء أخت [illegible] ، ومنهم من يجعلها همزة ، فإذا أراد أن يقول : رأيت ، قال : [illegible] ، والتى تعرض للسين ، فمنهم من يبدلونها [illegible] ، فيقولون : بثم الله ، وثمرة [illegible] : يريد [illegible] بسم الله ، والسرة [illegible] ، وهى مستحسنة فى الجوارى والغلمان ، قال الشاعر

[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]

وأما التى تعرض للقاف ، فإن صاحبها يجعل القاف طاءً ، فإذا أراد أن يقول : قال، وقلت، نطق: بطالَ، وطُلْتُ، وهى نبطيّة، وكانت فى لسان أبى مُسْلم صاحب الدعوة، وعُبَيد الله بن زياد؛ ومنهم من يجعلها كافا فيقول : كَال وكُلْت؛ وأمّا التى تعرض للكاف ، فمنهم من يجعلها همزة ، فيقول : أَأْف ، ومنهم من يبدلها تاء ، فيقول : تَانَ، إذا أراد : كان ، وأما التى تعرض فى اللام ، فمنهم من يبدلها ياءً، فيقول : اعتَيَيْتُ، بمعنى : اعتللت، ويقول فى جَمَل : جمى، وإذا أقسم بالله، يقول : ويَّاد . ومنهم من يبدل الخاء المعجمة حاءً مهملة، فيقول فى خوخ : حُوح ، وتُسنحسن فى الغِلْمان والجوارى . ومنهم من يبدل الجيم ضادًا ، فإذا اجتمع لأحد فى كلمة جيم وضاد، مثل ضجر، ونضيج، قال : جضر، ونجض . والحمد لله وحدَه!

كمل الجــزء الثــالث

من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب، يتلوه إن شاء الله تعالى فى أول الجزء الرابع منه :

"الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثانى فى المجون والنوادر والفكاهات والملح"

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

وحسبنا الله ونعم الوكيل

(مطبعة دار الكتب المصرية ٨٢ ١٩٢٤/٢٠٠٠)